حسن التهامى يفتح ملفاته

من احتلال فلسطين إلى كامب ديفيد

عبد الناصر .. السادات وسكين المخابرات الأمريكية

محمد سعد العوضى

Bibliotheca Alexandrina
0137152

عبد الناصر.. السادات
وسكين المخابرات الأمريكية

اسم الكتاب: حسن التهامى يفتح ملفاته
اسم الكاتب: محمد سعد العوضى
الطبعة الأولى
رقم الإيداع : ٩٨/٢٢٢٧
الترقيم الدولى: 977-5715-06-7
الغلاف والإخراج الفنى : عاطف عبد الغنى
الناشر : دار ديـــوان
العنوان : ١ ش صابر عيسى – متفرع من
ش فيصل – الهرم – ت : ٣٨٤٠٧٢٦
حقوق الطبع محفوظة للناشر

ستار برس للطباعة والنشر
٤٠ شارع المحولات - الهرم - ت ٥٦٣٧٥٥٢

956.04

حسن التهامي يفتح ملفاته من حرب فلسطين إلي كامب ديفيد

عبد الناصر.. السادات وسكين المخابرات الأمريكية

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف 956.04
الع. ح
رقم التسجيل ٤٧٥٦٦
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

تقديم.. لابد منه

في النصف الأول من نوفمبر ١٩٩٦ ، وخلال عرضي لكتاب سامي شرف ، الذي يحمل عنوان : (عبد الناصر .. كيف حكم مصر) فوجئت برسالة على الفاكس تصل إلى مجلة أكتوبر التي أعمل بها ، وعلى صفحاتها أنشر عرض الكتاب ، حملت الرسالة إمضاء شخصية حاول الكثيرون نبش مخزونها المعلوماتي دون جدوي ، فصاحبها كان له دوره الوطني والسياسي. كما أنه في نفس الوقت قد شكل مرحلة من مراحل الحياة المصرية ، دور صانع القرار أو الواقف وراء هذه الصناعة للعديد من القرارات المهمة.

كان الإمضاء يحمل اسم (حسن التهامي) .

توقفت طويلاً أمام الرسالة التي ترد بالوقائع على مانشرة سامي شرف في كتابه ، وقد تعرض سامي شرف لحادث المنشية ومحاولة اغتيال عبد الناصر أثناء القائه لخطابه في الاسكندرية ، وإصرار عبد الناصر على عدم ارتداء القميص الواقي من الرصاص ، والذي أحضره لعبد الناصر ، حسن التهامي كهدية.

كان الفاكس المرسل من التهامي يؤكد كذب مازعمه سامي شرف . وأن شيئًا من ذلك لم يحدث . وأن التهامي لم يأت بقميص واق من الرصاص لعبد الناصر ، ولا لغير عبد الناصر ، وأن حادث المنشية كان قد تم التدبير له والتخطيط لمسرحيته بين عبد الناصر ، وبين المخابرات الأمريكية ، من أجل ضرب عصفورين بحجر واحد . . العصفور الأول إيجاد المبرر لتصفية الأخوان المسلمين ، هؤلاء الذين دبروا لاغتيال جمال عبد الناصر ، والعصفور الثاني هو تحقيق شعبية جماهيرية لعبد الناصر وعمل الدعاية الكافية من أجل تثبيت أركان حكمه وإرساء أرجل كرسي سلطته . وقد اعترف بذلك مايلزكوبلاند رجل المخابرات الأمريكية.

كان فاكس حسن التهامي بمثابة الشرارة التي أضاءت بداية الطريق نحو التفكير في اللقاء بحسن التهامي ، ذلك الرجل الذي يضم بين جنباته العديد من الأسرار ، مهما اختلف عليها وعليه الأعداء . . والأنصار . . له .

إن حسن التهامي يحمل على اكتافه قرابة الـ ٧٣ عامًا ، من بينها ما يزيد على خمسين

عاماً قضاها فى عمل وطنى وسياسى ورفقة لرئيسى جمهورية مصر.. عبد الناصر.. والسادات.. تستحق منا وقفة. وتستأهل منا اللقاء به. فما يحمله الرجل إن كان ملكا له، وضمن أسراره، إلا أن ذلك لا يعفينا من مسئولية ضرورة تعريف الجماهير بهذا المخزون سواء ممن عاصروه أو من الجيل الشاب الذى يريد معرفة الحقائق حية على لسان أصحابها.. وبرواية من شهدوها شاركوا فى صياغتها، أو صناعتها.

وقررت فى منتصف نوفمبر ٩٦ أن ألتقى بالرجل. اتصلت به. وفى ذهني الكثير عنه، وربما القليل بالنسبة لغيري، وحاولت أن ألقاه.. وان جاء ترحيبه باللقاء أمرا سهلاً، علي المستوى الشخصي، فقد عانيت كثيراً أن أحول اللقاء إلى أحاديث صحفية أو كلاما للتاريخ وللأجيال، فالرجل ليس هيناً، وليس عابر سبيل على طريق السياسة.

فقد ولد فى إبريل عام ١٩٢٤. وتخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤٢، وشارك فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨. وكان أحد أفراد الخلية الأولى للضباط الأحرار، وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ عين مديراً لمكتب الرئيس للمعلومات ثم تولى إدارة البحوث الفنية. وخلال عهد عبد الناصر وصل إلى منصب مستشار سياسى للرئيس فى ٣ يوليو ١٩٦٩. ثم أمين عام رئاسة الجمهورية بعد ١٢ يوما فقط.

وبعد حوالى شهر (٢٩ أغسطس) أصبح مدير عام الاتحاد الاشتراكي. وعندما تولى السادات منصبه كرئيس لمصر، عمل التهامى مستشاراً للشئون الدينية بدرجة نائب رئيس وزراء. ثم عين فى ٢٦ أبريل ١٩٧٠ زيرا للدولة ومبعوثا شخصيا للسادات، وفى مارس ١٩٧٣ انتخب أمينا عام لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وانتهت مدته فى ديسمبر ١٩٧٥، وقبل ذلك كان التهامى عضو محكمة الثورة التى صدر قرار جمهورى بتشكيلها فى ٢١ يوليو ١٩٧١. وفى أكتوبر ١٩٧٧ صدر قرار جمهورى بمنح حسن التهامى رتبة «الفريق» الشرفية اعتباراً من ٦ أكتوبر من العام نفسه.

ويكفى التهامى أنه المشارك الأول والأكبر فى ثلاثة أحداث تاريخية فاصلة ومهمة فى تاريخ مصر الحديث: ثورة يوليو.. وكامب ديفيد.. والمخابرات المصرية.

رغم كل هذا يبقى التهامى شخصية محيرة، ولغزا غامضا فى تاريخ مصر الحديث.

من هذا المنطلق، ومن منطلقات أخرى كثيرة، طرقت باب التهامي. وكان ذلك عليّ بالأمر السهل كشخص، فالرجل مضياف.. كريم.. باسم.. مرح فى حديثه.. جاد أيضا.. يتمتع بذاكرة حادة.. ولكن بنفس هذه الدرجة من السهولة، كان من الصعوبة عليّ بمكان، أن أولج مفتاح خزانته السياسية والتاريخة السرية، ولولا الأمانة كقاسم مشترك فى الالتزام بما قاله لي، والانضباط فى مواعيد اللقاء، والدقة فى إعادة كتابة ماتم

سرده، ثم إعادة قراءته مرة ثانية.. وثالثة أمامه.. ماكان لهذه السطور أن ترى النور. فأن اللقاءات التى تم تجميعها لتقترب من العشرين لقاء كان لابد من الإعداد لها بأضعاف هذا الرقم من اللقاءات الجانبية والتمهيدية.

وفى هذه اللقاءات تناول التهامي العديد من الجوانب.. واقترب من المناطق الساخنة لدرجة الالتهاب.. والخطرة لدرجة التفجر.. وذلك عندما تناول موقف عبد الناصر الذى قد لا يعرفه الكثيرون بدءا بمرحلة ماقبل الثورة.. مرورا بموقف عبد الناصر من الوحدة الرباعية بين مصر وسوريا والأردن والسعودية.. وكيف قال عبد الناصر للتهامي: ارفع يدك عن هذه الوحدة، لنرى بعد ذلك تدميرها سريعا بعد أن تم تشكيلها كأول تنفيد عملى لما يسمى اليوم «بدول الطوق». كما تناول التهامى كذلك تلك العلاقة الوثيقة بعبد الناصر بالمخابرات المركزية الأمريكية التى اختارته كأفضل الشخصيات القادرة على تحقيق المصالح الأمريكية فى مصر والشرق الأوسط، ثم يعرج فى حديثه على دور عبد الناصر فى الوحدة السورية المصرية التى يرجع سبب انهيارها الأول إلى عدم رغبة العناصر السورية فى زعامة عبد الناصر وتدخلاته.. ولا ينسى التهامى أن يذكر حقائق الموقف الخاص بتاريخ التسليح النووى على الجانبين المصرى والإسرائيلى حيث أوقف عبد الناصر الجانب المصرى لنرى بعد ذلك استمرار الأداء على الضفة الإسرائيلية فى هذا السلاح المدمر.

أما النكسة فإن لحسن التهامى صولة وجولة فيها عندما يتعرض للحوار البالغ العرى والمفضوح بينه وبين عبد الناصر ليكشف العديد من الحقائق قبل وأثناء وبعد النكسة.

ويستمر بنا التهامى ليكشف مخططا آخر لاغتيال السادات قبل إلقاء خطابة فى القدس، ويتم إحباط المخطط على أيدى التهامى نفسه، ثم ما كان من رغبة السادات للقاءات سرية بينه وبين الإسرائيليين، وقد عرض رغبته على التهامى وهى رغبة لم تتم بسبب حسن التهامى الذى أشار على السادات بغير ذلك حرصا على مصر ورئيسها.

كما شارك التهامى بأحاديثه السرية مع ديان من أجل التمهيد للمفاوضات التى أسفرت عن رحلة القدس.

إننا فى هذا الكتاب نعرض حقائق ووجهات نظر التهامى كما هي، من أجل التاريخ. ولسنا مع التهامي ولا مع من يؤيده أو يؤيدونه. كما أننا لسنا ضد التهامي ولا ضد من تتعارض وجهة نظره معهم بقدر مانحاول أن نكشف الغطاء عن جزء من مخزون الرجل، لأن مخزونه أصبح عاما، بعد وجوده فى ساحة العمل العام، وبعد مشاركاته بشكل أو بآخر فى هذا العمل.

وقبل وبعد وفوق كل ذلك لا أملك إلا أن أؤكد أن حسن التهامى شخصية فريدة، ذات تميّز بائن وواضح، لاتدفعه فى جميع أعماله أو تصرفاته أو أقواله إلا مصلحة مصر.

وقد لمست ذلك منه، سواء فى حديثه عن أيام حكم الملكية، أو بدايات ثورة يوليو ٥٢، أو رحلته مع عبد الناصر ،أو استمرار آرائه مع الرئيس الراحل أنور السادات.

إن حسن التهامى يظل واقفا تحت لافتة بارزه تحمل كلمات : وطنى .. متحمس.. حاد الطباع، حتى النخاع يحوى بين صدره قلب شاب فى العشرينات، وعزيمة رجل فى الثلاثينات، وفكر سياسى فى قمة النضج.. كل ذلك فى غيرة وحماسة فوق حدود المتاح... من أجل مصر.. ومصر قبل كل شئ.. وأى شئ.

قبل أن نتذكر

وقبل أن نتذكر ونبدأ رحلة المذكرات مع حسن التهامي لابد لنا من وقفة.

فقبل أن أدق باب التهامى نصحنى كل من التقى بى أن أحترس. البعض قال إن الرجل سوف يكون لغزا غامضا أمامك، وسوف ترى بنفسك وتسمع حديثه. ولا تنسى أن التهامى هو الرجل الذى أكد أنه وضع قيودا فى يد عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة. وربطهما بالحبال ليمنع تعيين خالد محيي الدين رئيسا للحكومة (وكان ذلك عام ١٩٥٤). وسوف ترى وتسمع أن عبد الناصر قال له بعد أن استدعاه قبل وفاته بأيام قلائل: خلّيك جنبي ياحسن لأنهم عايزين يموتوني. وسوف تجد أن التهامى يتحسس شيئا على جنبه بشكل دائم، إذا لمسته فستجده مسدسا جاهزا للضرب فى أى لحظة. وسوف تراه مرتديا ربطة عنق سوداء اللون منذ نكسة ٥ يونيو ٦٧. وسيؤكد لك أنه سيظل مرتديا إياها حتى تعود القدس إلى العرب والمسلمين. وستجده يتهم عبد الناصر وثورة يوليو بالعمالة لأمريكا وسوف يقول لك إنه مؤسس المخابرات المصرية- وليس صلاح نصر، ولاغيره.

قالوا لى أيضا تذكر أننا قلنا لك إنه سيقول إن عبد الناصر اتفق مع إسرائيل على مسرحية حرب ١٩٦٧، وأنه (عبد الناصر) اتفق قبل ذلك وبعده مع الأمريكيين. وأنه عندما مات عبد الناصر وأطلّت المؤامرة برأسها فى الأفق، أخرج مسدسه ليسند الشرعية ويفرض أنور السادات.

ابتسموا سخرية مؤكدين أننى سأسمع أن التهامى كما سيروى على لسانه، سوف يواصل حكاية المسدسات، وغرامه بها، وكيف يصيب المليم على بعد ٣٠ مترا، أو رأس العصفورة على بعد ٥٠ مترا، وأنه حاول الاستيلاء على مسدس الحارس الأمريكى فى كامب ديفيد ليجبر السادات وكارتر بالقوة على التراجع، ولم لا وهو يؤكد أنه قادر على ضرب الزهرة فى عودها أو غطاء الزجاجة الغازية على بعد ٥٠ مترا؟!

قالوا لى سوف ترى تأكيدات التهامى بأن أعصاب عبد الناصر كانت تتوتر كلما كان يراه بعد حادث المنشية الذى يقول التهامى عنه أنه كان مسرحية مدبرة، وأن عبد الناصر

كثيرا ماكان يتجنب مقابلات التهامي معه ويكتفي بالاتصال التليفوني ، وستسمع تأكيدات التهامي أنه كان يقف بعيدا عن سيارة عبد الناصر عدة خطوات عند نزوله من سيارته ليحيط به رجال الأمن حرصا على عدم إزعاجه مكتفيا بالقاء السلام عليه.

سيقول لك التهامي إن عبد الناصر بعث ذات مرة بحسين الشافعي له وهو موجود فى قصر القبة ليسأله قائلا : أنت معاك طبنجة صحيح ياحسن؟.. الرئيس جمال عبد الناصر بيسأل.. فقال التهامى له : ليه؟ فقال : والله صحيح أنت شايل طبنجة فى جيب السترة؟ فرد التهامي : أنا فى جيبى مصحف. فوضع الشافعي يده على جيب السترة فى الخارج ليتحسس ما بداخله.. فاخرج له المصحف.. فقا له الشافعي : أصل الريس لاحظ أن سترتك منفوخة شوية من الجنب. فرد عليه التهامي : هل أدخل اطمئنه؟ فقال الشافعي : لا.. لا... هو كلفنى أن أسألك بنفسي نيابة عنه.. ماهو عارفك ياحسن. فقال له التهامى بثقة : وأنا كما عارفه!

ضمن ما قاله الذين حذرونى من لقاءاتى مع التهامي ، ما قاله التهامي ذات مرة بعد تولى السادات لمصر ، وبعد انتهاء أزمة مايو ١٩٧١ وتخطيها أن السادات قال للتهامى (رجال الأمن أيام عبد الناصر كانوا يقولون أن جمال كان مقتنعا بأن حسن التهامى إذا انفرد برئيس جمهورية مصر فى أى مكان ثلاث دقائق فلا يمكن أن يطمئن رئيس مصر لمصيره أو مستقبله أو يتكهن بما يمكن أن يحدث فى تلك الدقائق) فغضب التهامى لما أخبره السادات بذلك ولاحظ السادات هذا الغضب ، وسأل التهامي : لماذا غضبت؟ فقال له : هذه إهانة. فسأله السادات : ليه؟ فقال التهامى بثقة كبيرة (ان الدقائق الثلاث فيها تقليل من قدرتى على التصرف ، فيكفينى دقيقة واحدة أو أقل!) فضحك السادات من قلبه على هذا التعليق...

ولكننى هنا أضيف هنا أن الذى قاله لى التهامي فى هذه النقطة بالذات ، أنه قال للسادات : إذا كان عبد الناصر يستغرق الأمر بالنسبة له ثلاث دقائق ، فأن الأمربالنسبة لك - للسادات - لايستغرق سوى دقيقة واحدة. كما قال لى التهامى أن ماذكره جمال عبد الناصر فيما يتعلق بالتهامي ، أنه كان مصنفا - رقم واحد من حيث خطورته على رؤساء مصر.

أما ذقن حسن التهامي كما قال لى المحذرون فلها قصة ، ولابد أن أسأله عنها.

واستطردوا قائلين إنها قصة طريفة ، فسوف يقول لك إنه أطلق ذقنه لأول مرة بعد مطاردة عبد الناصر للإخوان المسلمين مما أصاب الناس بالذعر ، وصاروا يحلقون ذقونهم خوفا من الاعتقال. ولما أطلقها قال له عبد الناصر فى صالون بيته : ياحسن ذقنك عاملة

ازعاج للحكم، وسببت لى مشاكل، وأرجوك أن تفكر فى الموضوع، فقال التهامى لعبد الناصر : أننى ربيت ذقنى لشعور ذاتي، وعندما ينتفى هذا الشعور سأتصرف بنفسي، ولست محتاجا إلى توجيه من أحد. وكل ماقاله التهامى حول هذه النقطة أن عبد الناصر قال له ذات مرة: إن ذقنك عاملة قلق ياحسن (وكان ذلك فى عز أيام القبض على الأخوان. وعندما أعدت عليه ماذكره سامى شرف فى كتابه عن عبد الناصر كيف حكم مصر ..؟ من أن عبد الناصر قال للتهامى فى إحدى الجلسات: أنا حاخلى الجناينى يقص لك ذقنك وجدت التهامى يكذب هذا القول جملة وتفصيلا، كما كذب مزاعم سامى شرف حول القميص الواقى من الرصاص.

أما عن لقاءات (التهامي- ديان) السرية بالمغرب تحت رعاية العاهل المغربى الملك الحسن الثانى والتى تمت على ثلاث مرات بين كل من حس التهامى وموشيه ديان، فقد قال عنها المحذرون الكثير.. الكثير، وقد شرحها لى التهامى بالتفصيل على لسانه، وسلّمها لى مكتوبة بخط اليد فى ثلاثة أجزاء بشكل مفسر للغاية، وأعدنا سويا - أنا والتهامى - مرة ثانية وثالثة ورابعة قراءتها وإعادة صياغتها لتظهر بصورتها كما سترد بالكتاب. وللتاريخ أسجل أن التهامى كان لديه ذاكرة حافظة واعية وفوتوغرافية لاقطة لم ينس فى كل مرة أن يقول ماقاله فى المرة اللاحقة حول نفس الموضوع.

هذا قليل من كثير حذرنى منه الذين التقوا بى من زملاء أو أصدقاء قبل وأثناء لقاءاتى مع التهامي. من أجل ذلك كله فاننى عندما جلست إلى الرجل كنت عبارة عن قرون استشعار يقظة لكل كلمة واشارة ونظرة وبسمة وعبوس أو حوار جاد، حاولت مع كل ذلك أن أكون عدسة لاقطة تجمد فى مخزونها اللحظات التى أتواجد معه خلالها وكنت أصمت احتراما لحرية الرجل فى التحدث كما يشاء وفى أى موضوع يريد، ومن جانبه أعطى التهامى مساحة من الود، ورحابة الصدر لاستفساراتي. ولا أنكر أن الرجل وجد نفسة وهو يحاورنى كمن يتحدث إلى نفسه ليبتسم أخيرا كل فترة ويقول: ياأخى أنا مش عارف إزاى بتسحبنى فى الكلام مع أنى كاتم فى صدرى الكثير منذ نصف قرن. وأتفحص فيه فأرى على وجهه علامات ملامة النفس وقد تكرر هذا كثيرا فى كل لقاء عند كل انفتاح لمخزونه السري. فإلى جانب ما سيأتى ذكره فى الكتاب خاصا بعلاقات عبد الناصر بالمخابرات المركزية الأمريكية، وجدت التهامى يقول لى الكثير عن علاقات عبد الناصر بالإسرائيليين حتى قبل حرب ١٩٤٨، مثل علاقاته «بإيجال يادين» رئيس أركان حرب الجيش اليهودى عام ٤٨، ذلك الرجل المثقف الذى يتحدث العربية بطلاقه بل ويكتب بها، والذى افصح للتهامى عن علاقته (يادين) بالبكباشى جمال عبدالناصر قبل ذلك

التاريخ القديم ويوم أن كان محاصرا فى عراق المنشية (قطاع الفالوجا) وأرسل له (لجمال) عدة مرات أقفاصا من البرتقال، وعلبا من الشيكولاته عبر السلك الشائك وأن يادين قال للتهامي: لماذا تستغربون ذلك..؟ حقيقة كان الجيش المصرى يحاربنا فى فلسطين، لكن جمال عبد الناصر صديقا شخصيا لى من قبل الحرب (حيث قضى الاثنان طفولتهما فى حارة خميس عدس فى حى الخرنفش بالقاهرة وكانا جارين متلاصقين) ومن واجبى أن أرسل له مايحبه. والذى كنت أعرفه عنه من قبل الحرب، لاسيما أن الحصار قد منع وصول الأغذية لكم (للمصريين).

ولم أجد فى نفسى أية غضاضة أو موانع من إرسالها إليه فتقبلها جمال فى كل مرة.

كما ذكر لى التهامى أيضا أنه عندما التقى بإيجال يادين فى رحلة القدس مع السادات وكان - هو ويادين - يغادران مطار اللد (بن جوريون) فى رفقته داخل سيارة إيجال يادين نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى (وقتها)، وأثناء تخلفهما عن الرئيس السادات وهو يصافح المودعين قال يادين للتهامى وهم وقوف على أرض المطار (الترماك) وهو يشير إلى بيجين سائرا جنبا إلى جنب مع السادات - بالنص - : إذا لم يعمل معكم هذا الرجل (بيجين) السلام الذى جئتم من أجله فاننى (يادين) مستعد لاستلام الحكومة والمسئولية لاتمام السلام معك...

كما ذكر لى التهامى أنه كان المعروف وقتها أن الإدارة الأمريكية كانت غاضبة من اتجاهات بيجين العنيفة وكانت تجهز يادين فعلا لاستلام المسئولية لاتمام خطوات السلام الذى تقبله كل القوى ذات المصلحة فى المنطقة وتطلبه أمريكا والدول الكبرى بطبيعة الحال.

كما ذكر لى التهامى أنهم وهم مستقلون الطائرة مع الرئيس السادات عائدين إلى القاهرة، قام التهامى بإبلاغ ماقاله له «يادين» فى المطار، وقال إن الرئيس السادات نظر إليه نظرة طويلة وهو صامت، ثم كان ما كان بعد ذلك من مواقف بين بيجين وبين السادات.

ولم ينس التهامى أن يصف لى بالتفصيل ذلك اللقاء الذى تم عندما وطئت قدما السادات أرض إسرائيل فى رحلة القدس، وما كان من استقبال جولدا مائير له عندما استقبلته مهللة: «هالو أنور».. كما لو كان من الأسرة وكيف بحث التهامى بعدها ليعرف أن السادات كان - قبل ذلك - صاحب صلات سابقة بإسرائيل، ولقاءات كثيرة ومثيرة، وكان مكلفا بذلك من قبل القصر الملكى لعمل هذه الصلات من زمن!

وفى لقاءاتى مع التهامى أكّد لى أنه منذ بداية الثورة كانت هناك استحكامات أمنية

أمريكية من أجل الحفاظ على حياة عبد الناصر شخصياً كرئيس للحكومة. وأن الإدارة الأمريكية تقوم بعمل برنامج محكم التخطيط والتنفيذ للحفاظ على حياته والدعاية له. وأنه قد تم منح عبد الناصر مبلغ ثلاثة ملايين دولار لمعاونته فى الحكم كمصاريف غير منظورة منذ اليوم الأول لحكمه. ربما زادوا بعد ذلك أو نقصوا، ولكنهم بالتأكيد قد استمروا. وقد ذكر ذلك مايلز كوبلاند. وأكد أن هذه المبالغ قد سلمت لجمال عبد الناصر لدعم تكاليف وادارات الأمن الخاصة به، كالسيارات المصفحة أو الأسلحة، أو غيرها. وأنه تم الاحتفاظ بها فى أيدٍ أمينة فى الدولة يطمئن إليها عبد الناصر. وأن بقايا هذه الاعتمادات قد سلمت لعبد الناصر بعد النكسة مباشرة، وظلت بعد ذلك فى خزانته حتى توفي.

وقال لى التهامى إن استمرار الدعم الأمريكي قد أدى ذات مرة إلى أن يختلف مع بعض مندوبى البيت الأبيض الذين كانوا يحضرون إلى مصر من حين لآخر للتفاهم مع عبد الناصر على مستقبل وتطوير العلاقات والمصالح المشتركة، فإذا بهم يرسلون إلى التهامى خطابا موقعاً من البيت الأبيض أن عبد الناصر قد اختارته الإدارة الأمريكية ليرأس مصر، ويوجه سياسة الشرق الأوسط لصالح الأهداف الأمريكية وكان هذا الخطاب ولا يزال موجودا بمثابة عدم اعتراض على التعليمات الأمريكية أو على عبد الناصر، وأن هذا يمثل فى حقيقته لب السياسة العليا، والمناطق التى يجب عدم الاقتراب منها.

وقد أشار التهامى إلى هيمنة السياسة الأمريكية منذ بدايات الثورة المصرية وسعى الأمريكيين لاختيار الشخصية التى تناسبهم.. وقد تأكد ذلك منذ مجئ «كيرميت روزفلت» رئيس وحدة التعامل السياسى مع الشرق الأوسط فى النصف الثانى من عام ١٩٥٣، نائبا عن المخابرات المركزية الأمريكية والخارجية الأمريكية والبيت الأبيض، وقيامه بدعوة الرئيس محمد نجيب إلى العشاء فى بيته، ومعه رئيس الحكومة جمال عبد الناصر، وزكريا محيي الدين رئيس المخابرات العامة ووزير الداخلية فى ذلك الوقت، ومعهما وزير الخارجية المصرى محمود صلاح الدين، وحضر الدعوة مايلزكوبلاند (المندوب الرئيسى للمخابرات الأمريكية فى مصر).

وكان قبل حضوره إلى مصر هو المندوب الرئيسى لهذا الجهاز فى سوريا مع أديب الشيشكلي، ومن بعده حسنى الزعيم. ومما لفت النظر فى ذلك الوقت أن محمد نجيب قد أرسل دعوة للفريق عزيز المصرى فى مواجهة مع جمال عبد الناصر. غير أن عزيز المصرى اعتذر عن عدم حضور هذاالعشاء، ولا يزال يوجد خطاب الدعوة من محمد نجيب لعزيز المصري، بين أوراق حسن التهامي، وفى بيته.

ومنذ ذلك الوقت المبكر والمخابرات المركزية الأمريكية تسعى لمعرفة معالم القيادة التحتية والأساسية التى تحكم مصر باعتبار الإدارة الأمريكية مؤيدة للثورة كنظام جديد بعد الملكية ،على أن يكون على رأسها جمال عبد الناصر. كما أن هذه الإدارة ومن فيها لايثقون فى كثير من أعضاء مجلس الثورة لتدنى مستواهم الفكرى والدولي.. كما أعربوا عن ذلك كثيرا.

وقبل أن نتذكر وقائع التاريخ الذى عاشه حسن التهامي، والذى يرويه من خلال تجربته، لابد أن نسجل أن التهامى نبت نبتا فكريا وطنيا فى تربة مدرسة عزيز المصري، الذى كان يعتبر العمل الوطنى مغامرة لابد من خوضها. وأن الحل الأول والأخير هو التحرر من الوضع السائد فى مصر، قبل الثورة كلية. وأنه لابد من إعادة الشعب المصرى إلى مركزه الحقيقى فى الشرق وفى العالم وأمام التاريخ.. تاريخ مصر الذاتي.. وأن المدرسة الفكرية لعزيز المصرى قد اتسمت بالجرأة والعنف والقرارات وقد تصادف التوافق، لدرجة التطابق، بين طبيعة عزيز المصرى وطبيعة التهامي. ولم يقدم الأخير على فعل شئ – تقريبًا– ذى قيمة إلا بعد التشاور مع عزيز المصري، وكان لايزال يومها ضابطا على مبدأ مرحلة الجهاد الوطني.

وكما يقول التهامي، لم يكن يومها لاعبد الناصر ولا عبد الحكيم عامر، ولاغيرهما إطلاقا يمكن أن يقال عنهم أنهم شئ يذكر فى هذا المجال، بل كان التهامى هو وكمال رفعت من الأوائل فى هذا العمل الوطني، وكان الباقون «مستجدين». وكانت صفة السرية التامة فى كل عمل يعمله، هى من ضروريات حياته، لضمان النجاح. وأن بداية تعرف التهامي على عبد الناصر كانت فى أواخر عام ١٩٤٧، ثم فى عام ١٩٤٨، أيام حرب فلسطين، عن طريق ضابط زميل للتهامي.

ولم يكن يعنى التهامي – على حد قوله أن يعرف عبد الناصر، أو غيره، بقدر مايتمنى أن يجيد فى أدائه الوطني، فلا ولاية لعبد الناصر عليه قبل الثورة، ولاحتى بعد أن أصبح عبد الناصر رئيسا للجمهورية. وكان عبد الناصر يقول دائما (مالكوش دعوة بحسن التهامى لأنه لن يغيّره أحد. وليفعل مايراه فى الدولة دون اعتراض على أحد منكم، ولا حتى الوزراء. ان حسن التهامى ليس مشكلة بالنسبة لي. لأن وطنيته هى هدفه الحقيقى فى حياته، وليس له مطالب. ولذلك فان تأويل مايفعله دائما هو المصلحة العامة).

و كان هذا التوجيه من عبد الناصر يريح التهامى فى كثير من التصرفات. فكان بالفعل شبه مستقل فى عمله داخل الدولة كلها. لم يفعل شيئا إلا لمصلحة مصر كما يراها، وهو يحمد الله كثيرا على ذلك.

لقد قال لى التهامى أنه اختلف كثيرا مع عبد الناصر «وياما قلب عليه ترابيزات كانت موجوده بينهما فى منزل عبد الناصر» وفى كل مرة كان. عبد الناصر يتلقى ماتم قلبه بيديه، ويقول: «بس كفاية ياحسن.. انت عايز تقول إية؟!»

وقد ذكر لى حسن التهامى أن المخابرات المركزية الأمريكية، كانت ترى فيه عقبة كئودا؛ لذلك حاولت الايقاع كثيرا بينه وبين عبد الناصر من أجل وقف نشاطه. وقصّ على أن الأمر قد وصل إلى حد وجود مجموعة اغتيالات فى فيينا تستخدم سيارة ملاكى بأرقام سورية (دمشق) تستهدف التعرض له. ولم تتمكن من ذلك لأن التهامى كان يسكن فى ميدان مزدحم، وكان ذلك بعد الانفصال السورى المصرى مباشرة. وأن التهامى كان ينظر لهذه المحاولات على أنها محاولات تافهة. وأن أى إنسان يمكنه أن يقترب منه فى مصر أو غير مصر، سوف يكون هو الضحية الأولي، وليس التهامي. وأنه قد أشترى طبنجة، وهو سفير، وحملها بصفة دائمة بعد ترخيصها. فكان سفيرا مقاتلا حتى فى النمسا. وأنه كان يستهزئ من هذه التحركات حوله. وانه برغم كل هذا فان عبد الناصر لم يكن يمر به لحظة تأزم إلا ويتشاور مع التهامى لأنه يطمئن على نفسه بالحديث معه، دون كذب أو رياء، وبكل صراحة ووضوح.

وقد قصّ عليّ التهامى أنه ذات مرة، وفى الفترة السابقة على سفره وتعيينه سفيرا بالخارج - حوالى عام ١٩٦٠ - أنه كان مختلفا مع عبد الناصر اختلافا جذريا فى شئون السياسة الخارجية، وحدثت مشادة بينهما فى بيت عبد الناصر، توهم عبد الناصر منها أن التهامى سيعتدى عليه. وبقيت المقاطعة بينهما حوالى ثلاثة شهور. وشعر التهامى خلال المقاطعة، وبالذات فى الشهر الثالث، أن هناك مجموعة من أفراد فرقة الاغتيالات، التى كان يعرف بعض أشخاصها - والتى تكونت بأمر من جمال عبد الناصر وجمعها من بعض الشخصيات صاحبة الماضى العسكرى - وقد جاء أحدهم إلى التهامى فى يوم من الأيام بمكتبه، يستطلع عما إذا كان التهامى يقبل أن يكون قائدا لهذه المجموعة، فرفض التهامى بشدة. ونهر صاحب العرض. وقد تم تعيين كمال رفعت قائدا للمجموعة.

شعر التهامى أن هذه المجموعة بدأت فى الاقتراب منه ومن بيته فى مصر الجديدة، وبشكل أكثر من اللازم. وبدأت فى محاولة اصطياده خارج البيت، والتهامى يفهم كل هذا ويراه بعينه. إلى أن جاء يوم من الأيام (وطقّت) فى ذهنهم فكره اصطياد زوجته فى الطريق العام، وفى مكان قريب من البيت. أما طريقة ذلك فهى صدمها بسيارة جيب عسكرية، حتى إذا خرج التهامى لنجدتها يتم إطلاق النار عليه، لتفر السيارة بعد ذلك هاربة. وحتى فى حالة معرفة السيارة، فهناك أكثر من وسيلة لتضييع معالم العملية. ولكن

الله قدر أن الزوجة المصون تفر من أمام السيارة على الرصيف، وتدخل باب البيت بسرعة وكانت فيلا بمصر الجديدة.

عندئذ تأكد التهامى أن الموضوع أخذ أسلوبه الجدي. وأن المحاولة إيجابية وشديدة.

وبدأ التهامى يحتفظ بأسلحته خلف باب الفيلا. ويستعد لملاقاة فرقة الاغتيالات فى أى لحظة. وكانوا يأتون إلى باب الفيلا الخارجى على الشارع، ولا يجرؤ أحد منهم على فتحه.

وفى نهاية هذا الشهر من التأزم السيكولوجى والعصبي. وفى انتظار أن يُقتل التهامي، أو يقوم هو بالقتل، إذا بعبد الناصر يطلبه بالتليفون ويقول له: ياحسن.. أنا عايزك دلوقتي!. ولم يقل التهامى لعبد الناصر: حاضر.. بل قال له: أنا جاهز!

عندما توجه التهامى لعبد الناصر بمنشية البكري، تم استقباله فى الصالون. وأقفل باب المكتب عليهما الاثنين. وبادر عبد الناصر التهامى بالعبارات التالية بالنص وهو يزعق بصوت عال: أنت إيه؟!.. انت إيه؟!.. وظل التهامى على صمته وراح عبد الناصر يسأل مرة أخري: أنت تطلع مين؟! أنا بقى لى شهر لا أنام منك الليل كله!.. واسترسل فى الكلام: حاولت اضربك مش قادر.. حاولت اسجنك مش قادر.. حاولت أموّتك مش قادر...

وكان التهامى - حسب قوله - يعرف كل شئ.. ويشعر به.. ثم ردّ على عبد الناصر بهدوء: ليه؟!.. فضم عبد الناصر يديه إلى صدره وقال: حاسس اني متكتف.. قالها ثلاث مرات.. واستطرد: مش قادر أعمل حاجة! فابتسم التهامى قائلا: ربنا كتّفك المرة دي، زى أنا ماكتفتك سنه ٥٤ بيدي، علشان أمنعك من التصرف. فانزل عبد الناصر يديه من على صدره. وأصفر وجهه، وبدأ يفكر، ثم بدأ التهامى يقول له: أنا لم أطلب فى حياتى شيئًا مطلقًا إلا مصلحة مصر. فلماذا كل هذا التحرك ضدى منك؟!

وهدأ عبد الناصر.. وبسبب زعيقه بالصوت العالي، فتح رئيس حرسه بالمنزل الباب المنزلق للصالون. ووقف فى الخارج. وتصور أن هناك شيئًا قد حدث.

وبمنتهى الهدوء قال التهامى لرئيس الحرس: اقفل الباب مفيش حاجه! فأغلق الباب ومشي. وبدأ التهامى يقول لجمال: أولا لايمكن لأى أحد من الذين أرسلتهم إليّ أن يقتلنى أو ينال منى شيئا. فقد كنت سأقتل أى عدد منهم ان كان لديهم جرأة أن يأتوا البيت. وقال التهامى انه قال لعبد الناصر بالنص: (بس انت مجنون.. بس انت مجنون.. لأنه بعد أن أقتل هذا المعتدي.. أنت بعده مباشرة).

ففطن عبد الناصر إلى خطئه وصمت. وقال التهامى له بعد ذلك: مادامت الأمور

وصلت إلى هذا الحد فليس لدى مانع أن أترك مصر وأعمل بالخارج. أنت تستريح .. وأنا أستريح.. ومنذ ذلك الوقت قبل عبد الناصر تعيين التهامى فى الخارج بلجنة الطاقة الذرية.

وضمن ماقاله التهامي عن عبد الناصر انه لم يكن يهم التهامى التعامل معه ولا مع غيره فى الحكم.. ولايقبل منصبا تنفيذيا ولو كان نائب رئيس جمهورية، إلا إذا كان فى ذلك خدمة للوطن، وبالذات عدم إمكانية التعامل مع عبد الناصر بدكتاتوريته وعقليته المركبة على وضع معين فى ذهنه سيعمل إليه، وأن عبد الناصر كان يعتبر كل من يتعامل أو يتعاون معه كتكأة أو خطوة على الطريق، ولذلك قيل عنه «لّعيب شطرنج».. وأن عبد الناصر نفسه قال عن نفسه أمام التهامى ولأشخاص آخرون يسألونه عن عقيدته فى الحكم: انه ميكافيللي.. غايته تبرر وسيلته.

وإذا أردت أن أتذكر ماسرده حسن التهامى لن أنتهى من كلامى قبل أن اسوّد صفحات كتب لا كتاب فقط. لكننى عرضت لنماذج لا أكثر ولا أقل.

وللشهادة، وللتاريخ، فأن الرجل حاضر الذاكرة. واعيا تمام الوعى لكل حرف يقوله. صاحب مخزون معلوماتى كبير وغزير وثرى وسرّي، وعقلية حافظة. وكثيرا ماراجعنى عندما كنت أقرأ عليه مرات عدة سواء أثناء الجلسات أو عبر التليفون ما قاله لى أثناء لقاءاتى وسجلته، ليصحح كلمة أو حتى حرفا واحدا.. وفى كل مرة يراجعنى فيها أجده على صواب وأجدنى على سهو أو خطأ غير متعمد.. فهذا واجبى نحوه.. ولابد أن أقّر به.

وقبل وبعد وفوق كل شئ أعيد وأكرر أننى لست مع حسن التهامي.. ولا مع من يعارضه.. أنا فقط مع المصلحة الوطنية والقومية.. وهو ما دعانى أن أسجل بصدق ما قاله الرجل لأنه ملك عام لكل مواطن. وان جاء بعضه - من فرط صراحته - أمرا قد لايصدقه البعض. وأمرا يستدعى أن يندهش له البعض الآخر. وأمرا قد يؤدى بالبعض الثالث إلى أن يفتح فمه مذهولاً.

١

قهوة باللبن من التهامي وشقة لحماية عبدالناصر

حسن التهامى.. نبت التربة العسكرية الوطنية.. ضابط بالقوات المسلحة المصرية منذ ذلك التاريخ. خدم فى مصر والسودان. قاتل فى حرب فلسطين ١٩٤٨. حاز أعلى الأوسمة العسكرية مرتين، للشجاعة الشخصية ،الأقدام فى القتال. قاد العمل الفدائى ضد قوات الأحتلال البريطانية فى مصر بمعاركه الشهيرة فى القرين والتل الكبير. تولى عدة مناصب بعد ثورة ١٩٥٢. عين سفيرا لدى النمسا، محافظا فى مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى فيينا عن منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا، ونائباً لرئيس المجلس سنة ١٩٦٢. تولى منصب وزير الدولة فى رئاسة الجمهورية فى مصر ١٩٦٩. وكان مستشارا لرئيس الجمهورية. وكان المفكر المحرك الاساسى لمعركة البترول مع الملك فيصل والرئيس السادات ١٩٧٣، شارك فى معركة العبور بتلك السنة.

وإن أسعفتنا الذاكرة وأجدنا المتابعة لنشاط التهامى فإن الرجل قد انتخب أمينا عاما لمنظمة المؤتمر الاسلامى بالاجماع عامى ٧٤ و ١٩٧٥. وادار مؤتمر لاهور للقمة الاسلامية. ووضع أسس العمل الاسلامى واستراتيجيته. وأنشأ الجامعات الاسلامية فى الدول الاعضاء ولجنة القدس للحفاظ على عروبتها. وهو صاحب فكرة المسيرة الاسلامية لتحريرها. وكان على قمة المسيرة المغربية لتحرير الصحراء بدعوة من الملك الحسن ملك المغرب وبالتفاوض مع حكومة أسبانيا، وتوسط فى إعادة العلاقات بين افغانستان وباكستان، وأعاد بوساطته بنجلاديش إلى المؤتمر الاسلامى باختصاصاته، وشارك بالفكر والتوجيه فى إقامة البنك الاسلامى الدولى للاستثمار والتنمية بالتعاون مع الملك فيصل. واشترك مع السادات فى معظم خطواته السياسية فى منطقة الشرق الأوسط الدولية..

كل هذه الانشطة كانت فى ذهنى وأنا أجلس مع الرجل فى منزلة بمصر الجديدة بعد أن صممت على أن أنزع فتيل الصمت عن هذا الكنز السرى الذى يحوى العديد من الاجابات للعديد من علامات الاستفسار الحائرة التى تسبح فى بحر الغموض، والادعاءات، والافتراء، والتزييف.

بعد دخولى وبعد عتاب من جانبه على ما يتقوله المتقولون، رحت اتفحص المكان.. البساطة سمته العامة، وعلم معركة بدر بهلاله ولونه الأسود يملأ المكان على صارى فى

أحد الاركان. جميع اللوحات آيات قرآنية مذهبة على أرضية سوداء. المكتب بسيط أبرز ما فيه صورة القدس مجسمة. الهدوء طابع عام. والعسل الأبيض والشاى والكيك المعمول فى فرن المنزل تم تقديمه. عندما ابتسم الرجل رأيت النقيض تماماً.. وأول جملة قالها : أنا مش عايزك تجر رجلى وتخلينى أتكلم..

ورددت.. سيبها على الله

وحسن التهامى واحد من الرجال الذى تثير شخصيته الانتباه منذ اللقاء الأول به. ذكاء. حدة. سرعة بديهة. ذاكرة يقظة واعية. صراحة إلى حد الايلام الموجع، للذين يراوغون أو يلتفون حول الحقائق ويخشون مواجهة أنفسهم ومواجهة غيرهم.. شخصية حسن التهامى مليئة بالمشهيات التى توقظ الفضول فى أعماق راغبى البحث عن المستور. بالاضافة إلى ذلك فالرجل يكن فى عقله العديد من المثل والمبادئ الخيرة..

فى عام ١٩٢٤، وفى محافظة المنوفية، ولد الرجل. وعاش طوال حياته، وحتى مرحلة الشباب الأولى، مقاتلا وملاكما، ومشاكسا. ومنذ العاشرة وهو يفصح بقوة عن عدم رضاه عن أى شئ خطأ. كان وحده بهذا الشكل والطابع - وباعترافه - أن كل أهله واقربائه كانوا ومازالوا أناسا مسالمين (فى حالهم).

دخل الكلية الحربية عام ١٩٤٠.. وتخرج فى دفعة ١٩٤٢.. زمن الحرب العالمية الثانية. وان زميله فى الدفعة كمال رفعت. وكان وقتها يمثّل عزيز المصرى أمام المحكمة العسكرية (مصرية انجليزية) بالكلية الحربية على أثر محاولته الخروج من مصر بطائرة مع الطيار حسين ذو الفقار صبرى، والانضمام إلى الجيش الألمانى. وحسب ما كان يقال لنا والكلام لحسن التهامى : لكى تتخلص مصر من الوجود العسكرى الانجليزى.

عزيز المصرى.. ودوره

كان عزيز المصرى يعرف الألمان ويعرفونه جيدا لأنه خريج كلية أركان حرب العليا فى المانيا.

بعد خروج عزيز المصرى من المحاكمة حبس حبساً انفراديا فى سجن مصر. ولإعجابنا - الكلام لايزال لحسن التهامى - بشخصيته كنا نزوره مرة كل أسبوع وهو فى حبسه.

ويسهل لنا الدخول ضابط صديق من مصلحة السجون. وقد شد انتباهنا عمق تفكير هذا الرجل وحسه الثورى. وصدق إحساسه الذى لايخيب فى كيفية التخلص من الاعداء.

منذ ذلك الوقت، كما يروى التهامى، بدأنا فى تنظيم مجموعات قتالية للتهيئة لضرب القوات البريطانية فى مصر فى منطقة القنال.. بالذات بعد انسحابهم من القاهرة من

قشلاقات قصر النيل.

دون جهد فى استدعاء المعلومات.. يواصل التهامى : كنا نشترى السلاح والذخيرة من مرتباتنا. وكانت تضم المجموعات نخبة جمعت محامين وضباطا ورجالا من الحركة الوطنية، وشبابا من الجامعات المصرية، أصبحوا فيما بعد سفراء، ووكلاء وزارات، وكبار رجال أعمال الآن، ومنهم من لايزال على قيد الحياة.. وفى أعوام ٤٩ و ٥٠ و ١٩٥١، أى بعد حرب فلسطين، دارت بيننا وبين القوات البريطانية فى القناة وعدد من الأفراد فى القاهرة أعمال من التصفية والتحدى، إلى أن خضنا ثلاث معارك رئيسية فى القناة، وبالذات فى منطقة التل الكبير، حيث كانا الشخصين الرئيسين فى المجموعة يسكنان فى التل الكبير كسكن عائلى، ولهما هناك أملاك زراعية (حسين كامل الناظر ؛ وفيما بعد أصبح سفيرا. وعزيز الناظر ؛ محام). وكان عمدة التل الكبير على جانب من الوطنية والاخلاص لا نظير له، فكانت معارك : القرين والقصاصين، ثم معركة التل الكبير. وكانت آخر المعارك فى يناير ١٩٥٢، وهذه المعركة استشاط لها البريطانيون غضبا ؛ لأننا بناء على توجيهات عزيز المصرى وخبرته فى حرب العصابات أوصانا بضرب القوات الانجليزية ضربة قاصمة فى مكان معين، يؤدى إلى هز مشاعر البريطانيين فى لندن، حتى يكون لها التأثير الايجابى على الحكم البريطانى.

واخترنا معسكر «مرشح المياه» فى التل الكبير، كان بابه على طريق القاهرة الاسماعيلية الزراعى، ولقربة من نقطة التمركز فى التل الكبير. وبعد المعاينة الكافية، كانت الخطة لقتل كل من فى هذا المعسكر من بريطانيين وقد كان ! فقد قتلت وحداتنا حوالى ثلاثين جنديا بريطانيا، ومعهم الضابط فى ساعتين. وخلا المعسكر تماما من القوى الدفاعية. وحضرت قوات مدرعة من داخل القشلاقات الإنجليزية.

تمريض الطبيب !

وعملا بقواعد الحرب الفدائية، تم سحب قواتنا، قبل أن يتعرض لنا البريطانيون بدباباتهم حمالات البريل (رشاشات). وسحب القوات من التل الكبير قبل الفجر. ودخلنا القاهرة آمنين. ولم تحدث أصابة فى أى من أفراد المقاومة .. إلا فى الطبيب المرافق للقوة ! إذ انحدرت به السيارة الجيب فى الطريق الخلفى للتل الكبير / القاهرة، عند بركة العباسية، واصطدمت سيارته بشجرة كافور، فقمنا نحن بتمريضه !

حدث بعد هذه المعركة بالذات تطوران مهمان فى وجه المقاومة المصرية.

– أولهما : أن الشرطة المصرية قامت بالاستيلاء على كل مخزوننا من الذخائر، عندما هاجمت منزل أحد أفراد المجموعة، وامكننا استخلاص الأفراد المعتقلين بالوساطة.

- والأمر الثانى : فقد كان - كما اشار عزيز المصرى - بإقامة محاكمة فى البرلمان الانجليزى ثم مساءلة الحكومة فيها : ما هى الفوائد التى تجنيها بريطانيا من قتل ابنائها على أرض مصر؟ وتحولت السياسة البريطانية إلى ضرب الوطنية المصرية. فهاجموا مركز الشرطة بالإسماعيلية فى يناير وعجلوا بحريق القاهرة. تلك الأسباب وغيرها، عجلت بموعد قيام الثورة المصرية. فكان الموعد الأصلى فى أكتوبر وتم تقديمة إلى يوليو.

حريق القاهرة

- على ذكر حريق القاهرة، والتعجل بموعد تنفيذه، فإن الحريق لايزال مادة شك وتساؤل من زاوية السؤال الحائر حول: من الذى عاون البريطانيين من الأحزاب والفرق القديمة فى هذا الحريق.. حيث اشتعل الحريق دفعة واحدة وفى أماكن متفرقة.. ومازال الباب مفتوحا للقيل والقال.. ما رأى حسن التهامى أو تعليقه؟

- ردى على ذلك، من خلال تحليلى الشخصى، أن روح الوطنية فى مصر فى ذلك الوقت، كانت تمنع أى قوة أو تجمع أو تكتل لايذاء مصر. بل كان العكس صحيحا، وبنظرة واقعية نقول : إن الوجود البريطانى فى قلب القاهرة دام أكثر من ٩٠ عامًا، وبها فنادق ومحلات عامة يقوم بالخدمة فيها مصريون مع أجانب. وأن هذه المجموعات كانت تغطى معظم مرافق القاهرة، ومثل هذا العمل - أى حريق - لايتم إلا بتدبير أجهزة المخابرات البريطانية. فكان يكفى أن تعطى التوجيهات والإمكانات - على بساطتها -إلى عملائها فى هذه الأماكن. بدليل أن أول حادث للحريق، كان فندق شبرد المصرى العريق!

إننا كوطنيين ومقاتلين نضع اللوم كاملا على الاستعمار البريطانى، وليس على أى هيئة من الهيئت المصرية.

التيتل الذى دفناه

- نعود إذن إلى دور حسن التهامى قبل الثورة، ونشاطه فى العمل الفدائى، والعمليات الوطنية الخاصة، ونتوقف قليلا لنعرف سر «التيتل» الذى قال عنه أنور السادات فى واحدة من خطبه.. وعرفنا أنك عاتبته بعد ذلك.. فما صحة ما وصلنا؟

- هذا الأمر يدخل فى إطار العمليات الخاصة جدا، وكان يستهدف تفجير باخرة بترول فى قنال السويس، وهو ما أطلق عليه (عملية اللغم).. وكان ذلك عام ١٩٥١، قبل الثورة، وقبل معركة التل الكبير، وقبل الحريق، واللغم صنعه الضابط صلاح هدايت (وزير البحث العلمى ورئيس هيئة الطاقة الذرية فيما بعد). وقد قمنا بتقفيله وتشميعه وتجهيزه للنقل فى قشلاق العباسية، وخرج من مجموعتنا فى تلك الليلة اثنان من المقاتلين

فى تنظيم الاخوان السرى وكان ذلك فيما عرف بأنه أول تعاون بين الضباط الأحرار والاخوان المسلمين قبل الثورة.

وكان الضابط جمال عبد الناصر حاضراً لحظة تقفيل «اللغم» وتحركت كل القوة المطلوبة. إلا أن اللغم لم ينفجر لأسباب خارجة عن إرادتنا. ورغما عنى شخصيا. لأننا بعد أن انتقلنا إلى موضع التفجير، ولم تحضر المركب إلى المكان السابق الاتفاق عليه، قمت بمطالبة المجموعة بحمله معى(وكان ثقيلا جدا، أكثر من ٢٥٠ كيلو جراما).. تم تعويمه على سطح الماء اذ كان فيه فراغ للتعويم. وطلبت منهم ن أفجره بنفسى فى المركب، ويتم بذلك الإنجاز الوطنى. لكنهم رفضوا بعنف. وكدنا نصطدم بعضنا بالبعض الآخر لهذا السبب، وهو رفض التعويم ورفض فكرة الانتحار مع اللغم.

وهذا الحادث ذكره أنور السادات باختصار، واسماه (موضوع التيتل الذى دفناه) والتيتل معناه الوعل الكبير، أو الحيوان البرى الوحشى الضخم الموجود بالغابات. وقد قال أنور السادات إن حسن التهامى هو الذى قام. بهذه العملية. وقد عاتبته بعدها، وقلت له لماذا تفصح عن هذا قبل أن تستشيرنى، لأننى لم أكن أريد أن أفصح عن أى شئ فعلته لأهداف وطنية.. ورد السادات وقتها :أنا قلت.. وخلاص!

بدايات العلاقة بعبد النا صر والثوار

- مادامت ثغرة الحوار قد انفتحت لنطل منها على شخص مثل أنور السادات، فإن الحوار يجرنا من باب أولى إلى عبد الناصر لنسأل عن بداية علاقة حسن التهامى بالثورة، وكذلك علاقته بجمال عبد الناصر؟

- معرفتى بجمال عبد الناصر ليست هى أول العمل الوطنى، بل جاءت فى مرحلة لاحقة جدا.. بدأت فى العام ١٩٤٧، عن طريق ضابط وسيط. ولم نكن نبالى لشخص عبد الناصر، أو لغيره ومن هم فى مستواه، فقد بدأت صلتنا بالعمل الوطنى واستمرت انطلاقا من المدرسة الفكرية للفريق عزيز المصرى، رئيس أركان حرب الجيش المصرى السابق.

وذات يوم وأنا فى طريقى إلى وحدة القتال فى فلسطين عام ١٩٤٨، زرت جمال عبد الناصر فى خيمته على الطريق العام، وكان يتغدى وحده. وأخبرته بأننى حضرت للكتيبة السادسة مشاة.. وسوف نلتقى مرة أخرى فى هذه الحرب.

وزرته مرة اخرى اثناء الحرب فى عراق المنشية، وهو أركان حرب الكتيبة السادسة. وكان أحد أصدقائى وزملائى الضابط أحمد المنياوى فى الكتيبة وضمن قواتها. وكنت عندما أزور المنياوى، أزور عبد الناصر، لمجرد تجديد المعرفة. ولم نكن قد تشاورنا أبدا فى

العمل الفدائى، لأنه لم يكن أصلا عضوا معنا!

وعندما عدنا من حرب فلسطين وحدث فيها ما حدث. وتجددت الصلات بيننا وبين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر. وبدأنا فى تسليح الأفراد الذين نعرفهم. ولم نتصل بأى مجموعات أخرى حتى ذلك الوقت، لأنه لم يكن يعنينا آبدا أن يعرف عنا أى فرد حقيقة موقفنا حرصا منا وخوفا على عزيز المصرى.

وبمرور الوقت وجد حسن التهامى نفسه وزملاءه فى مواجهة ضرورة لازمة تتمثل فى أهمية وجود تظيم ما فى الجيش. ولحظتها كان جمال عبد الناصر ويوسف صديق من الأفراد المحركين للعملية. ولفت نظر التهامى، ومعه كمال رفعت ضرورة حماية عبد الناصر، لأنه لو تم القبض عليه، كان من المتوقع تجميع المعلومات لفترة غير محددة، لحين وجود قائد بديل غيره.

شقة بجوار عبد النا صر

ويقول التهامى: فتوجهنا أنا وكمال رفعت إلى عبد الناصر فى بيته. واقترحنا عليه ضرورة حمايته من الاعتقال أو المهاجمة. وبحثنا عن شقة خالية بجواره أو حوله فى كوبرى القبة لنشغلها، بقصد منع القاء القبض عليه. واعطيناه بعض الأسلحة للدفاع الشخصى. وكان يضعها تحت سريره.

وللحقيقة نذكر هنا أن حمدى عاشور هو الشخص الوحيد الذى عرف عنا، ورأيناه فى بيت عبد الناصر. وكان يعرف موضع السلاح الذى تحت سرير عبد الناصر وكان مخلصا فى ادائه الوطنى.

والغيت فكرة حماية عبد الناصر من الاعتقال، وقلنا الأفضل أن يتستر ولا يزيد من نشاطه.

وفى نفس هذا الوقت بلغنا أن مجموعة من مجموعات القصر الملكى قد توجهت إلى يوسف صديق فى بيته، لاختبار نواياه، ولايهامه بأنهم متطوعون للسير معه فى تنظيماته. وكان أحدهم ضابطا بالجيش أعرفه - الكلام لحسن التهامى - وكنت وقتها ضابطا بالمخابرات الحربية. وقد ابلغنى الضابط بذلك. وأنه تم اللقاء الأول مع يوسف صديق.

يايوسف بلاش شغل التغفيل ده!

وقصصت هذه الواقعة لعزيز المصرى، من باب تبادل المعلومات.. فقال لى: ياحسن أكتب ليوسف صديق يمتنع عن مقابلة هؤلاء الناس، أو الإفصاح لهم بشئ. فكتبت له خطابا بهذا المعنى. وأرسلته على بيته بالبريد. وأطلعهما على الخطاب. وابلغنى صديقى الضابط بالحادث. وأنهما اطلعوا على الخطاب المرسل منى إليه! فأرسلت خطابا آخر بما

معناه : يايوسف بطل شغل التغفيل اللى بتعمله، ولا تقابل هؤلاء الناس. واحترس.
وقابلهم بعد ذلك، ولم يطلعهم على خطابى الثانى وانهى مواعيده معهم.

ثورة التهامى وفنجان القهوة!

- قد لايعرف الكثيرون ثورة حسن التهامى العارمة فور سماعه بمبادئ الثورة التى قالها له عبد الناصر عندما زار التهامى فى بيته.. ووصل غضبه حد الاحتداد فبادرته قائلا أين الحقائق فى هذه الرواية ؟

- ذات يوم جاء عبد الناصر وعبد الحكيم عامر إلى منزلى فى مصر الجديدة. وكانا قد حضرا قبل ذلك عدة مرات. واخرج عبد الحكيم ورقة مكتوب فيها(اقترحات على مبادئ الثورة). وكان معى فى البيت كمال رفعت، ينتظرهما، وقال عبد الحكيم : جئنا نتشاور معكم أولا قبل أن نعرضها على مجموعة الضباط.

ولما قرأ عبد الحكيم عامر مبادئ الثورة، ثرت فى وجهة.. ألهذه المبادئ نقوم ونضحى ونغير نظام التاريخ المصرى؟! إن هذه المبادئ أقل بكثير مما نسعى إليه. أين مجد مصر وتاريخها، وواجباتها التاريخية؟ وأين نحن من الشرق الأوسط كله؟ وأين قيادة مصر من العالم العربى؟ وأين المثل الأعلى والقدوة؟ وأين الاخلاص والتفانى حتى الموت فى سبيل اخراج مصر إلى النور؟

أين .. وأين .. وأين؟! حتى ثرت... وخرجت وخرج معى كمال رفعت من حجرة الضيافة، وقال لى بالنص : ياحسن دول فى بيتك، أنت عمآل تزعق وتشتم. واتفقنا على أن تكون هذه المبادئ بداية لأهداف الثورة. وأنها سوف تتطور بعد ذلك، وبعد تغيير نظام الحكم.

بعد ذلك دخلنا الغرفة، لكى أبرد هذه النزلة الكلامية عليهم. شاورتهم فيما يريدون أن يشربوا. فاتفقنا على فنجان قهوة باللبن، وكنا فى الشتاء. وهدأت النفوس. وقلت لهم ممكن أن تأخذوا هذه المبادئ كبداية للعمل الوطنى. فخرجت مبادئ الثورة الستة بإجماع الضباط الأحرار. وكان عبد الناصر لايزال يذكر هذا الفنجان للقهوة باللبن كلما اشتد بينى وبينه - شخصيا - النقاش فى أى موضوع. فيقول : يظهر أننا لازم نفتكر فنجان القهوة باللبن اللى شربناه فى بيتك!..

يعنى ترجع للهدوء!! ولم ينسها طول حياته!

٢

التهامي يقلب الترابيزات
في وجه عبدالناصر

«وينكش» حسن التهامي في مذاكرته وفي أوراقه عقب سؤالي له عن بعض الأسماء التي سبقت حركة الضباط الأحرار ونشاطهم وتنظيمهم.. في مجال العمل الوطني وتدرجه.. ويقول :

– وفاء للتاريخ والأشخاص الوطنيين نقول بكل صراحة وتأكيد إن الذى كان يشكل مجموعات الضباط الأحرار هو الصاغ أحمد وجيه (سلاح المدفعية) وكان أقدم من عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وإن كانت تربطهم صداقة. فله السبق فى إحياء روح الوطنية فى ضباط الجيش. وكان ذلك فى أوائل الخمسينات وقبل الثورة.

وفوجئنا نحن فى ذلك الوقت بمقتله بواسطة سيارة صدمته فى الطريق العام.. فمات! وكان من أقرب المقربين إليه منذ ذلك الوقت المبكر جمال سالم. وكان جمال سالم يتبادل معنا الآراء الوطنية والعمل الوطنى بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. وكان بطبيعة عمله منكرا للوجود البريطانى فى مصر، بالرغم من أنه عمل فى أثناء الحرب طيارا يقود الطائرات من إيطاليا إلى مصر، تعزيزا للوجود العسكرى البريطانى، حسب خطة الحكومة، للتعاون بين الحكومتين.

وكان جمال سالم جريئا، وكذلك كان أحمد وجيه، لا يعبأ بالقوى المضادة. وكانا– هو وأحمد وجيه – أكثر سمعة فى وسط الضباط من جمال وعبد الحكيم.

وبصراحة ؛ كانت الروح الوطنية متأججة فى نفوس الضباط، والمدنيين، على حد سواء. وأنه قد حان الوقت للتغيير الشامل فى حكم مصر بعد الحرب العالمية الثانية. وكان الاجماع المتفق عليه أن عزيز المصرى يمثل منبع الروح الوطنية، من ذلك التاريخ. واتفقت أنا وكمال الدين رفعت أن نأخذ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر إلى الفريق عزيز المصرى.

وبعد هذا اللقاء طلب منى جمال عبد الناصر، وهو فى مجلس الثورة، أن يقابل عزيز المصرى. فأحضرته له. والتقيا. وتحدثا. وأذكر أن تركيز عزيز المصرى فى تلك المقابلة كان فى نصيحة القادة الجدد فى مواجهة الاستعمار البريطانى، عن طريق الاتصال المكثف «بالبولشوفيك» ويقصد بهم : الاتحاد السوفييتى، وكان يسميهم هكذا، لأنهم العدو

الطبيعي لبريطانيا . وهذه هى النقطة الوحيدة التى التصقت بذهن عبد الناصر من هذه المقابلة - حسب أقوال عبد الناصر لحسن التهامي.

وحسن التهامي له وقفة أمام تساؤل دائر حول ما كان من عدم وقوع الاختيار على عزيز المصرى ليكون أول رئيس للجمهورية بعد إزاحة الملك.. فهو يسجل : أن عبد الناصر لم يرض ، ولم يسمح بتعيين عزيز المصرى رئيسا للجمهورية بعد الثورة ، بقوله إن سنه كبيرة.. وأضيف - الكلام للتهامي - : أن شخصية الفريق عزيز المصرى شخصية قوية ووطنية ونفاذة إلى قلوب الناس بلا حواجز أو حدود.

وكان هذا اللقاء بين عزيز المصرى وناصر فى مبنى مجلس قيادة الثورة.. وقد قلت هذه السطور.. لإعطاء ملهم الوطنية المصرية بعض حقه من الكتابة..

ثم كان الإجراء الذكى لعبد الناصر أن قامت الثورة (عبد الناصر ونجيب) بتعيين عزيز المصرى وزيرا مفوضا بالاتحاد السوفيتى، حسب مستوى التمثيل وقتئذ، ثم رفع التمثيل إلى سفارة.. وكان عزيز هو السفير.

تبلورت أفكارنا الوطنية ابتداء من العام ١٩٤٢ ، عند انسحاب البريطانيين أثناء الحرب الثانية. وتركزت فى عام ١٩٤٨ ، عندما طعنتنا القيادات التقليدية التافهة طعنات فى ظهرنا كضباط وجنود.

وفكرنا فى ذلك الوقت بشكل جدى أنه قد آن الأوان أن تتحول الوطنية العسكرية إلى أداء منظم مخطط مستفيدة بالوطنية العامة المصرية، لوضع نهاية ايجابية للوجود العسكرى البريطانى على أرض مصر. هذا التحرك نبع من مطالبة الضمائر والنفوس والأرواح لأن تتحرر من هذا الوضع الشائن فى تاريخ مصر ، فكانت الخطوة التنفيذية لانطلاق الوطنية المصرية العسكرية. والتنفيذ يستهدف هنا التحرر من هذه الأوضاع كلها ، سواء من الاستعمار البريطانى أو أذنابه أو المتعاطفين مع وجوده. ولذلك أصبحت الحرية ملازمة ومترابطة تماما مع الوطنية.

الوكيل.. والمنشورات

وكان الزميل اليوزباشى محمود فوزى الوكيل صديقى الشخصى ودفعتى، هو الموكول إليه طبع منشورات الضباط الوطنيين. وكانت المنشورات هى لغة التخاطب بين أعضاء التنظيم وضباط الجيش الآخرين، ومع مستوات أخرى كبيرة من النظم الوطنية، والأفراد.

وكان الوكيل يطبع هذه المنشورات فى مركزه فى وحدة الإشارات فى منشية البكرى على الماكينة الرونيو ، ومعه شخص واحد هو «الصول عمرى».

الصول عمرى

وفى يوم من الأيام وبعد صدور عدة منشورات بتوقيع (الضباط الوطنيون)، ومن كثرة مافادت به هذه المنشوات بالعمل الإيجابى للتحرر من هذه الأوضاع السائدة فى مصر كلها، توقف «الصول عمرى» مرة أمام منشور قبل طبعه..

وهذه القصة أرويها كما قالها لى «الوكيل» شخصياً.. وكان يسكن فى شارعنا، على بعد أمتار من بيتنا، وكان صديقا حميما وطنيا..

يقول «الوكيل»:

توقف «الصول عمرى» عن الطباعة وقال لى: ضباط وطنيين إيه يا أفندم؟! ماكلّنا وطنيين ده لازم يكون التوقيع: (الضباط الأحرار) لأن الحرية هى المكملة للوطنية والعمل الإيجابى.. وأنتم مبدؤكم هكذا!

وقال الضابط الوكيل:

فغيرت الإمضاء فورا بهذا المعنى.

ويعود التهامى لروايته:

لقد تمثل فى ذهن الوكيل تحول العالم الوطنى إلى تحرير لمصر. فوقع المنشور باسم (الضباط الأحرار) وخرج التوقيع منذ ذلك الوقت من الصول عمرى.

وفى الواقع أن هذه التسمية هى التسمية القريبة من الحقيقة، الأقرب إلى الفعالية. فكانت هذه التسمية نابعة من الشعور الوطنى العميق فى نفوسهم ونفوس الضباط. وأصبحت معبرة عن العمل الإيجابى الضرورى فيما بعد ذلك. وكانت تسمية واقعية فى موضعها تماما.

ولم يحاول أحد أن يسأل بعد ذلك: لماذا تغير التوقيع؟ ومن الذى غيره؟ لأنه صادف فى نفوس الجميع إقبالاً وتقديرا. وأصبح هو الشعار الإيجابى لعمل الضباط. ومن قال غير ذلك فهو مخطئ أو على الأقل لايعرف.

وكانت هذه المنشورات تعطى لبعض أفراد معروفين من تنظيم الضباط الأحرار. ويتحملون مسئولية توزيعها. وحسب الانضباط العسكرى. كان جميع الأفراد لا يسألون عن خط سيرها.. ولا من ينفذ طبعها.. ولا لمن توزع.. مادام ذلك لايخصهم ولايعنيهم.. المهم أن توزع وتصل وفق الخطة المرسومة لذلك.

عزيز وفاروق

ـ أشعر بمدى تأثرك بعزيز المصرى وأنه قد ترك بصماته واضحة على سلوكياتك كضابط، مناضل وطنى.. وربما استدعى ذلك أن أتساءل عن صفة الحماس التى وصلت حد العنف التى عرفت عنك.. وما دوافعها.. وما علاقة ذلك بالوضع الوطنى قبل الثورة

وبعد حرب فلسطين . . ثم بعد ذلك ؟

- نظرية عزيز المصرى كانت دائما التخلص من الأعداء . لا وقت للتعامل معهم . بل لايصح التعامل معهم . لذلك كان تفكيرنا دائم فى التوجه إلى العنف أو اتخاذه أسلوبا . وكان لابد من التخلص من الاستعمار ، والمواجهة معه شديدة . والأخطر من الاستعمار ، كانت ركائز الاستعمار فى مصر ؟ التخلص من الركائز بإنهاء حياتها بأى شكل من الأشكال ليسهل عليناإخراج الحكم البريطانى من مصر .

كان عزيز المصرى يقص لنا عبرا كثيرة من حربه فى البلقان . وكان يعتبر الأمر مغامرة وطنية لابد من السير فيها لنصل إلى الحل الأخير ، وهو التحرير من الوضع السائد فى مصر كلية . وإعادة الشعب المصرى إلى مركزه الحقيقى فى الشرق الأوسط والعالم وفى مواجهة تاريخ مصر الذاتى .

وكان يرى فى ذلك عدة شخصيات لابد من التخلص منها مثلا : حسين سرى باشا ، ركيزة من ركائز الاستعمار فى مصر . وكان وزير المالية فى حكم الملك . فكان ركيزة بلا حدود . بمعنى أنه كان إنجليزيا . كذلك كان أمين عثمان . وأشخاص آخرون بالدرجة الثانية من الأهمية مثل أحمد حسنين ، رئيس الديوان الملكى . لأنه أفسد فاروق . والملك فؤاد لم يكن على درجة من فساد فاروق . وأراد أن ينمى علم وكفاءة ابنه فاروق قبل أن يكون «فاروق الملك» . فأرسله إلى انجلترا للتزود من العلم ، وليتعرف على العالم الخارجى . واختار اثنين ليصاحبا ابنه : أحمد حسنين باشا لرعايته الشخصية . وعزيز المصرى لتربيته العلمية .

كان أحمد حسنين يريد أن يستحوذ على فاروق للمستقبل ، فكان يأخذه بالليل عندما يأمره عزيز المصرى بالنوم ليستأنف العمل صباحا . كان حسنين يأخذه إلى الحانات الإنجليزية فى لندن وبيوت الدعارة وبيوت الشذوذ الجنسى النسائى . وحاول عزيز المصرى أن يمنعه عدة مرات ولم يفلح . فترك المهمة ونزل إلى مصر .

واشتكى ذلك إلى الملك فؤاد . واعتزل عزيز المصرى منذ ذلك الوقت . وفقد أمله فى أن يكون فاروق ملكا صالحا .

كان عزيز على علم عسكرى وتفكير وطنى سليم ومنفذ . وكان يقاوم من أعوان الملك . وعندما واتته فرصة التحرير من كل ذلك وتحرير مصر من هذه الأوضاع كلها أخذ الطائرة التى كان يقودها حسين ذو الفقار صبرى ليلا قاصدا مابعد العلمين ليلتقى بالمارشال روميل ويقود القوات الألمانية لكسر القوى البريطانية نهائيا من مصر كلها .

وشاءت الأقدار أن تسقط الطائرة لخطأ بسيط قصه لى عزيز ، إذ بعد أن أدار حسين

صبرى المحركات (اثنان) وطار فى الجو سأل عزيز المصرى حسين ذو الفقار صبرى الطيار وهو يقود الطائرة : أنت متأكد أن خزان الزيت مفتوح ؟ ! أجابه بالايجاب . ولكن عزيز المصرى زيادة فى الحرص حرك مفتاح الزيت من وضع الفتح لوضع القفل بناء على خطأ ، أو هكذا كانت الأقدار فاحترقت الموتورات قبل أن يعبر الأجواء المصرية . ونزلت الطائرة فوق أشجار منطقة المرج ! ونجا الاثنان بأعجوبة . وهربا ثم قبض عليهما كما هو معروف .

من هنا كانت المدرسة الفكرية لعزيز المصرى هى مدرسة : الجرأة والعنف ، والقرارات والتحركات القاطعة الموصلة للهدف مباشرة . وكثيرا جدا ما تحدث إلينا عزيز المصرى عن خبرته فى هذا المجال . وبصراحة كان فكر عزيز المصرى هذا يصادف طبيعتى بالسليقة . وكان هو يشعر بذلك .

وفى مرة من المرات كنا فى بيته أنا وكمال رفعت وصلاح دسوقى . وبعد العشاء ، وكان دائما يقول لنا : لازم تقرأوا . . اقرأوا . . اقرأوا . . لأن التاريخ خبرة وعلم ، وأول مايلزم القائد أو من يتولى المسئولية . وقمنا إلى مكتبه معه وأنزل من الرف كتابين عن قصص التحرك السياسى فى قلب أوروبا . ثم تناول كتابا معينا كان يحتفظ به . وسلمه لى بعد أن كتب عليه : إلى أخى حسن التهامى متمنيا له التوفيق والنصر . كان هذا الكتاب بالإنجليزية وعنوانه : «تيمور لنك الذى هز الأرض» وتيمور لنك معروف فى التاريخ الإسلامى بأنه زحف من شمال الهند إلى آخر البقاع الإسلامية قرب حدود روسيا ، وكان يقود (٦٠٠٠٠) حصان وفرس . وكانت تهتز الأرض فى المدن التى كان يقصدها قبل أن يصلها ، وكان له فكر عسكرى ناضج . ولم يقف فى وجهه أحد إلا هلكه ، وأصلح شئون التتار والمغول كلها فى أقل من خمس سنوات . ولم يقم بعده قائد على هذا المستوى . وكانت هذه لفتة من عزيز المصرى تدل على عمق تفكيره وفهمه للناس .

ناصر وعامر مستجدان

لم أقدم على فعل شئ ذى قيمة إلا بعد التشاور مع عزيز المصرى . كان ذلك منذ أن تخرج عزيز من سجنه بعد محاكمته عام ١٩٤٢ . وكنا ما نزال ضباطًا على درب الجهاد فى البداية . ولم يكن لا عبد الناصر ولا عبد الحكيم ولا غيره إطلاقا ذا ذكر فى هذا الميدان . بل كنا أنا وكمال الدين رفعت نعتبر هؤلاء دخلاء على العمل الوطنى «مستجدين» فيه . وكانت صفة السرية فى كل مانعمل ضرورة فى حياتنا لضمان النجاح . والتـ · على القائد الأصلى وهو عزيز المصرى .

ولذلك أقول إن تعرفى على عبد الناصر وعامر وهؤلاء الناس جاء فى أواخر عام ١٩٤٧ . ثم فى أثناء حرب فلسطين ١٩٤٨ . . وكانت مرحلة لاحقة جدا لمرحلة الاعداد

للعمل الوطنى والمشاركة فيه والأقبال عليه. وكان عبد الناصر وعامر هما وغيرهما يعرفون هذا الوضع. واستمر هذا الحال حتى موت عبد الناصر، وكذلك عبد الحكيم عامر وبعض أفراد مجلس الثورة الذين عرفونا عن قرب بعد الثورة. وبعضهم لم يكن يعرفنا حتى بعد الثورة معرفة جيدة. ولم نكن يعنينا هذا أبداً. لقد كنا بصريح العبارة قوة أخرى مستقلة فى العمود الفقرى لتنظيم الجيش..

مالكوش دعوة بالتهامي!

- ما صحة أن جمال عبد الناصر كان يقول اتركوا التهامى يفعل مايريد.. ولماذا؟..

- عبد الناصر، كما قلت، كان يعيش هذه الأفكار التى عرفت عن تاريخى الوطنى قبل أن يعرفنى. وكان يعرفها جيدا ويقدرها. وفى نفس الوقت يعرف أنه لا ولاية لأحد علينا أنا وزملائى فى العمل الوطنى. حتى وهو رئيس للجمهورية يتعاون معى.. ويستعين بأفكارى وقدراتى.. نعم.. ولكن سيطرة علىَّ: لا!

كان عبد الناصر دائما يقول لأعضاء مجلس الثورة: مالكوش دعوة بحسن التهامى. لأنه لن يغيره أحد. وليفعل ما يراه، دون اعتراض أحد منكم، ولا الوزراء. حسن التهامى ليس مشكلة بالنسبة لى، لأن وطنيته هى هدفه الحقيقى فى حياته، وليس له مطالب. ولذلك فإن تأويل ما يفعله التهامى دائما هو المصلحة العامة.

وكان هذا التوجيه من عبد الناصر لمن حوله من وزراء ومعاونين ومسئولين يريحنى فى كثير من التصرفات، فكنت فعلا شبه مستقل فى عملى فى الدولة كلها. ولم أفعل شيئا إلا لمصلحة مصر، كما أراها.. والحمد لله.

على سبيل المثال؛ عندما كنت اختلف معه فى بيته. وكانت لقاءاتى كلها فى بيته.. وفى بداية الثورة.. وكنت ألتقى به يوميا فى الصباح، وأنا فى طريقى إلى المكتب نتبادل دائما الأفكار والآراء والأحداث.

وفى مرة من المرات. وفى وقت لاحق جدا، اختلفت معه اختلافاً جذريا حول المصلحة العامة. فدفعت فى وجهه الترابيزه.. وتلقاها بين يديه وقال: بس.. بس.. كفاية ياحسن.. أنت عايز تقول إيه؟!

وحدث هذا عدة مرات لدرجة أننا اختلفنا مرة حول نقطة فى غاية الأهمية هى أن شخصا ما (ضابط فى الجيش) دبّر ضده مؤامرة لاغتياله. وكان للمخابرات الأمريكية يد فى هذا التدبير وأنا سفير بالنمسا، فى منتصف الستينات. وسربت المخابرات الأمريكية، هذا الخبر المفتعل إلى عبد الناصر. فقبض عليه هو ومجموعة معه. وعند نزولى مرة إلى القاهرة فى ذلك الوقت، مع مدير وكالة الطاقة الذرية الدولية لأعرفه عليه، قال لى:

(لاتغادر مصر ياحسن).. قالها بمنتهى الهدؤوء وأضاف : (حتى نتقابل مرة أخرى، لأن عندى موضوع سأتحدث إليك فيه. وكنا على باب بيته الخارجى).

وشعرت أن الموضوع فيه فتنه قد بلغته، أو هو يبحث عنها. فقلت له: (لا.. دلوقتى.. الآن) وشددته من يده داخل البيت. فقال لى: اعمل معروف استنى علىّ شوية ! وكان يقصد بذلك بضعة أيام، ليستكمل التحقيق مع مفتعلى هذه المؤامرة.

وعندما قابلته بعد بضعة أيام قلت له : الآن فهمت ! أننى لايمكننى أن أقول لك إن أنت (مكار) لأن هذا الاصطلاح صغير على هذا الموقف : أنت داهية من دواهى هذا الزمان. وقبل أن يتكلم قلت له: الآن تأكدت من أى شئ؟! فقال لى إنه مستغرب أنى أقود عملية كبيرة كهذه وأنا فى الخارج. وكان مضمون العملية أن يتم ضرب عبد الناصر بمدفع رشاش وهو فى أحد المساجد فى صلاة الجمعة وأن يأتى الضرب فى الظهر !

وأضاف جمال :

أنا مستغرب لأنك لما تحب تضربنى ح تضربنى فى وجهى لا ظهرى وكنا نختلف كثيرا.. وياما قلبت علىّ ترابيزات ولم أزعل !

فقلت لعبد الناصر :

-- هذه حقيقة أنت تعرفها.. فإذا كان هناك ضرورة لقتلك سوف أقتلك فى وجهك وبعد أن أنذرك..

وكان الأمر من بدايته حتى نهايته مجرد مكيدة من المخابرات المركزية الأمريكية لأنهم كانوا يعتبروننى العقبة الوطنية العنيفة التى يمكن أن توقف نشاطهم فى مصر فى يوم من الأيام.. وقد تم كشف المكيدة المدبرة.

٣

البرج برئ من دولارات الدعم الأمريكى لعبدالنا صر

لماذا فكر حسن التهامى فى إنشاء برج القاهرة.. وماذا فعل به وفيه بعد الإنشاء؟.. ومن الجهة التى مولت خرسانات وأجهزة البرج.. ولماذا تم اختيار حديقة الزهرية مكانا له.. وما الذى قاله عبد الحكيم عامر عندما صاحبه إلى مبنى البرج.. وما حقيقة واقعة أخذ الثلاثة ملايين دولار من المخابرات المركزية الأمريكية فى عهد عبد الناصر.. ليتسلمها التهامى ويجدهاناقصة ورقة فئة ٢٠ دولارا.. فيقول مش مهم عشرين دولارًا ؟!

الاجابات نحاول العثور عليها من حسن التهامى الذى تأهب لبدء القصة.. وقال:

– ذات يوم من عام ١٩٥٤، ونحن فى مبنى مجلس الثورة طلبنى عبد الناصر من مكتبه، وقال أن أمين شاكر مدير مكتبه قد ترك وظيفته. وقبل جمال عبد الناصر استقالة أمين، لأسباب كنا نعرفها وقتئذ.

فهمت مغزى المكالمة.. وقلت لعبد الناصر إن اصطلاح مدير المكتب عمل إدارى، وأنا لست مدير مكتب أى أحد.. ولا أنت!

سكت عبد الناصر ولم يرد أو يعلق.. وبعدها بأسبوع عيّن على صبرى مديرا لمكتبه. واستمر على صبرى على مركزه إلى نهاية العمر. وأنا فى نظرى – والكلام لحسن التهامى – أن كل إنسان بما كسبت يداه.. وبما يعمل وينتج ويبنى. وبهذا المفهوم بدأت أتطلع إلى ترك مبنى مجلس الثورة الذى كان مرتبطا بشكل من الأشكال برئاسة الحكم مباشرة. ويسير فى ركاب الأحداث. وأنا بطبيعتى لم أساير قط لا الرئيس محمد نجيب وقتها، ولا عبد الناصر، ولا أحد.

قررت أن أعمل أنواعًا من العمل تحتاج إليها مصر وتبنى شيئًا فى صرح الحكم، ويكون له قيمته وتأثيره البناء فى سير الحياة على أرض مصر. فكرت وقتها فى بناء صرح يفوق فى أرتفاعه الهرم الأكبر، رمزا لسموّ العهد الذى تعيشه مصر فى مجدها الجديد. على أن يكون هذا البرج الشامخ صاحب رسالة. وكنا فى وقتها نفكر فى تطوير أدوات الحكم فى مصر. وكانت إحدى زوايا الركود فى العمل: مستوى الاتصالات بين مصر والخارج والاتصالات المباشرة بين أدوات الحكم. بين الرئاسة والجيش والوزارات ومراكز العمل الرئيسية فى الحكم.

كان هذا التفكير قد تبلور فى ذهنى على أن يقوم بأدائه على المستوى التكنولوجى العالمى جزء من هذا الصرح. وكان معى فى العمل بعض الضباط المخلصين والمتخصصين فى مجالات الاتصالات السلكية واللاسلكية من سلاح الإشارة بالجيش المصرى. وفكرنا فى عمل قاعدة لهذه الاتصالات تربط بين مصر فى الداخل بعضها ببعض، وتربط مصر بالعالم الخارجى عن طريق الاتصال المباشر بسفارات مصر فى الخارج.

وبعد عدة زيارات ميدانية تمخضّ المشروع عن ايجاد شبكة اتصالات لاسلكية وشبكة تليبرنتر (مثل الفاكس ولكن بأجهزه). وكنت قد شرعت فى بناء المبنى. وكانت معى لجنة من المهندسين، منهم قائد سلاح المهندسين العسكرى بالجيش، والمهندس نعوم شعيب، صاحب تصميمات أعلى مبان فى القاهرة وخبير الخرسانات المسلحة.

واستقر الرأى على اختيار حديقة الزهرية لهذا المبنى، لتوسطه القاهرة، وللفراغ المتاح بمواصفات خاصة جدا، منها أننا نزلنا بالقاعدة الخرسانية كلها إلى مستوى المياه الجوفيه فى الأرض، وذلك لكى يستقر المبنى على طبقة خشنة من الرمال، ووسط الماء. وتخطينا عدة مشاكل أخرى، مثل وقاية هذا الارتفاع الشامخ من هزات الزلازل وقوة الرياح، أو اصطدام طائرة به. وتوقفنا عند مشكلة أن يكون هذا المبنى بهذه القوة فى ارتفاعاته العليا على الأقل.

وبدراسة نقاط الضعف فى البناء الخرسانى التى نعرف جميعا أنها تتمركز فى نقط اللحامات بين الأسمنت فى مراحل صبه خاصة على ارتفاع ١٨٥م، وفى هذه القصة اذكر جيدا أن الله تعالى ألهمنى فى نقطتين.

أولا : لحام الحديد كله فى بعضه من البداية للنهاية. وذلك لتصبح أسياخ الحديد قوة متماسكة فى جميع أجزاء الأعمدة، لأنه عماد مقاومة الهزات.

ثانيا : أن يصير صب هذا المبنى كله دفعه واحدة دون توقف بمعنى أنه قبل أن تجف شحنة الخرسانة بين الدفعة والدفعة يستمر صب الخرسانات ليلا ونهاراً.

وبهاتين النقطتين تنتفى نقطة الضعف المتوقعة فى الكتلة الخرسانية كلها.

وكانت هناك بعض نقاط أخرى، مثل أن يكون وزن القاعدة أكثر من ثلثى وزن المبنى كله، حتى لا يميل المبنى بارتفاعه الشاهق عن الخط العمودى، اذ يعيده الوزن فى أسفل المبنى إلى الوضع العمودى، حتى اذا اهتز لأى سبب. وكذلك أشياء أخرى تلافيناها منذ البداية.

هنا أذكر أننا بعد أن بنينا برج القاهرة بهذه المواصفات، وزرت طوكيو بلد الزلازل سنة ١٩٦٤، فى مؤتمر الطاقة الذرية العالمى وجدت أن المبانى التى ارتفعت فى قلب

طوكيو كانت تستخدم نفس التكنولوجيا : لحام الحديد وأوزان الكتلة الخرسانية عند القاعدة. ولم يكن في طوكيو قبل ذلك أي مبان أعلى من دورين اثنين لكثرة الزلازل والخسائر. وشعرت أننا قد سبقنا التكنولوجيا الحديثة في العالم بعشر سنوات.

وتعاقدنا مع كبرى شركات ألمانيا في الالكترونيات على توريد شبكة اتصالات خارجية وداخلية كاملة شملت في البداية المحطة الرئيسية في برج القاهرة.. استقبال وإرسال وتليبرنتر. وابتدأنا في الخارج بأربع سفارات وبأجهزة ارسال واستقبال قوية وجهاز تليبرنتر وداخلي. ومن توفيق الله أننا نجحنا في إقناع الشركة الألمانية لإعطائنا أجهزة التشفير والحل غير القابلة للكسر، أي كسر الشفرة. وكانت قوات حلف شمال الأطلنطي (NATO) وقد أخذت منهم أيضا امتياز تشغيل هذه الأجهزة، وذلك بعد أن درسنا قاعدة التشفير والحل، وكانت موفقة مائة في المائة، إذ ليس لها قاعدة ثابتة ممكن أن يكشفها الكمبيوتر.

موقف جمال سالم

وبلغت ميزانية هذه الشبكة ١٦٥ ألف مارك الماني. وكان الجنية المصرى وقتها بعشر ماركات. وهذا الاعتماد خصصته وزارة المالية التي كان يرأسها جمال سالم في ذلك الوقت بناء على خطاب رسمي من وزير الخارجية إلى وزارة المالية. وأذكر أنني أخذته بيدى، وتوجهت إلى جمال سالم في مكتبه، وكان مقرر لجنة الميزانية، وترك الاجتماع، وجلس معى في الصالة، ولم تمر خمس دقائق حتى أمر جمال سالم بتخصيص هذا الاعتماد الاستثنائي لوزارة الخارجية. وأظن أن هذا أسرع مشروع يحصل على اعتماده للتنفيذ بسرعة تعادل سرعة أجهزة اللاسلكي نفسها! وقد كان جمال سالم بهذه الكفاءة والبديهه وسرعة الإيجاب في العمل الوطني.

وبنيت الشبكة وتم توريد معظم الأجهزة في وقت قصير. واشترطنا وصول أجهزة التشفير قبل الأجهزة ذاتها. وقد كان. وقام زميل دبلوماسي من وزارة الخارجية بالتوجه إلى برلين واصطحب معه أجهزة الاتصالات كلها الخاصة بموسكو بالقطار. وتم تركيبها في السفارة.

وكان عبد الناصر والمسئولون في الحكم كثيرى التردد على موسكو في ذلك الوقت للتعاون الاقتصادى والعسكرى الذى بدأته بنفسي بتكليف من الدولة وعلى مرحلتين: اتفاق اقتصادى.. وآخر عسكرى.

وفي أول زيارة لعبد الناصر بعد تركيب هذا الجهاز واتصاله بالقاهرة الدورى والدائم غطت البرقيات والمراسلات بين القاهرة وموسكو بثمنها التقديرى ثمن الجهاز نفسه.

وهكذا كانت خدمة هذه الأجهزة على أعلى مستوى للدولة.

وكان يمكن لرئيس الدولة أو الشخصية المهمة من خلال هذه الشبكة أن يرسل إلى القاهرة لأى جهة فى الحكومة ويأتيه الرد المؤمن بالشفرة، وهو لايزال جالسا على مائدة المفاوضات حيثما كان.

بهذا القدر من الكفاءة كان تفكيرى فى إقامة هذا البرج أصلا. وكانت هذه الشبكة هى الوحيدة فى العالم بهذه الكفاءات من برلين وشتوتجارت فى ألمانيا إلى طوكيو فى أقصى الشرق، ولم يسبقنا إليها أحد حتى سنوات طويلة تالية.

انت خلدت ياحسن

وأذكر يوما أثناء صعود مبنى البرج وسط حديقة الجزيرة، كنت أركب سيارتى الملاكى، ومعى عبد الحكيم عامر، وعضو آخرمن أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة. وقال لى عبد الحكيم عامر من قلبه، إذ كانت تربطنا علاقة ودية للغاية أكثر من أى شخص آخر منهم.. نظر إلى وقال: (أنت خلدت ياحسن) ! فقلت له: ألهذا البرج؟! قال: أيوه ماهو برج حسن التهامى! فقلت له: ياعبد الحكيم، لابرج حسن التهامى، ولا برج عبد الناصر! بل سنطلق عليه برج القاهرة إن شاء الله، وقل لجمال عبد الناصر هذا الكلام.. مش عايزين شركة النصر، ومدينة نصر، وعربيات نصر.. الحاجات دى كلها لا تنطبق على برج القاهرة! والحمد لله أنه سُمىّ من أول يوم: برج القاهرة.

وقد تم تمويل المشروع من خزانة هيئة المخابرات برئاسة زكريا محيى الدين.. وعلى مراحل.. بدأنا عام ١٩٥٥، وانتهى عام ١٩٦١، حسب تقدم العمل.

والشئ الوحيد لذى يمكن أن أذكره أن نقلنى عبد الناصر من مدير الأبحاث والاتصالات الخارجية إلى رئاسة الجمهورية، قبل آخر مرحلة، وهى التشطيب والافتتاح، لكى يمحو إنجاز البرج عندى، وافتتحه بأمر عبد الناصر: صلاح نصر! وسافرت بعد الافتتاح بخمسة أيام سفيرا ومندوبا دائما لمصر فى الوكالة الدولية للطاقة الذرّية.

لعبة الأمم..

- يقول بعضهم، منذ أن صدر كتاب «لعبة الأمم» لمايلز كوبلاند مندوب المخابرات المركزية الأمريكية فى مصر، وذلك فى حياة عبد الناصر، بأن الثلاثة ملايين دولار التى سلمها كوبلاند لنظام عبد الناصر عن طريق حسن التهامى، الذى عدّهم ورقة ورقة، فوجد أن ورقة واحدة فئة ٢٠ دولارا ناقصة - على حد تعبيره - وقال حسن التهامى حسب ما جاء على لسان مايلز كوبلاند: «العشرين دولار مش مهم» !.. وبنى حسن التهامى برج القاهرة بهذا المبلغ. ما رأى حسن التهامى فى هذا الكلام؟..

وأترك صاحب الشأن يعلق :

– إننى قصصت قصة البرج من البداية للنهاية . ولم يكن لا جمال عبد الناصر ولا كوبلاند ، ولا أى شخص على دراية بهذا المشروع ، إلا بعد إتمامه ، وأن ميزانية العصب الرئيسى فى البرج ، وهو المحطة ، كانت ميزانية رسمية من الحكومة عن طريق وزارة الخارجية ووزارة المالية ، وبحسابات ممسوكة دفتريًا بكل دقة . . وأقيمت المبانى الخرسانية على مدة ست سنوات متتالية ، كل مرحلة بميزانيتها الرسمية التى جاءت من هيئة المخابرات العامة . وممسوكة بدفاتر وحسابات رسمية . ولم يكن مايلز كوبلاند نفسه يعلم شيئا عن المشروع . . ثم إن عبد الناصر نفسه اتصل بى يوما من الأيام من الاسكندرية ، وقال لى على التليفون : إن كوبلاند نشر كتابا باسم (لعبة الأمم) يذكر اسمى فيه وسيرسل إلى عن طريق مكتبه ملخصا لهذا الكتاب ، فقلت له على الفور : إذن نحضر مايلز كوبلاند إلى القاهرة ونسأله فيما نشر ونؤاخذه اذا كان مخطئا ، ونطلب منه تعديل الخطأ وإصدار هذا التعديل بوجوده .

قلت هذا كله لعبد الناصر وأنا لا أعرف بعد ما الذى نشره كوبلاند .

فقال عبد الناصر ردا على هذا الكلام : لا . . أنا مش عايز كوبلاند يخش مصر تانى . فقلت له : طيب نراسله ليصحح الخطأ . أو نسائله : فقال : لا نراسله ، ولا نسائله ! فقلت له : إذن ما فائدة أن تلفت نظرى إلى ذلك ؟ ! فقال : بس اقرأه وبعدين نتكلم .

سر الصفقة

ولما قرأت ملخص الكلام فى كتاب كوبلاند ، وجدت أنه لا يتعرض لى بسوء بل وصف حسن التهامى بالوطنى العنيف الذى لا يجرؤ أحد على مواجهته أو مناقشته فى عمل يمس الوطن . وذكر أيضا أنه دفع ثلاثة ملايين دولار لعبد الناصر أقام بها التهامى هذا المبنى الشاهق فى قلب القاهرة . إذن فالواضح فى هذا الكتاب أنه يريد أن يصرف نظر القارئ العربى وغير العربى عن الجهات الأخرى التى صرفت فيها هذه الملايين الثلاثة ، وهى باختصار من أجل تنفيذ خطة تأمين عبد الناصر بشراء السيارات المصفحة والأسلحة الصغيرة الخاصة بطاقم الحراسة ، وشبكة الاتصالات الداخلية المركبة فى السيارات ونظيرها فى الحكومة وأشياء أخرى كثيرة ، فلقد كان برنامجا شاملا صرفت الدولة عليه من هذا الاعتماد .

كما يريد كوبلاند من هذا الكتاب أن يبين للعالم كله أن أمريكا بإدارتها السرية وغير السرية كانت تعاون عبد الناصر ، ومتصلة به بصفة مستمرة . فقد قال كوبلاند فى إحدى الفقرات : إنه اجتمع مع عبد الناصر فى حفل عام وشاهد أن كوب الويسكى فى يد عبد

الناصر قد انتهى، فطلب له كوبا آخر. وكل هذه المهاترات من قبيل الدعاية السوداء التى تصرف ذهن القارئ إلى جهات أخرى غير الواقع ، وزرع هذه الأفكار فى ذهن الناس، ومعها غيرها. وقد ترجم هذا الكتاب ووزع فى الدول العربية بأسرع من الصحف ! لقد كانت حملة للتضليل والتشوية، وصرف نظر الأمة العربية إلى أشياء أخرى غير النكسة والتآمر.

كوبلاند يطلب ساعة

ولقد شاءت الظروف فى عهد السادات أن أرسل إلىّ مايلز كوبلاند خطابا يقول فيه إن وجهة نظر المخابرات المركزية الأمريكية فى مستقبل الأوضاع السياسية فى الشرق العربى والشرق الأوسط عامة هو بداية اندلاع سلسلة من أعمال العنف والتخريب فى المنطقة كلها، ويطلب التعاون مع مصر فى عهد السادات حول تلافى هذه العقبات ودراسة مجالات انطلاقها فى العالم من الآن.

وبعرض الموضوع على السادات رفض حضور مايلز كوبلاند أو التعاون معه. وهذه فى نظرى - الكلام حسن التهامى- كانت نقطة خاطئة من حيث المبدأ لأهمية هذا الموضوع، مهما كانت نتائجه.

وحدث لى مرة وأنا فى مستشفى للاستشفاء باليونان أن اتصل بى مايلز كوبلاند تليفونيا، من لندن. ولا أدرى كيف حصل على مكان إقامتى ؟ ! فلما عرفنى بنفسه على التليفون.. قلت له: والله إذا حدث ورأيتك فسوف أقتلك !.. فقال لى: إنى اعرف عنك ذلك ! وهناك آخرون يريدون أن يقتلوننى. ولكن كل ما أريده فى هذه المرحلة أن أقابلك ولو لساعة واحدة لأبرئ نفسى من كتاب (لعبة الأمم) الذى علمت أنك تضايقت منه جدا. وحضر بالفعل، وجلس معى ساعة واحدة قال فيها عدة نقاط:

أولا: نحن نقدرك فوق التصور.

ثانيا: أن هذا الكتاب (لعبة الأمم) لم يذكرك بسوء اطلاقًا.

ثالثا: إننى أريد أن أقول لك - الكلام لكوبلاند إلى التهامى- بمنتهى الصراحة، وليس لأحد علىّ سلطان،أننى أرسلت نسخة الكتاب قبل طبعة بستة شهور إلى جمال عبد الناصر فى بيته (وكان لكوبلاند صلاته المستمرة بمصر) وطلبت من عبد الناصر التعليق على أى بند لا يريده، ولم يصلنى منه إطلاقا لا تعديل ولا أى شئ يمنع النشر كما هو وكما قرأته أنت.

وتركنى كوبلاند بعد هذه المقابلة وهو يرجونى مسامحته، فهو لم يخطئ فى حقى. هذه هى الحكاية !

٤

عبدالناصر يوقف النشاط الذري في مصر

عضوية حسن التهامى فى مجلس المحافظين بالوكالة الدولية للطاقة الذرية تعطى ضوءا كبيرًا على النشاط الذرى فى العالم.. وما يهمنا هنا هو ما يتعلق بمصر وإسرائيل، وما قام به عبد الناصر فى هذا المجال، ولا يزال يؤثر على موقفنا عربيا وعالميا..

حسن التهامى يتذكر.. ويدعم ذلك بالوقائع التى عاشها وعاصرها.. ويقول:

- عندما زرت طوكيو عام ١٩٦٤، كانت زيارة رسمية، لأننى كنت رئيس وفد مصر لدى المؤتمر للطاقة الذرية فى ذلك العام، والذى عقد فى طوكيو بمناسبة مرور عشرين عاما على ضرب اليابان بقنبلتين ذريتين على جزيرتى هيروشيما ونجازاكي، اللتين صنعهما العالم الأمريكى جلين سيبورج الشهير.

وفى تلك السنة (١٩٦٤)، كان موعد انتخابات أعضاء مجلس المحافظين الجدد. وهي فترة تغيير فى تشكيل المجلس. وكانت إسرائيل قد رشحت نفسها لمقعد الشرق الأوسط وأفريقيا خلفا لعضوية مصر. وكان لايمكن لنا ولا للدول العربية أن تقبل هذا التمثيل الإسرائيلي. فتكتلت جهودنا المصرية والعربية والأفريقية على إسقاط هذا الترشيح. وتقدمنا بترشيح تونس لتخلف مصر وكانت معركة دبلوماسية ليست بالهينة، ووقف معنا فيها الأتحاد السوفيتي بدوله الأعضاء (أوكرانيا، وروسيا البيضاء، ولتوانيا، وتشيكوسوفاكيا) وحدث أن فازت تونس وسقطت إسرائيل.

وعند إعلان النتيجة أمام الوفود جميعا فى المؤتمر، كانت الوفود الناجحة تشكر على المنبر، والتى لم تنجح تسكت. وإذا بمندوب إسرائيل، وكان بدرجة سفير يصعد المنبر ويقول الآتى بالنص: «إن إسرائيل لتأسف لعدم نجاحها فى هذا الترشيح، وكانت تريد أن تكون عضوا بهذه المنظمة لتتساوى مع باقى الدول. وإنى لأتوجه باللوم الشديد من هنا إلى أمريكا وحلفائها، لأنهم كانوا قد وعدونا بالنجاح. وإنى سأتقدم بتقرير لحكومتى لمؤاخذة أمريكا على هذا الفشل.. ولم يصفق له أحد. ونزل من على المنبر».

وكانت هذه هى الجلسة الختامية للمؤتمر. وخرجت الوفود. وكنا نتلقى التهنئة من الدول الصديقة. وكنت آخر شخص يخرج من صالة الاجتماعات بعد أن تلقيت تهنئة جميع الأصدقاء، وإذا بى أجد السفير الإسرائيلى ووفده واقفين على الباب. وينظرون إلى

نظرة تعجب وكأنهم يقولون : كيف نجحت فى إفشالهم ؟ ! ولما نزلت صالة الفندق وجدتهم منهمكين فى مراجعة كشوفات كثيرة . فظننت أنهم يراجعون قائمة الأعضاء ليعرفوا كيف فشلوا ، وأبلغنى مستشاري : يافندم دول بيراجعوا فواتير الحسابات !

وكان رد فعل كلمة رئيس الوفد فى هذا المؤتمر أكبر بكثير مما تصورناه . لقد أخذ هذا الموضوع بين الحكومة الإسرائيلية والحكومة الأمريكية شكلا آخر . فقد طلبت إسرائيل من أمريكا تعويضها عن ذلك ببرنامج تعاون ذرى من أمريكا لصالح إسرائيل . ورجوعا بالذاكرة نجد أن إسرائيل كانت قد أخذت وعدا بالمفاعل الذرى الفرنسى فى حرب ١٩٥٦ من فرنسا واشترطت فرنسا على إسرائيل أن تورد إلى فرنسا جميع أعمدة اليورانيوم المحترق بالمفاعل بعد التشغيل ، وتورده لفرنسا لكى تستفيد فرنسا من البلوتونيوم الناتج عن هذا الاحتراق ، وكان شرطا لتركيب المفاعل لعدة أسباب ، لعل بعضها احتياج فرنسا فى ذلك الوقت للبلوتونيوم لتنمى مخزونها الذري . ولخوفها من تصرف إسرائيل غير الملتزم والذى لايمكن السيطرة عليه من أى قوة خارجية فى ناتج اليورانيوم المحترق واستغلاله لصالحها . وكان هذا من الخطوات المهمة التى يمكن أن تقلب بها إسرائيل ميزان القوة فى المنطقة كلها بدون سيطرة .

واستمر ذلك الوضع حتى عام ١٩٦٤ . وطالبت إسرائيل بدهاء تعويضها عما حدث فى طوكيو بأن تعاونها أمريكا فى إنشاء ما يسمى بالمعمل الحار الذى تستخلص به البلوتونيوم من اليورانيوم المحترق . وتستقل بذلك عن فرنسا ، وتبدأ فى تكوين قدراتها الذرية بعيدا عنها . فمنحت أمريكا لإسرائيل المعمل الحار الأول وذلك فى عام ١٩٦٥ . وقدرت تكاليف أول شحنة منه بـ ١٢٠ ألف دولار . أعطتها أمريكا لإسرائيل منحة . وظلت معدات هذا المعمل على رصيف ميناء حيفا حوالى ١٨ شهرا بصناديقها إلى أن أمكنها بناء المعمل فى داخل أرض إسرائيل بما فيه من تعقيدات واحتياطيات أمنيه وأسرار . وجهزت طاقم العلماء اللازمين له . وبدأ المعمل كاملا فى النصف الثانى للعام ١٩٦٦ . وبدأ إنتاجه من البلوتونيوم فى أواخر ١٩٦٧ . وحسب دراساتنا الفنية التى تجمعت عندنا فى فيينا - وكان معى عدد من العلماء المصريين المتمكنين فى ذلك الوقت - كانت طاقة المعمل فى بداية عمله إنتاج ٥ كليو جرامات من البلوتونيوم كحد أدنى فى العام . ومن الممكن أن تزيد إلى عشرة ، بعد تمكن الدائرة الفنية من العمل فيه ، وكفاية الأعمدة الذرية التى تخرج من المفاعل إلى المعمل .

وفى أثناء ذلك دبرت إسرائيل كل وارداتها من اليورانيوم محليا من فوسفات البحر الميت ومن الأرجنتين ومن بعض الدول الأفريقية ، وكونت لها مصادر مستديمة لإنتاج

وتوريد اليورانيوم الطبيعي الخاص بنفس المفاعل الفرنسي.

وبعد تجميع هذه البيانات الخطيرة التى بدأت تتبلور منذ وصول أدوات المعمل الحار الأمريكى إلى رصيف ميناء حيفا فى إسرائيل قمت بكتابة دراسة مفصلة عن كل قدرات إسرائيل الذرية، وإنتاجها من البلوتونيوم ، وتوقعت بالحسابات الفنية أن يكون فى إسرائيل فى مطلع عام ١٩٧٠ كمية من البلوتونيوم تكفى لتصنيع قنبلتين ذريتين على الأقل. كما أعددت دراسة مفصله عن تطور التصنيع الذرى المتوقع فى إسرائيل، ونمو قدراتها على مدى الزمن اللاحق وبأكثر من هذا التقدير الذى وصل حتى الآن إلى ما يزيد على ١٢٠ رأسا نوويا، كما طورت إسرائيل فى نفس الوقت تصنيع صواريخها لتحمل رؤوسا نووية - أى برنامج متكامل تعرفه أمريكا بالتفصيل ويعرفه الفنيون عندنا دون شك. وذلك بعد أن أجرت إسرائيل تجاربها الفنية على شكل وحجم عبوة البلوتونيوم التى تصلح لنوعية البلوتونيوم المستخرج من معاملها، وتعاونت فى ذلك مع جنوب أفريقيا، وأقامت فى ذلك الوقت قواعد إنتاج الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية وأطلقتها إلى البحر منذ أعوام مضت بالتعاون مع حكومة جنوب أفريقيا أثناء الحكم العنصري، وأطلقتها فى البحر المتوسط لتصل فى مواجهة حدود السواحل الليبية، وبذلك تكون قد اختبرت صواريخها للضرب فى الأعماق.

وكانت الوكالة الدولية فى الوقت نفسه تخطط مشروع الرقابة والتفتيش على المنشآت الذرية فى كل الدول التى لم تكن عضوا فى النادى الذرى فى ذلك الوقت، وبناء على تكليف مجلس الأمن الدولى والأمم المتحدة.

وكانت إسرائيل قد جمعت البلوتونيوم الخاص بها فى المرحلة الأولي، ولم توقع أبدا على معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية التى فرضها المجتمع الدولى على كل دول العالم تقريبا.

ماذا حدث فى مصر؟

هذه قصة بداية القنبلة الذرية فى إسرائيل .. فماذا حدث فى مصر؟

يجيب حسن التهامى :

- مع إدراكى لهذا التطور الخطير داخل إسرائيل بمعاونة أمريكا منذ عام ١٩٦٤، فلقد كان رئيس الطاقة الذرية الأمريكى جلين سيبورج نفسه يرأس وفد بلاده فى المؤتمر العام. وكان يأتى فى عدد من الزيارات إلى فيينا للإطلاع على التقدم فى صياغة، قرار الالتزام بالأمن والتفتيش الذريين فى المنظمة.

وعندما تجمعت لدى البيانات الكافية عند دخول المعمل الحار الأمريكى فى إسرائيل

فى طور العمل وبداية الانتاج، طالبته شخصيا بالتوجه إلى إسرائيل والتأكد من أن هذا المعمل لاينتج البلوتونيوم الذى يعرفة هو كمرحلة من مراحل تصنيع القنبلة الذرية. وكان ذلك فى منتصف عام ١٩٦٦، فسافر إلى إسرائيل وعاد ليقول ان إسرائيل لم تنتج بعد البلوتونيوم من المعامل الأمريكية بالذات. وبعد النكسة ١٩٦٧ طلبت من المجتمع الدولى فى المؤتمر العام فى ذلك الوقت التفتيش على منشآت إسرائيل الذرية وانذرت المؤتمر بأن هذا الذى حدث بالأسلحة التقليدية ضدنا فى سيناء، كيف يكون أثره على السلم العالمى وعلى الموقف العالمى ككل فى أى عدوان قادم جديد من إسرائيل؟! إذا كانت إسرائيل تمتلك القنبلة الذرية أو فى طريقها إلى امتلاكها؟ إوطلبت من جلين سيبورج للمرة الثانية وبحضور سفيره فى فيينا أن يذهب بنفسه مرة أخرى للتفتيش ولو بصفته الشخصية كأمريكى مسئول عن مدى تطور البرنامج الذرى العسكرى لإسرائيل. فذهب للمرة الثانية وأخطرنى بعد العودة أنه لم يشاهد هو هذه الإمكانات فى إسرائيل.

وفهمت من سياق الحديث انه لم يسمح له بالدخول لهذه المناطق وهذا يكفى للتدليل على أنهم دخلوا فى مرحلة متقدمة لتجميع القوى الذرية عسكريا.. وحرموا رئيس الطاقة لذرية الأمريكية التى اعطتهم بلده أصلا هذه المعدات.

برنامج السنوات الخمس

أعتقد أن ما حدث فى مصر فى تلك الفترة يجب التحدث عنه الآن، ونحن بصدد الحديث عن السياسات المصرية فى زمن مضى برئاساته وأفراده، والمؤسف أن النتائج قائمة؟!

- كانت هناك خطة مدروسة بتقديراتها وخطواتها الأساسية لبناء قوة مصر فى مجال الطاقة الذرية. وكان الاتحاد السوفيتى قد أرسل إلى مصر مفاعلا نوويا روسيا قوة ٢ ميجاوات للتدريب والأبحاث وليس أكثر. ولم يقبل الاتحاد السوفيتى أن يعطى مصر مفاعلا آخر لإنتاج الطاقة التزاما منه أمام الدول الغربية الكبري، لوقف السباق النووى فى المنطقة وذلك بالإحجام عن تنمية طاقة مصر الذرية المصرية ببرنامج عمل لتحاول شراء مفاعل نووى من الدول المصنعة والمستعدة لبيعه إلى مصر، وسمى هذا البرنامج فى هيئة الطاقة الذرية المصرية ببرنامج السنوات الخمس لبناء المفاعلات الذرية المصرية. وحضر صلاح هدايت رئيس مؤسسة الطاقة الذرية المصرية فى ذلك الوقت بدرجة وزير إلى فيينا، مركز الوكالة الدولية، للطاقة الذرية فى مؤتمر عام قمنا بعده ومعنا وفد ليس بالصغير لزيارة فرنسا والمانيا، حسب مواعيد كان قد سبق تحديدها - والمفروض ان صلاح هدايت كرئيس للطاقة الذرية لديه التفويض والاعتمادات اللازمة للتعاقد عند اللزوم. وكان هذا

مفهومى دون أن أسأل. وزار الوفد كله عدة مفاعلات ذرية فى فرنسا. واختتمناه بلقاء موسع مع علمائه. وكانت مناقشات هذا الاجتماع مناقشات ثعبانية، كل يريد أن يلف على الآخر، ويعرف منذ حقيقة نواياه واستعداداته.

وخرجنا من هذا البرنامج دون وعد - على الإطلاق - بأى شئ يمكن أن نستند عليه للمضى قدما فى أى إجراء للتعاقد مع الطاقة الذرية الفرنسية، التى سبق لها أن أعطت لإسرائيل. وتعلم تفاصيل طاقة إسرائيل الذرية، والذى سمى فيما بعد مفاعل ديمونة الفرنسى (قوة ٣٠ ميجاوات).

وتوجهنا إلى المانيا «الغربية» وقتئذ. واستقبلتنا الطاقة الذرية الألمانية بحفاوة، دون تكلف أو رياء. وتناقشنا طويلا فى جميع أنواع المفاعلات الممكنة والمتاحة والتى تتناسب مع طلبات مصر فى الحصول على مفاعل ٣٠ ميجاوات لإنتاج الطاقة، والتفكير بعد ذلك فى التحرك نحو برنامج تعاون لمعاملة أعمدة الوقود المحترق الذى يؤدى بنا إلى استخلاص البلوتونيوم فى مصر.

وأخذت مؤسسة الطاقة الذرية المصرية دراسات كاملة عن هذه الأنواع، كما أخذت عروضا لإقامة المفاعل المطلوب،وكان ثمنه وقتئذ ٣٠ مليون جنيه لمفاعل طاقة ٣٠ ميجاوات.

وكان برنامج مؤسسة الطاقة الذرية المصرية جاهزا للتنفيذ.

وكانت المؤسسة قد اختارت مسبقا أفضل الأماكن لتركيب هذا المفاعل وتشغيله، وتهيأت المؤسسة لاستقبال ما يتم الاتفاق عليه وإقامة كوادره الفنية من المصريين لإدارة المفاعل بعد استلامه مباشرة واكتساب الخبرة فى تشغيله، واختارت موقعه اختيارا أمنيا فى منطقة برج العرب.

وأعتبرنا - أنا وصلاح هدايت - أن هذه خطوة موفقة تم فيها استقرار الرأى على من أين وكيف يكون حجم المفاعل ونوعيته؟!.

ولأن الزيارة كانت رسمية، وجرى فيها بحث نقاط كثيرة جدا خاصة بالمفاعلات فى البلدين (ألمانيا وفرنسا) فقد كان متوقعا أن تعلم الدول الغربية وعلى رأسها فرنسا خطة تطوير العمل الذرى فى مصر ومستواه.

وتمت كتابة تقرير شامل ومفصل عن ذلك، وسلم هذا التقرير «سرى للغاية» و«شخصي» ليد جمال عبد الناصر، ولا يطلع عليه أحد إلا عبد الناصر. ويعتبر الشخص الوحيد الذى حصل على التقرير، وبقى عنده.

موقف عبد الناصر
وغضب التهامي

وعاد صلاح هدايت إلى مصر.. وسكت!! ولم يرد!! ولم نعلم منه أنه اتخذ أية خطوة لاحقة على هذا النجاح للزيارة الألمانية.

وبعد بضعة شهور علمت أن صلاح هدايت أبعد من منصبه. وأمر بالبقاء في بيته. واستلم عالم آخر مكانه. وبالاستفسار وجدت أن الغرب قد اهتم جدا بهذه المساعي المصرية. واختلق قرارا فيما بينه على عدم مساعدة دول الشرق الأوسط كلها على انتاج القنبلة الذرية، حتى تنفيذ مراحلها البدائية. وعلمت أن رئيس الطاقة الذرية الإسرائيلية قد أقيل أيضا من منصبه وتم تعيين رئيس إسرائيلي من مهاجرى أوربا الشرقية بديلا له. ولكنه وضع برنامجا أكثر تقدما. وأسرع إنجازا من البرنامج السابق. مع أن الستار الذى اتخذته أمريكا، ومعها دول الغرب، هو إزاحة كل من له خطة برنامج نووي، من منصبه.

فأقيل صلاح هدايت بقرار من عبد الناصر. وخمدت أنفاس البرنامج الذرى على مضض تاركا آلاما وإساءة للعلماء المصريين..

أما صلاح هدايت فلم يقابل جمال عبد الناصر بعد ذلك.

وحضرت بنفسي إلى القاهرة وأناغاضب وتناقشت مع عبد الناصر في بيته وفي مكتبه عن سبب ما فعله فقال لي: أنا أتفقت مع أمريكا على وقف البرنامج الذرى في مصر وإسرائيل. ونفذت الجانب الخاص بي. فأفهمته حقيقة ما حدث وهو أن البرنامج الذرى الإسرائيلي أسرع مما كان، ويتقدم بخطى ثابتة نحو التصنيع العسكري. فقال لي: إني التزمت بما وافقت عليه مع أمريكا.

وحاولت إقناعه بالسير بهدوء في البرنامج الأول دون إعلان أو دون التحدث علانية. وإذا علم الأمريكيون أو غيرهم أن البرنامج أعيد إحياؤه، فالرد على ذلك أن إسرائيل عجلت ببرنامج أكبر. وقلت له: ياريس جمال أن ما فعلته مع أمريكا هو التزام من جانب واحد، وهو لايجوز، لأن مستقبل الذرة رهن بالوقت وبالإمكانات، وإذا سبقتنا إسرائيل فلن نلحق بها وستنفرد بالعمل كيفما شاءت، وأمريكا لاتعارض في حقيقة الأمر. وكذلك الدول الغربية. وكذلك الاتحاد السوفيتي لأنه لا يريد أن ينصر العرب ولا مصر على إسرائيل حفاظا على اتفاقه مع أمريكا ومع الغرب.. لدرجة أنني وقتها طلبت منه أن يعين صلاح هدايت وزيرا، ويشرف على الطاقة الذرية بهدوء. فقال: الطاقة الذرية.. لا.. أنا اتفقت.. وقررت.. وأنتهي.

وهنا أيقنت بأن البرنامج الذرى المصرى قد انتهى عمليا وزمانا.. محليا ودوليا. وأنه

لا أمل لمصر مهما فعل العلماء فى اللحاق بركب التصنيع الذرى بإسرائيل مهما كان، فقد كان هـذا التوقف بالأمر كتوقف القلب فـى الجسد.

وبعد فترة استدعى عبد الناصر صلاح هدايت وسوى معه المشكلة النفسية دون أن يسمح بإحياء برنامج المفاعلات الذرية.

وأسفت جدا من نتيجة هذا اللقاء. ولم يكن أمامى أى شئ سوى العودة إلى مركز العمل فى الطاقة الذرية. وظلت إسرائيل تتقدم وتتضخم ترسانتها العسكرية بمعرفة جميع الدول.

وحسب علمى أن أمريكا واقفت على كل ماتم من تطوير ذرى إسرائيلى وفـى زمن الحرب الباردة بينها وبين موسكو.

وأن إسرائيل فى الشرق الأوسط بالنسبة لهم هى الدولة الوحيدة التى يمكنها بهذا التسليح أن تهدد المنطقة الجنوبية من الاتحاد السوفيتى بالقنبلة الذرية إذا قامت حرب عالمية ذرية. وكانت أمريكا تسمى جنوب الاتحاد السوفيتى «مقتل روسيا العملي» وحاولت اختراق هذه المنطقة كثيرا.. وقدرت أمريكا أن حليفها الوحيد فى هذا الصراع هو إسرائيل لتواجه ترسانة مجموعة الدول الإسلامية التى تسمى الآن بالكومنولث الإسلامي، حيث تمتلك كازاخستان وحدها (١٣٥٠) صاروخا بالرؤوس النووية خلف جبال الأورال، وكانت فى التخطيط السوفيتى هى الدولة ذات الخطوة العظمى عندهم. وكانت هذه الصواريخ فى معظمها موجهة ضد أمريكا.

لقد بدأت الخطة الذرية المصرية بناء على دراسة علمية، وأوقف نشاطها كله بقرار سياسى من القائد فى الوقت الذى بنت فيه إسرائيل طاقتها الذرية المهولة بقرار سياسي.. متوافقا مع مصلحة كل من أمريكا وإسرائيل!!

٥

قطن مصري مقابل سلاح روسي

يستمر حسن التهامي في حديثه قائلا :

– من منظور الوطنية المصرية وعناصر نجاحها واستمرارها فى حكم مصر ، كان يجب أن يتولى عزيز المصرى رئاسة الدولة فى مطلع الثورة ، لأنه بخبرته وماضيه الوطنى وسمعته عند الجيش والشعب منذ كان رئيسا لأركان حرب الجيش ، ومنذ أن أخذ طائرته مع قائد الجناح حسين ذو الفقار صبري ، منذ ذلك الوقت وهو يتحدث عن أسلوب دحر الاستعمار البريطاني . وكذلك منذ محاكمته سنة ١٩٤٢ وسط محكمة مصرية إنجليزية فى زمن الاحتلال ، ومنذ أن كان الأب الروحى لرجال الثورة طيلة الفترة من ١٩٤٢ حتى ١٩٥٢ ، بمن فى ذلك عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ،من قبلهما ومن بعدهما . لهذا كله كان طبيعيا على عبد الناصر أن يرفض أو يمنع انتخابه من الضباط كأول رئيس لمصر .

ولما لم يقبل عبد الناصر توليته كان من الطبيعى أن يكون عزيز المصرى هو أصلح الأشخاص ليصبح ممثلا لمصر فى موسكو ، أى خلف الستار .

ولكيلا يكون عزيز المصرى غريبا فى موقعه الجديد أجمعنا أيضا على اختيار شخصية مصرية لها صلة برجال الثورة وعلى مستوى أدبى وعلمي يصلح لأن يكون معاونا ومرافقا لعزيز المصرى فى موسكو . فأجمعنا (أنا وجمال عبد الناصر وكمال رفعت وعبد الحكيم عامر) على اختيار د . مراد غالب . وكان أستاذا مدرسا فى جامعة الإسكندرية .

وفى أول رحلة إلى موسكو بعد هذا التعيين حملت معى أوراق اعتماد الوزير المفوض عزيز المصرى إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

وكنا قبل هذا السفر نتحدث فيما بيننا : ما الذى يمكن أن نبدأ به تطور العلاقات ؟ وكان من رأيي الذى وافقونى عليه هو البداية الاقتصادية . فقد كانت بورصة ليفربول فى إنجلترا ومصانعها تتحكم فى شراء القطن المصرى بالكامل سنويا . وتتحكم فى فرض سعره . ولكسر هذا الاحتكار كان لابد من الحصول على أسواق جديدة تنافس البورصة البريطانية والبورصة المصرية لتصدير القطن ، وكان معظمها يهودا مصريين .

فالتقينا على فكرة التجارة مع روسيا أولا . وكان أن تقابلت انا وعزيز المصرى مع وزير خارجية روسيا الشهير أندريه مولوتوف (وقتئذ) . وعند تقديم صورة أوراق الاعتماد .

تنحينا جانبا - بناء على طلبى - إذ كنت أعرف التفاصيل وكان عزيز المصرى يعرف الجمل. وجلسنا على مائدة خشبية ومع مولوتوف مترجم، رغم أنه يتكلم الإنجليزية بطلاقة، ولكن العرف الدبلوماسى الروسى كان يتقيد بأسلوب الترجمة الصحيحة ويعتمدها. وتحدثنا عن تبادل التجارة بين مصر وروسيا، ولم يكن فى ذلك الوقت أى تبادل. وطرحت على مولوتوف عدة أفكار كان على قمتها القطن المصرى المشهور عالميا. وتبادل الخبرات فيما عداه من محاصيل تصدير واستيراد من روسيا الشعبية. وتهلل وجه مولوتوف، فلم يكن يتصور أن تكون البداية كسر عزلة روسيا مع العالم. ووافق دون شرط ولا اقتراحات.

وقال: إذن نعقد صفقة تجارية بيننا وبينكم، وأخطرنا عبد الناصر ببرقية شفوية فى نفس اليوم وأنا فى طريقى للعودة إلى القاهرة بعدها ببضعة أيام أرسل عبد الناصر برقية إلى وفد تجارى مصرى كان يجوب أوروبا لنفس الهدف، أن يترك ما فى يده ويتوجه رأسا إلى موسكو.

ولما نمت علاقات مصر مع روسيا رأينا رفع التمثيل إلى سفارة فأعددنا أوراق اعتماد عزيز المصرى سفيرا لمصر. وجعلتها أيضا معى عندما تم تحديد موعد تقديم أوراق اعتماد جديدة.

وفى هذه المرحلة - وكانت بعد ٦ شهور من المرحلة الأولي - دار الحديث مطولا وتفصيليا بيننا أيضا. وكان ذلك أثر الاعتداءات الإسرائيلية على حدود غزة، والتى كانت لنا بمثابة اختبار عسكرى صريح. وهو هل فى قدرة مصر الثورة أن تحمى أرضها بجيشها؟ وهل تستمر إسرائيل فى اعتداءاتها، أو أن هناك رادعا ما لإسرائيل لتتوقف عن اعمال الاستفزازات؟ إذ أن الاعتداءات لم تكن على مستوى الغزو، بل كانت لمجرد الإثارة..

وللحفاظ على كرامة مصر وجيشها كان لابد من تنمية القدرات العسكرية فى أقرب وقت، ولم يكن استقبال الأسلحة السوفيتية أمرا سهلا.

وكان من وجهة نظرى أنه يجب استطلاع رأى الدولة السوفيتية.

وفى أثناء التحضير لاستقبال رئيس الاتحاد السوفيتى فى الكرملين (الماريشال فورشيلوف)، صاحب اللحية البيضاء ليستقبل عزيز المصرى سفيرا لمصر وقفنا ومعى د. مراد غالب وحده يعرف بهذه النية. وتقدمنا خطوة نحو مدير الشرق الأوسط فى الكرملين، وكان هو الرفيق زايتسيف، وتنحينا جانبا معه. وصارحته بما أفكر فيه. وقلت له: هل يمكن للاتحاد السوفيتى أن يمد مصر بالأسلحة؟ وكان رده التلقائى: نعم.

وأردف : ومقابل للقطن المصري . أى لن تدفعوا نقدا ، وهذا تيسير وفائدة عظيمة وفورية .
وأضاف : وسنعطيكم حتى الدبابات ، ومن مصانع تشيكوسلوفاكيا ، وهى أقرب لكم من موسكو ، ومن قلب الاتحاد السوفيتى .

وشجعنى هذا الرد الصريح على فتح الموضوع مع الماريشال السوفيتى عندما انفرد عزيز المصرى بلقائه ، وكنت معهما . وفاتحه السفير عزيز المصرى باختصار . فرد الماريشال فورشيلوف بالإيجاب . وكانت هذه اللقاءات والتصاريح ورقة العمل التى أبلغت بها جمال عبد الناصر بعد العودة مباشرة ، ولكننا حفظناها إلى أن تم التفاهم عالميا لحساب ردود الافعال .

فى هذه الفترة كانت علاقات أمريكا ، ودعنا «نسميها» البيت الأبيض الأمريكي ، لأن «كيرميت روزفلت» ممثل البيت الأبيض والإدارة الأمريكية للتعاون مع جمال عبد الناصر كان يمثل فى علاقات أمريكا الخارجية مع مصر والشرق الأوسط بالذات السلطات الحكومية الأمريكية فى شخص وزرائها العاملين بالخارج ونظرة المخابرات المركزية الأمريكية إلى الشرق الأوسط ، وكذلك وفى بعض الأحيان ، نظرة وزارة الحرب الأمريكية .

كان الأمريكان وعلى رأسهم كيرميت روزفلت .. ومايلز كوبلاند ، يدعون بأنهم على مقدرة من تنمية العلاقات المصرية الأمريكية فى دوائر المصالح المشتركة . وكانوا يعلمون بحاجة مصر إلى السلاح ، خاصة بعد الاعتداءات الإسرائيلية على الحدود . كانوا يرجئون ويعطلون مسار أى مفاوضات جدية فى هذا الطريق إلي مراحل أخرى بعيدة ، بحجة أنهم يلزمهم الوقت لإقناع السلطات المسئولة لإمدادنا بالأسلحة . وكانوا دائما يلوحون بأن المواد التى يؤمن بها عبد الناصر حكمه وحياته لا تشكل مشكلة . أما تسليح الجيش فكانوا يتصورون أنه إذا تم يكون فى حدود رمزية ، فى حدود تسليح كتيبة مشاة بالأسلحة العادية أى البنادق والرشاشات . وكانوا يفكرون فى تخصيص ١٥ مليون دولار قيمة الأسلحة الأمريكية التى يمكن أن تعطى لمصر منحة بالرغم من معارضة الجهات العليا لفكرة إعطاء مصر السلاح . وبعد استعراض الموقف الروسى قررنا حفظ ورقة السلاح الروسى إلى أن نستبين بوجه القطع ، ما الذى يمكن أن تفعله أمريكا لنا فى ميدان التسليح .

وأعدنا الاتصال مرة بعد مرة مع مايلز كوبلاند (مندوب المخابرات والإدارة الأمريكية فى مصر والشرق الأوسط) . واستدعينا (كيرميت روزفلت) لحسم هذا الموضوع . فقالوا لنا : تقدموا بطلباتكم من الأسلحة لنقيس عليها مدى الاستجابة . ولكننا نصرح لكم بما سبق أن قلناه وهو التسليح فى حدود كتيبة مشاة ! واختبرونا .. لتروا هل ستصدر لكم

أمريكا السلاح أو لا لتثقوا فيما نقول ؟!

وجلست مع عبد الناصر ومع عبد الحكيم عامر ، على ما أذكر تماما جلسة طويلة كان معظم وقتها الضحك والاستهزاء بما يقول الأمريكان. فاتفق معى عبد الحكيم عامر على أن أتوجه إلى العميد أركان حرب أحمد أسماعيل على ، مدير عمليات الجيش لآخذ منه قائمة بالسلاح المطلوب لإنشاء لواء مدرع بأسلحته ومدفعيته ، ومعه لواء مدرع دبابات بالأسلحة والأدوات المساعدة كاملة ، وكذلك أسراب الطيران المعاونة لهذه القوة العسكرية.

وفي جلستنا هذه اعتبرنا هذا المعدل هو رمز لبداية تشكيل جيش وطنى قوى . وفى الوقت نفسه اختبار حقيقى لنية أمريكا وإلى أى مدى سترفض أو تستجيب .

وأخذت هذه الورقة من أحمد اسماعيل فى مكتبه بمجرد طلبها . وتمت ترجمة هذه الطلبات إلى الإنجليزية. وسلمتها إلى مايلز كوبلاند، وتقبل هو مسئولية نقلها إلى السلطات الأمريكية.. ومر شهر واثنان وثلاثة إلى ستة شهور.. ولم يرد كيرميت روزفلت ولا كوبلاند على هذا الطلب !

أين مصلحة مصر؟

وتساءلت مع عبد الناصر : إلى متى يمكن الانتظار ؟ وذكرته مسطّرا له رسالة رسمية أحلل فيها هذا الموقف الأمريكى مقابل الالتزام الروسى والموافقة المسبقة على أى رقم أو أى مستوى نطلبه. وذلك بناء على طلبه لتقييم الموقف رسميا. إذ كنت على صلة وثيقة بالطرفين (الروسى والأمريكي).

وكان السؤال المقصود من هذه الكتابة الرسمية : أين مصلحة مصر ؟ وما أسلوب تحقيقها ؟ لاسيما وأن فى تلك الشهور ، وبعد الاعتداءات الإسرائيلية ، زادت حدة المشاعر عند ضباط الجيش ، ولم يكن أمامى وأمامنا إلا أداء الرحلة الأخيرة فى الاختيار.

وتمحض فكر عبد الناصر دون أن يبلغنى أن يرسل على صبرى مدير مكتبه السابق فى رحلة إلى أمريكا ليستطلع وجهات النظر الأمريكية.. ويلتمس إذا كان من المنتظر أن نأخذ أى سلاح من أمريكا فى يوم من الأيام . وسافر وعاد على صبري. ولم أعلم إلا بعد عودته بسؤالى لعبد الناصر :ماذا تم إلى الآن من جهتك ؟. فأفادنى بأن على صبرى رجع وليس عنده شئ مطلقا . فقلت له سأسافر إلى أمريكا لأواجه أصحاب الرأى فيهاوأصحاب القرارات لتقرر مصر أين مصلحتها الحقيقية.

لقاء مع روجرز

واستدعيت مايلز كوبلاند. وأخطرته بنيتى إلى السفر متوجها إلى أمريكا لإخطار

كيرميت روزفلت وتحديد المواعيد للمقابلات على أى مستوى فى الحكومة، أينما كانت هذه المسئولية ، ابتداء بوزارة الخارجية . وتحدد الموعد . وسافرت . وكان لقائى فى اليوم الثانى مع وليم روجرز (وزير خارجية أمريكا بالنيابة) إذ كان جون فوستر دالاس فى المستشفى يعالج من مرض عضال .

وجلست مع وليم روجرز بحضور كيرميت روزفلت، وبادرته بالسؤال المباشر : نحن نفهم من مندوبيكم فى مصر (وأشرت إلى كيرميت روزفلت وأعوانه) أنكم حريصون على تنمية العلاقات الطيبة والتعاون مع مصر . وقد طلبنا منكم قائمة بالسلاح الضرورى واللازم للجيش المصرى للدفاع عن نفسه وعن حقه وأرضه، وكان رد مندوبيكم فى مصر أن السلطات فى أمريكا لم ترد بعد على هذا الطلب .

فقال مجملا بما معناه : إننى لا أعلم هذا الطلب بهذا التفصيل حتى الآن، فهل يمكن أن تعطينى فرصة لأطلع عليه حتى يمكننى الرد ؟! قلت له : إننا انتظرناكم ستة أشهر ، والمصالح الوطنية تقتضى عدم الانتظار إلى هذا المدي. وسألته سؤالا : هل فى نيتكم إعطاء أسلحة لمصر ؟ فقال بما معناه : لا أظن ، ونحن لم نقرر ذلك بعد ، فهل تعطينى فرصة للدراسة والرد عليك ؟

فقلت له : لقد أعطيناكم فرصة كافية ، ولست مستعدا لأن أعد بإعطائكم فرصة أخرى . وجرى الحديث لمدة عشرين دقيقة على هذا المنوال .

خرجت بعدها مع كيرميت روزفلت وعندى انطباعان :أن قائمة السلاح المعروضة لم تعرض عليهم ، فلم يقرروا شيئا ، بالنسبه لها . أما الانطباع الآخر : أنه لايعتقد أن فى نية أمريكا حتى ذلك اليوم إعطاء مصر سلاحا ، ولو بالثمن ! وقد ذكرنى ذلك أن عرض مايلز كوبلاند السباق بتسليح مصر بكتيبة مشاة بأسلحة عادية كان يحتمل فيه أن ترسل أمريكا هذه الأسلحة البسيطة إلي مصر (كهدية) من بين المعونات العسكرية التى تؤديها أمريكا إلى أصدقائها .

وخرجت من مكتب القائم بأعمال وزير الخارجية وليم روجرز (والذى كان فيما بعد وزيرا لخارجية أمريكا) . فصرح لى كيرميت روزفلت بأنه مسرورلهذه المواجهة بينى وبين روجرز. والصراحة التى تحدثت بها ، لأن أحدا من مجموعة روزفلت لا يستطيع توجيه مثل هذا الكلام الصريح المباشر إلى هذه القمة من السلطة .

كان هذا الانطباع من قمة المسئولية السياسية والدبلوماسية. واستقر فى ذاكرتى منذ تلك اللحظة أن الأمل فى الحصول على سلاح أمريكى أمر بعيد، وبعيد للغاية ، لا من ناحية الإمكانية فقط . ولكن من الناحية الزمنية أيضا، وكذلك أن تأخذه مصر من أمريكا

هذا إذا أخذت أى شئ !

ولما وجدت هذا الشعور الصادق من كلمة روزفلت ، طلبت منه أن يحدد لنا موعدا لمقابلة أحد الجنرالات الأمريكان فى وزارة الحربية الأمريكية (البنتاجون) لتبادل الرأى فى هذه النقطة.. هذا ما قلته له - فى الظاهر - ولكن كانت حقيقة ما أريده هو استطلاع آخر ما عندهم من قرارات. وتحدد لى فى اليوم التالى مقابلة مع الجنرال المسئول عن الشرق الأوسط فى مكتبه الموجود بالبنتاجون. وهو رجل عسكرى فى نظرى ، كان التفاهم معه أيسر من المدنيين ، لأن الروح العسكرية تفرض نوعا من الصراحة والإجابات المباشرة بعيدا عن اللف والدوران الدبلوماسي. وتحدثت معه بمنتهى الهدوء وبلغة الاستفسار. فلم يشعر بأى نوع من التحدى أو الخوف من الرد. سألته بضعة أسئلة ..

هل لديكم قائمة بطلبات السلاح المطلوبة لمصر ؟

- لا .

إن الأحداث التى جرت على حدود مصر والاعتداءات الإسرائيلية عليها تستوجب على الجيش المصرى أن يكون فى موقف قادر على الرد على هذه الاعتداءات .. فهل أنتم مستعدون لتسليحنا لكى نقدر على الرد على هذا الاعتداء ؟

- من ناحية المبدأ ، لسنا مستعدين لإرسال سلاح إلى دول الشرق الأوسط (ويقصد بها دولا خلاف إسرائيل) .

سألته : هل تتصورون وجود سلاح آخر يدافع به الشرق الأوسط عن نفسه فى مواجهة أى اعتداء ؟ وهل تتصورون حصولنا على سلاح من المعسكر الشرقي؟

ورد الجنرال :

- لا .. ولايمكن .. ولن نقبل !

إذا فرضنا أن دولة من الكتلة الشرقية شحنت إلى الشرق الأوسط سلاحًا حربيا فما هو موقفكم أو تقديركم للموقف؟

قال: فى تقريرنا أن الكتلة الشرقية لا يمكن أن ترسل سلاحًا للشرق الأوسط ، بداية. وإذا كان فى الاعتبار أنه يمكن إرسال سلاح للمنطقة ، فسوف نمنعه!

فسألته : كيف يمكنكم منعه؟

قال : سنعترضه إذا لم نكن نعلم مسبقاً عن شحنه. وسوف لا نسمح لهذا السلاح بالوصول إلى الشرق الأوسط.

بماذا تعترضونه ؟ وهل تقدرون عواقب هذا الاعتراض؟

قال : سنعترضه فى البحر ، بحيث لايصل إلى شواطئ دول الشرق الأوسط.

قلت : ليس لكم فى البحر الأبيض ما يسمح بهذا الاعتراض .

قال : الأسطول السادس يمكنه الاعتراض. وهو ليس فى البحر الأبيض الآن : لكننا نستجمعه من قواعده فى المحيط الهادى ونرسله على الفو لهذه المهمة.

فقلت له السؤال الأخير لأستكمل به الصورة :

كم تحتاجون من الوقت لتجميعه وإرساله لأداء هذه المهمة ؟

قال بمنتهى البساطة ودون تفكير :

- ليس أقل من ستة شهور !

وتناولنا القهوة - التهامى والجنرال الأمريكى - وقام التهامى وقد استكفى من هذه الإجابات فلم يكن للحديث بقية.

ويقول التهامى :

خرجت ولم أعلق لكيرميت روزفلت عما كنت قد اقتنصته من هذه المقابلة. والواقع النفسى أنهم فى أعماق تفكيرهم، لم يتطرق ذهنهم إطلاقًا إلى ما كنت أفكر فيه أنا .. ولا فى إمكانية تدفق السلاح الروسى إلى مصر بهذه السرعة ، وهذه الطاقة، فكانت ردودهم ردودا من قبيل تبادل الأفكار .. وطرح الآراء.

بعد ذلك قررت العودة إلى القاهرة .. علم عبد الناصر بعدم جدوى انتظار أمريكا. واستغرقت رحلتى عشرة أيام. وعند مغادرتى أمريكا ودعنى كوبلاند على سلم الطائرة ورجانى مرة أخرى أن أنتظرهم أسبوعين، ولكنه لم يكن يدرى أن السيف قد سبقه العذل ، وأن الموضوع قد انتهى . وتطلعت فعلا الى جهة الشرق لأنى أسقطت حسابات أمريكا تماما فى مرحلتنا هذه الحساسة والتى لا يمكن لأى وطنى أن يسمح بهذا التسويف من قبلها. وخلال عودتى علمت بإعلان عبد الناصر قراره بأخذ السلاح من الاتحاد السوفيتى - علمت عن طريق الإذاعات الأجنبية. وكانت الدنيا السياسية هائجة.

وأصدرت الخارجية الأمريكية إنذارا لعبد الناصر ، إذ كيف يخرج عبد الناصر عن الخط المرسوم له ؟!!

٦

أمريكا تزف السلاح الروسي الى مصر

يواصل حسن التهامي حديثه عن كيفية حصول مصر على السلاح الروسى ، والظروف التى أعلن فيها عبد الناصر استعداده لقبول هذا السلاح. والانذار الأمريكى لعبد الناصر..

– عرف عبد الناصر بالانذار الأمريكي. وحسب علمى فانه اضطر لأخذ السلاح الروسى لما بدا واضحا لنا جميعا أسلوب التسويف وعدم جدية الإدارة الأمريكية، ورفضها تمكين مصر من مواجهة التحدى الإسرائيلي.

وعدت من رحلتى إلى أمريكا بعد أن كشفت عدم الرغبة الأمريكية فى تسليحنا. وسألت طاقم مكتبى عما تم فى أيام غيابى فى رحلتى لأمريكا – حوالى عشرة أيام – ؟ فقال لى أحد المسئولين : إنه وصلته حقيبة بها ٥٠ ألف جنيه مصرى ، وأوامر فورية للبحث عن أماكن فى الريف المصرى يختبئ فيها عبد الناصر ، وبعض طاقم القيادة عن الساحة العلنية ، إذا حدث اعتداء غربى أو اسقاط أو احتلال القاهرة. إلى أن يجد القادة أماكن مؤمنة لحين التمكن من الرد على أى اعتداء . فقلت للشخص : هذا كلام فارغ. ولا تحاول أن تفعل أى شئ من هذا. وتركت مكتبى . وتوجهت إلى عبد الناصر فى بيته. وقلت له : ما هذه التعليمات التى أصدرتها ؟ فرد على : ننزل تحت الأرض. ونعمل ثورة جديدة ! قلت له :وماذا يدريك أنه يمكنك عمل ثورة جديدة ؟! إن الثورة فى يدنا الآن، فكيف نتركها إلى المجهول. إن مكاننا الأمين هو فى السلطة. وشرحت له الموقف بالتفصيل عن مقابلاتى فى أمريكا والنتائج التى توصلت إليها . فقال : إنه استدعى السفير السوفيتى منذ يومين . وأخبره بطلبات مصر العسكرية. وأخذ موافقة موسكو الايجابية على ذلك ، مع تحديد برنامج شحن لهذه الأسلحة إلى مصر.

فقلت له : إن الساسة الأمريكيين والعسكريين لا يمكنهم عمليا اعتراض أى شئ قادم إلى مصر قبل مضى ٦ أشهر. وإذا حدث الاعتراض فى البحر كما نتصور . ستتحول المشكلة إلى مشكلة أمريكية – روسية ، وسوف يقرر الاتحاد السوفيتى كيف يدافع عن كرامته ، وينفذ أمله وخطته فى الدخول إلى الشرق الأوسط وإلى مصر بالذات ، قلعة المنطقة، فى فرصة من التاريخ لم تكن فى حسبان أحد. ولن تتكرر : ومع كل ذلك

فسأطلب منك استدعاء السفير السوفيتي . وقل له : أريد أن تصلني أول شحنات السلاح منكم في وقت لا يتعدى الشهر . وأن تبدأ مراكبكم في شحن الدبابات أولاً - وهي من تشيكوسلوفاكيا ، والمسافة قريبة . فإذا وصلت الدبابات ، سر القوة التي يخافونها ، فإنه لا يمكن لأمريكا التدخل بعد ذلك ، وقد كان . واستدعى السفير السوفيتي في نفس اليوم. وجاء الرد بالايجاب . ووصلت أول شحنة سوفيتية عليها الدبابات (ت ٥٤) . وكانت في وقتها هي الدبابة الشائعة في أسلحة الحرب .

زفة أمريكية !

وبينما نحن جالسون في مكتبنا في القيادة العامة ، في ليلة وصول الدبابات ، مع زكريا محيي الدين وآخرون ، بلغتنا إشارة من الاسكندرية أن الملحق العسكري الأمريكي دخل ميناء الاسكندرية إلى المنطقة الجمركية ، رافعا علم أمريكا على سيارته . واقتحم البوابة . ولم يقدر أن يمنعه أحد بالقوة حرصا على العلم الأمريكي . ووقف بسيارته بجانب مركب الشحن . . وكان السؤال : ماذا نفعل معه ؟ ! فضحكنا ، وقلت لزكريا محيي الدين : لا بأس أن يدخل الملحق العسكري الأمريكي إلى الميناء لعله يطمئن أن الدبابات قد وصلت فعلا ويبلغ دولته بذلك .

واعطيت التعليمات بعدم التعرض للملحق العسكري الأمريكي اطلاقا . ونزلت الدبابات ومعها سيارات ناقلة الدبابات . ووقفت طابورا طويلاً . وبدأ تحرك القول من الاسكندرية إلى القاهرة على الطريق الصحراوي . ويتبعه الملحق العسكري بسيارته . وكأن أمريكا تزف الدبابات الروسية إلى مصر . فزدنا ضحكا وجلسنا في المكتب حتى وصلت الدبابات إلى معسكر سلاح الفرسان . ودخل خلفها الملحق العسكري الأمريكي . ولما تم استكمال عدد الدبابات داخل المعسكر ١٢ ، انصرف الملحق العسكري خارجاً من ساحة المعسكر ، وكان ذلك قرب الفجر . ووفر علينا بذلك مشكلة إبلاغ أمريكا بما حدث . وهو شاهد عيان ، حتى لا يظن أحد أننا نبالغ لأسباب معنوية أو دعائية .

واستمرت شحنات السلاح الروسي تصل إلى مصر بدقة ، حسب البرنامج ، حتى استكملت مصر ماطلبته من سلاح من جميع الأنواع .

وفي تقديرنا أن أول ما شغل بال أمريكا بعد وصول السلاح هو أين ذهب هذا السلاح ؟ هل هو للجيش في القاهرة ؟ أو إلى الحدود ؟ وكانوا معذورين في ذلك . فإن الجيش المصري عندما يتسلح يصبح قوة تقلب موازين التفكير عند أي جهة .

وهذه الصفقة كانت عزا لمصر . وقد لجا معظمها من عدوان ١٩٥٦ والتآمر الانجليزي الفرنسي الإسرائيلي ، بفضل الله ، وبحنكة رئيس الأركان وقتها الفريق محمد إبراهيم ،

الذى أمكنه التعامل فى هذه الحرب بأن نجا فيها معظم الأسلحة المصرية. وكانت تلك القوة العسكرية مفخرة لجيشنا عندما احتفلت مصر بعد العدوان ، وقامت الوحدة العربية الرباعية. وتم فيها استعراض رؤساء الدول الأربع (مصر - سوريا - السعودية - الأردن) لطوابير الدبابات التى تراصت على بعد النظر فى ميدان الاحتفال ، والطيارات الميج التى ظهرت فى المنطقة لأول مرة. وتحولت مصر بهذه الصفقة إلى قوة عربية يحسب لها ألف حساب . وقضت على أسطورة تفوق الجيش الإسرائيلى بقيادة (موشى ديان) ، الذى لم يكن ليجرؤ على دخول سيناء فى ذلك العدوان دون أن تسانده فرنسا بأربعين طائرة ميراج بطياريها وأسلحتها لضرب هدفه بالقضاء على أسطورة التسليح المصرى الجديدة.

ويقول التهامى :

بعد وصول السلاح الروسى بقليل قال لى عبد الناصر : إن السلطات الروسية كانت قد طلبت منه إعادة ضباط الصوارى أصحاب تجمهر «ميز الفرسان» - تلك الحادثة المعروفة - إلى سلاح الدبابات لتطمئن على استخدام دباباتها فى المستقبل. وقال لى : إنه رفض هذا الحديث شكلا وموضوعا. وكان هذا تقريبا أول ربط تحاول أن تقوم به السلطات السوفيتية الشيوعية العالمية، مع بعض العناصر فى مصر.

وكان لعبد الناصر فى هذا الرد هدفان.. أولهما ؛ ألا يخضع لأى ضغط. والثاني؛ أن رأيه عكس الاتحاد السوفيتى ؛ أى أنه لا يطمئن على استخدام السلاح الروسى بواسطة أفراد سبق للجيش أن حكم عليهم فى حركة مشبوهة، وكان هذا الرد من ناحيته طمأنة لنفسه، وحرصا على المستقبل. وكان هذا الرد صحيحا ووطنيا مصريا. ولم تكن الاستجابة لهذا الطلب لتلقى موافقة من أى شخص ، وبالذات من عبد الحكيم عامر وهيئة الأمن فى مصر. وكا ن عبد الناصر يعلم ذلك بالتفصيل.

عبد الناصر فى موسكو

وبعد وصول السلاح الروسى إلى مصر تم توجيه الدعوة إلى عبد الناصر لزيارة موسكو. وسافر ومعه بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة. وخلال هذه الزيارات ترتبت اتفاقية التعاون فى شتى المجالات بين السوفيت ومصر. وقد بحث عبد الناصر مع نيكيتا خروشوف رئيس الاتحاد السوفيتى وقتها نقطتين :

أولاهما ، سؤال عبد الناصر : ما رأى خروشوف فى تأميم المبانى السكنية. فرد عليه خروشوف بأن حذره من ذلك لكثرة المشاكل التى يقاسى منها الاتحاد السوفيتى بسبب هذه الخطوة بعد التحول الشيوعي، وتمنى لو لم يكن قد طبق هذا المبدأ فى روسيا . ونصح

عبد الناصر بالعدول عن هذه الفكرة تمامًا وأنه لا طاقة للدولة ولا للشعب بما ينجم عنها من مشاكل . واكتفى عبد الناصر بعد ذلك بتحديد أجور السكن ، وذلك الإجراء الذى ترتب عليه إحجام من كان فى مقدوره البناء عن أن يضيف إلى معمار مصر أية عمارة جديدة. وتوافق ذلك مع الأمر بتوفير النقد الأجنبى وعدم وصول الأخشاب الخاصة بالبناء لفترة طويلة. وكان إثر هذا التراكم فى عدم وفرة المبانى مع ازدياد الطلب عليها وزيادة التعداد أن قاسى الشعب ، وقد كان أحد ردود الفعل فى روسيا لتأميم المبانى أنهم خصصوا بضعة أمتار مربعة لكل فرد فكانت الشقة الواحدة يسكن فيه عدة عائلات. كل عائلة فى حجرة .

النقطة الأخرى : أن عبد الناصر ومن معه طلبوا زيارة مزرعة نموذجية، حيث ان جميع الأراضى فى الاتحاد السوفيتى مؤممة، ولم يكن هناك ملكية خاصة إلا بضعة أمتار أمام أو حول المسكن، لأى فرد في الريف . ولايمكنه أن يزرع أى شئ لصالحه مما تستلزمه معيشته إلا فى هذه الأمتار التى أمام بيته .

وعند زيارة عبد الناصر ومن معه القرية النموذجية التى اختيرت لهم لزيارتها . قارنوا بين الحالة الزراعية فى مصر مثيلتها فى روسيا، فوجدوا أن أرضنا الزراعية وفلاحينا، أكثر جهدا وأقبالا على الزراعة وأفضل إنتاجًا من هذا النظام السوفيتي.

وحدث أن قدمت القرية نموذجا لهم من انتاجها الزراعى : (ديكًا) .. ديكا بلديا وجيها وحسن البنية، واعتبروه عنوانا لإنتاج القرية، وحدث أن تندر عبد الناصر على هذا الديك بعد عودته إلى مصر . وكان يتذكر الديك كلما لوح له أحد بفكرة المزارع الجماعية. . وكان الجميع يغمرهم الضحك والاستهزاء!

ولجأ عبد الناصر إلى حل آخر، وهو تحديد الملكية الزراعية. ذلك القانون الذى قلب الموازين بين أفراد الشعب.

ويستطرد حسن التهامى :

- والحديث عن السلاح الروسى يشدنا إلى بعض الأحداث :

حدثنى ذات مرة أنور السادات قال إنه سأل كمال حسن على رئيس الحكومة الأسبق. وكان ضابطا فى معركة ١٩٦٧ : لماذا هذا القصور الذى ظهر على الجيش وبالذات سلاح الدبابات، الذى كان كمال قائدا لأحد ألويته، فرد كمال : الدبابات الروسية التى كانت تحت أيدينا كانت فى غاية القوة. ومدفع الدبابة لو أصاب برج الدبابة الإسرائيلية لأطاح به فى ثانية. وإذا أصاب جانبها قلبها. فالقصور كان فى إدارة المعركة .

وقال أحد الجنرالات الروس ذات مرة لجمال عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ : كيف

تخسرون المعركة بهذا الشكل ، وكنا قد أرسلنا لكم كمية من الأسلحة والدبابات ، يكفى نصفها لهزيمة إسرائيل كلها ؟!.

أما النقطة الثالثة.. وهى الأهم.. إنه فى آخر زيارة لجمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتى للتفاوض حول مستقبل إمداد مصر بالسلاح استدعانى (أى حسن التهامي) وقال لى : ما رأيك فى إمداد روسيا لنا بالسلاح مرة أخرى ؟ فقلت : ليس أمامك وسيلة أخرى إلا هذه . فقال : ولكنهم يطالبوننى بثلاثة مليارات دولار. قلت له : أهو ثمن السلاح الذى ضاع فى ١٩٦٧ . قال نعم . قلت : لابد أن تطلب من الروس التنازل عن هذا الدين كلية.

فابتسم وقال : كيف ذلك ؟! قلت : لقد حضرت من أوروبا بعد ٨ سنوات من الإقامةفيها واطلعت على الكثير من نقاط المنافسة بين الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا. وأعلم جيدا أنه قبل حضورى بعام غير الطرفان أسلحتهما على الحدود المشتركة. وتطورت الأسلحة تطورا مذهلا. وسحبت روسيا كل دباباتها من الحدودالمشتركنة. وتطورت الأسلحة التى ضاعت فى حرب ١٩٦٧ ، أصبحت فى عرف العسكرية الروسية أسلحة قديمة كان من الممكن سحبها ، كما سحبت روسيا أسلحتها وأودعتها المخازن إو باعتها لدول من الدرجة الثالثة. لذلك يجب أن تطلب منهم التنازل عن الدين عملا بهذه القاعدة.

وسافر عبد الناصر . وعندما رجع سألته: هل أحضرت خطاب التنازل. فابتسم وقال: أيوه ياسيدى جبته وسألته : هل ضايقوك عند عرضك للطلب؟ قال : أيوه ، وكانت الجلسة يوم الثلاثاء الماضي، بعد الظهر. ووجدوا منى إصرارا على التنازل. وأخذت الخطاب بذلك قبل مغادرتى موسكو. قلت : أنت متأكد أنك جبته معاك ؟! قال : أيوه ياسيدى .. جبته معاي.

وكانت هذه أول نقطة أزعجت الحكم المصرى بعد رحيل عبد الناصر. وكانت اللجنة الاقتصادية فى البرلمان فى حيرة. ماذا يمكنها أن تعمل فى هذه المليارات الثلاثة وقد مات عبد الناصر . فلما طمأنهم أنور السادات.. بأنه تم التنازل عنها قبل وفاة عبد الناصر، انفرجت أسارير السائلين واعتبروها أفضل شئ تم إنجازه.

وبدأنا مع الاتحاد السوفيتى من الصفر.. وبلا ديون . ولم يكن ذلك فى حسبان أحد.

٧

عبد الناصر يهدم الوحدة الرباعية والشياطين الحمر تدخل الأردن

فى لقاء اليوم مع حسن التهامى نتوقف أمام الوحدة الرباعية بين مصر وسوريا والسعودية والأردن، وهو ما عرف بـ (حلف الضمان العربى الرباعي) .. كيف بدأ.. ومن الذى رتب له وأعد خطواته ونظم تجهيزاته. وماذا جرى بعد أول لقاء تم بين سليمان نابلسى وجمال عبد الناصر ؟ . وكيف تم تدبير الوقيعة بين النابلسى والملك لإفشال الوحدة؟. وكيف عادت سفينة الوحدة العربية لترسو على شواطئ بريطانيا وقواعدها العسكرية ومعونتها بعد توقف المعونة العربية؟!

عندما حضر سليمان نابلسى رئيس وزارء الأردن، ورئيس الحزب الوطنى الاشتراكى الأردنى مع الملك حسين إلى مصر، لإعلان الوحدة الرباعية بين الأردن ومصر والسعودية وسوريا. بما يسمى بـ(حلف الضمان العربى الرباعي) .. لأول مرة فى تاريخنا العربى المعاصر.. عندما حدث ذلك، لم يكن سليمان نابلسى قد رأى عبد الناصر شخصيا قبل ذلك.. فرأيت أن يلتقيا، ليتعارفا ويتبادلا الحديث عن كيفية، تحقيق الآمال العربية فى تلك المرحلة مستقبلا. وعندها سألنى عبد الناصر : (أنت امتى عملت الكلام ده كله ؟) - يقصد ترتيبات الوحدة . والتغير الشامل في موقف الأردن، شعبيا، ودستوريا ونظاما. قلت له انى رتبت هذا على مدى عامين. فقال لي: لكن ماقلتليش !! فقلت : علشان تنجح العملية!! وأدخلت سليمان نابلسى عليه، ثم أستأذنت فى الخروج، والآن أرى واجبا على أن أطرح كل الأفكار والتحركات والاتفاقات التى تمت فى هذين العامين حتى وصلنا إلى نقطة الانطلاق العربى فى المنطقة، والفكر العقائدى العربي، والنظرة الجدية إلى تخطيط حياة جديدة لمجتمع الشعوب العربية، وإحكام حلقة التعاون فى شتى المجالات..

كانت ظروف حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فرصة لى للتعارف على شخصيات فلسطينية كثيرة، .. منها على المتسوى الشعبي.. ومنها على المستوى القيادى القبلي.. ومعظمهم كان على مستوى الثقافة والفكر الوطنى المتنامي، بالرغم من عدم إتمام الجيش المصرى لمهامه فى فلسطين بفعل مكايد الجنرال جلوب والقيادة العربية المشتركة التى وضعت تحت إمرته فى حياة الملك عبد الله، جد الملك حسين، وما لمسته بنفسى من خيانات مدبرة جائرة

ضد أوضاع قواتنا العسكرية فى فلسطين من هذا الجنرال، مما يؤكد أن فشل الجيش المصرى فى استقرار دولة فلسطين لم يكن عن جهل أو فقر فى التصرف، ولكنها كانت سلسلة من التهايلات المتصلة والمتكررة، كان من نتيجتها فى النهاية وبتدبير جلوب والقيادة المشتركة المزعومة.. أن خرجت قواتنا المصرية من قلب فلسطين إلى قطاع غزة ومصر.

وكانت حرب فلسطين فى حد ذاتها الشعلة التى أضاءت للوطنية المصرية طريق الثورة، وليس الثورة على الأوضاع السياسية الحزبية أو الفردية، ولكن الثورة على النظام القائم فى مصر وفى المنطقة العربة كلها.

واتصل بى بعد الثورة عدد من هذه الشخصيات فى القاهرة، التقيت بهم على أرض فلسطين فى القدس والضفة الغربية، والتقت الآمال بالفكر العملى الواجب اتخاذه لبدء الوحدة العربية.

وكانت الأردن والضفة الغربية من فلسطين والقدس والمناطق المقدسة لا تزال كلها وحدة ادارية واحدة ورجالاتها فى تنظيم سياسى متكامل. فكان برلمان الأردن يضم رجالا منتخبين من الأردن وفلسطين التى كانت لا تزال فى حماية المملكة الأردنية. وكانت تشغل هذه الكتلة الأرضية أطول حدود بينها وبين إسرائيل فى شكلها ما بعد حرب ١٩٤٨.

وبتعدد اللقاءات أعددنا قوائم الشخصيات الوطنية المعروفة للشعب بوطنيتها، المتحررة من الانتماءات البريطانية لتكون هذه القائمة بداية تطوير العمل الوطنى داخل الأردن وفلسطين. ومع اللقاءات تم تبادل الآراء فى ظل تكتل القوى الوطنية والتقريب بين الأحزاب السياسية والأفكار الحزبية. وطورنا هذه الأفكار إلى مفاهيم وطنية، مشتركة تلتزم بقاعدة ثابتة وصولاً إلى العمل الوطنى المتواجد، بحيث يكونون جميعا رجال العصر القادم.

وتزايدت اللقاءات على أرض الضفة الغربية والقدس ونابلس وفى القاهرة. وحضر معظم هؤلاء الرجال إلى القاهرة ذات يوم، ووقع الاختيار الإجماعى على سليمان نابلسي، رئيس الحزب الوطنى الاشتراكى ليرأس هذه المسيرة الجديدة لأقطاب العمل الوطنى المنتظر فى الأردن. واستجمعنا أبرز الأسماء والقادة الموزعين على مناطق الضفة الغربية والأردن كممثلين سياسيين ناجحين أصلا فى المجتمع الأردنى الفلسطينى السياسى الداخلي. لصياغة الميثاق الوطنى الذى اقترحته عليهم ليكون الاطار الذى يتصرفون ويعملون على ضوئه ويحميهم جميعا كمسئولين عن مستقبل الأردن والعمل العربى المشترك.

واشتملت قائمة رجال الميثاق الوطنى التى تضمنت فى عمومها كل الأحزاب الوطنية، وأحزاب المعارضة حتى بعض البعثيين والشيوعيين، وكان هذان النوعان الاخيران قد وعدا بتأييد مسيرة الحزب الوطنى الاشتراكى بقيادة نابلسى عند نجاحه وتأييد برامجه الوطنية ،التى كانت قد شاعت بين الجمهور الأردنى كله، وقامت عليها المظاهرات تطالب الملك بالتغيير وبتأييد البرنامج الوطني، الذى اقتنعت به جميع طبقات الشعب تقريباً، بما فى ذلك الجيش فى عمومه، ولم يبق خارج هذا الاجماع إلا الخونة الذين سبق لهم التعاون مع الاستعمار ورجال معدودون ومعروفون من صنائع الجنرال جلوب.

اشتملت القائمة الوطنية على عدد كبير من الوطنيين ضمت جميع محافظات ومناطق الأردن بزعاماتها الوطنية الحقيقية وعلى رأسهم سليمان نابلسي، عن عمان، وهو رئيس الحزب الوطنى الاشتراكى ومؤسسه. وشفيق الرشيدات، عن أربد، وهو محام ناجح ووطنى من الدرجة الممتازة، وكان فيما بعد رئيس اتحاد المحامين العرب. وعبدالحليم النمر، عن السلط. وأنور الخطيب ، وان كان له ماض فى الدعوة للانضمام لحلف بغداد، إلا أنه لما ذهب إلى بغداد رجع منها كافرا بهذا المبدأ، وتطلع إلى الدولة الأم الحقيقية وهى مصر. وحكمت المصري، عن نابلس، والضفة الغربية عامة. وطنى متميز. سبق له أن دخل مجلس النواب عدة مرات بالتزكية، عن الضفة الغربية، التى كانت لاتزال حينئذ جزءا من الحكم الأردني.، محمد يونس العزة، عن الخليل . وهو نائب سابق من فلسطين. ومجاهد قديم فى العمل ضد إسرائيل. وهو فى الأصل من منطقة بيت جبرين التى احتلها اليهود فى آخر حرب ١٩٤٨ . وعبد الله نعواس، عن القدس. وإن كان له ميول خاصة. وعبد العزيز الشخشير، بعثى من عمان، ولكنه قيادى ثورى يحسن التعامل مع الجماهير، وتدبير المظاهرات، بالإضافة إلى قائمة أخرى من أعضاء الحزب الشيوعى الأردنى كمؤيدين للنظرة الوطنية الشاملة لحكومة نابلسي.

كما كان هناك أعوان من الإخوان المسلمين مثل الشيخ أبو رجب من الخليل، ومحمد عبد الرحمن خليقة، من عمان.

وكانوا جميعا أشخاصا متميزين فى العمل الوطنى بصرف النظر عن انتماءاتهم الحزبية، ولكنهم دون شك. كانوا أعضاء ايجابيين فى النسيج الوطنى الجديد الذى ساد شعب الأردن فى تلك المرحلة.

ولى أن أقول -. الكلام لحسن التهامى – تعليقا على هذه الفترة الزاخرة بالمشاعر الوطنية. إن هذه كانت فى الحقيقة انطلاقة وطنية أردنية، لم يسبق لها نظير، وكانت توجهاتها كلها وطنية خالصة، من أجل التحرر ورفض الاستعمار، والغاء الوجود البريطانى

من على أرضهم، والايمان بالوحدة العربية، وياليتها استمرت وأخذت حقها في اثبات الوجود العربي بالرغم من كل ماعاناه الأردن في تاريخه الماضي. لقد كان هذا هو معدن النفس العربية على حقيقتها، لا فرق في ذلك بين وطني واشتراكي، وبعثي، وشيوعي. وبدأ إعداد الشارع الأردني الوطني لتبني أفكار هذا الميثاق. وصدرت منشورات. وحدثت مظاهرات، تنادي بمبادئ الميثاق. وتطالب الحكم الأردني وتتحداه بأن يجري انتخابات حرة ليحدد الشعب الأردني الفلسطيني مستقبله على ضوء المنتخبين في هذا الانتخاب الحر. ولا أنسى أنه من ضمن العمل السياسي في هذه المرحلة التحضيرية - كان وصم الجبناء والخونة بصفتهم علنا في الشارع الأردني، والمطالبة بإقصائهم عن الحكم. فمنهم من استقال، ومنهم من أبعد عن الحكم استجابة للرأي العام في الشارع الأردني.

وحدث بعد ذلك استجابة الملك حسين لهذه المطالب بعد مقابلته على انفراد لعدد كبير من أعضاء الميثاق الوطني، على إثر نشرهم لهذا الميثاق . وكان ذلك بمثابة جس النبض من الملك للزعامات الجديدة، التي قادت الشارع الأردني إلى هذه المفاهيم، كما نفهم تلقائيا أن هذه المقابلات الفردية كانت بغرض الاستدلال على حقائق النوايا والاتجاهات فيما بعد الانتخابات. ولم يكن في خلدنا أو تفكيرنا مطلقا فكرة اقصاء الملك أو عائلته. ولكن كان التفكير هو إخراج الأردن من حلقة السيطرة البريطانية، وتصفية القواعد البريطانية، والغاء المعاهدة البريطانية الأردنية والتي بطبيعة الحال تستوجب على بريطانيا وقف المعونة البريطانية للأردن، وكان قدرها ١٤ مليون جنيه سنويا، وهي رواتب الموظفين ورجال الجيش.

ويقول التهامي:

- شعور الشخصي، لما استقر فكر الملك على أن الحركة القومية العربية الجديدة لا تقصده بالذات، فإنه لم يمانع في السير في إجراء انتخابات حرة.

وجرت الانتخابات. ونجح أفراد الميثاق جميعا. وهنا أذكر بدون حرج أنه كانت لمصر السياسية تدخلات في مرحلة الانتخابات لتعضيد أفراد من خارج الميثاق. ولم ينجح منهم أحد ونجح رجال هذا الميثاق بدون هذا الدعم، فاكتمل شعورهم بالوطنية والقومية العربية مجرداً عن الأهواء. وكان موقفهم بذلك أقوى وادعى للثقة منهم مع بعضهم البعض، ومنا تجاههم.

وتشكل البرلمان. والغالبية العظمى منه من اتحاد الميثاق. وعين سليمان نابلسي رئيسا للحكومة الجديدة. وكان أول إعلان به أن طالب الشعب والملك بتنفيذ المبادئ الوطنية التي سبق الاتفاق عليها بين الوطنيين جميعا، وكان في مقدمتها إلغاء المعاهدة البريطانية

الأردنية. فالغيت. وتم اخراج الجنرال جلوب أرض الأردن. وخرج فى أقل من أسبوع بعد أن كانت جذوره ضاربة إلى عهد أجداد الملك حسين. وطلبت المعونة المالية التى تحل محل المعونة البريطانية من الدول العربية الشقيقة، واسموها فى ذلك الوقت بالاسم وهى : مصر والسعودية وسوريا. ولذلك سميت هذه الوحدة فيما بعد (حلف الضمان العربى الرباعي).

وهكذا فى كل قرارات الحكومة والبرلمان الجديدين. وأرسلت الحكومة الجديدة مع الملك مندوبين للدول العربية الثلاث لتوحيد مجهودهم فى المشاركة فى ميزانية الأردن العربية وتخصيص الأنصبة. ووافقت الدول الثلاث الأخرى على ذلك الإجراء دون تردد. وتمت لأول مرة وحدة القيادة العسكرية بين مصر والأردن.

وفى ذلك الوقت تم تعيين اللواء على أبو نوار قائداً وطنيا للجيش الأردنى بعد خروج جلوب. وتوجه عبد الحكيم عامر إلى الأردن. وشكل القيادة المشتركة.

تم كل هذا وأكثر منه تفصيلاً فى غضون السنتين السابقتين على حضور سليمان نابلسى إلى مصر ومقابلته لجمال عبد الناصر.

وبعد هذا اللقاء مع عبد الناصر استكملت الدول الأربع اتفاقات الوحدة الرباعية. وحضر إلى مصر الملك حسين والملك سعود ابن عبد العزيز ملك السعودية والرئيس شكرى القواتلي، الرئيس السوري. وكانت القوات المصرية فى أوج افتخارها بقوتها الجديدة. واستعرض الرؤساء الأربعة ومعهم عبد الحكيم عامر فى سيارتهم المكشوفة طابورا طويلاً ضخما من الدبابات وأسرابا من سلاح الطيران. وكانت هذه جزءا من السلاح الروسى الذى نقل مصر إلى مرتبة القوة، والسند العربى الذى تستند عليه معالم القوة العربية الجديدة وهى فى طور قيامها، واثبات وجودها متمثلة فى هذا الحلف الرباعى الجديد الثقة التى نبعت منه، حيث دخلت السعودية لأول مرة شريكا ايجابيا فى هذه المرحلة من العمل العربى المشترك.

وكنا بهذا الحلف الرباعى أمام أول مانسميه الآن وبعد عشرات السنين (بدول الطوق) من حول إسرائيل.

ولقد كان هذا الوضع الجديد منبئا بإمكان استقرار الأوضاع فى منطقتنا على إثر هذا الحلف مع تنميته ومساندته بالإجراءات القانونية والدستورية والجماهيرية بالنسبة لأهل فلسطين وشعب الأردن، وكانت هذه الرقعة التى كانت لا تزال مستقرة تشمل الضفة الغربية والقدس والمناطق الروحية العقائدية الدينية للمسلمين والمسيحيين. وكانت تقوية جيش الأردن وتشكيل تجمع فلسطينى يقترب من كيان الدولة يمكن أن يتحول إلى اتحاد

فيدرالى بين الضفة الغربية - وفيها القدس والأردن - يمكنه أن يثبت الفكر الدولى تجاه الاستقرار في المنطقة، وتقنين هذا الوضع دوليا باعتباره واقعًا هادئًا يضمن الاستقرار وعدم اللجوء إلى استخدام العنف والقوة بين العرب واليهود.

وكان الملك حسين بوضعه هذا مطمئنا لكل الاتجاهات العالمية، وحتى إسرائيل. ولقد كان أهم مطلب لليهود فى ذلك الوقت السماح لمجموعات منهم بالصلاة عند حائط المبكي، وكان الملك حسين حتى ذلك الوقت يمنعهم حرصا على النقد العربي.

وكان هذا فى مفهوم السياسة العامة هو ماسمى بشكل من الأشكال (الخيار الأردني) وتطور هذا المفهوم عدة مرت كلما نشأ الخلاف بين آمال الفلسطينيين وضغوط اليهود وتدخل السياسات العالمية في منطقتنا حتى أن ذلك قد ورد فى أثناء صياغة كامب ديفيد، وبعد المبادرة، لاحتواء الخلاف الناشب بين الموقف المصرى والموقف الإسرائيلى حول القدس والأمن المتبادل والدولة الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطينى عبر فلسطين.

ومع اتمام احتفالات الوحدة الرباعية فى مصر والاستعراض العسكرى واللقاءات.. رحل الرؤساء الثلاثة عن مصر. وطلب جمال عبد الناصر : «أن يرفع حسن التهامى يده عن موضوع الوحدة !! !» ولما أبلغت بذلك أجبته على الفور: «إذن سيهدمها ! فقيل لى بالحرف وبالنص: يهدمها ! هو حر! هو المسئول! وحدث بعد ذلك أن ارسل عبد الناصر إلى نابلسى كمال الدين رفعت يطلب منه باسم عبد الناصر أن يعلن اعترافات الأردن بالاتحاد السوفيتي وبالصين الشعبية. وكان طبيعيا أن يستأذن النابلسى الملك قبل اتخاذ هذا الإجراء. وهنا تبدأ الوقيعة بينهما. واستنجد بى سليمان نابلسى لأتحرى هذا الطلب ووصفه بأنه، فى منتهى الإحراج»، لأن الأردن مكتف تماما بمساندة الدول العربية فى هذه المرحلة. وتوالت الاتصالات بالشخصيات الشيوعية والبعثية المناوئة لأوضاع الأردن عامة. ونزل من سوريا عدد من المنتمين إلى هذه المعارضة ليحركوا الشارع الأردنى فى المناطق المتاخمة لحدود سوريا.

واستمرت هذه الضغوط والتحرشات والوقيعة والفتنة بين النابلسى والملك، إلى أن ترك نابلسى الحكومة. وشكل الملك حكومته بنفسه. وخاصة بعد حدوث الوقيعة بينه وبين قائد الجيش على أبو نوار ، الذى أقصاه الملك وعين بدلاً منه «على الحريري»، وسافر ملك الأردن . وفتح الملك قواعده العسكرية بناء على طلب انجلترا، فأعادت احتلال القواعد العسكرية الأردنية البريطانية التى سبق أن الغاها الملك حسين فى الوضع الوطنى السابق. وأرسلت بريطانيا ٩ آلاف جندى من «الشياطين الحمر». وكان هذا الاسم يطلق على رجال الصاعقة ورجال المظلات، حيث كانوا يرتدون البيريه الأحمر.

وعادت سفينة القومية العربية فى الأردن لترسو على شواطئ انجلترا فى القواعد العسكرية والمعونة المالية، وبالتالى فى السيطرة على المنطقة من حول إسرائيل مرة أخري... صمت التهامى وتنهد:

– وا آسفاه !

ولم تقتصر المضايقة على هذا الحد، بل استمرت قرابة العامين من الاحراجات وتحريك المعارضة، إلى أن أنذر الملك حسين بنفسه العالم كله أنه لا طاقة له بهذه الأوضاع، وأنه يفكر فى ترك المملكة الأردنية الهاشمية كلية...

وكان الرد البريطانى والمعروف للمخابرات المركزية بأنه إذا اضطر الملك حسين فى هذه الأوضاع لترك الأردن ، فإن الحكومة البريطانية لسابق علمها ودرايتها بأحوال المنطقة منذ الاستعمار، لا تمانع فى ترك الملك منصبه، لكنها ستسلم الضفة الغربية والقدس إلى إسرائيل، وسوف تعين بدلاً من الملك حسين أميراً من الأمراء (تقصد فى ذلك الوقت الأمير عبد الله الوصى على عرش العراق) أميرا لشرق الأردن، أو ملكا عليها. وتعلق السلطات البريطانية على ذلك. فتقول : إن هذه الأمور بالنسبة للسياسة البريطانية تعتبر اجراءً روتينيا لا صعوبة فيه.

وبلغنى ذلك بالتفصيل من مايلز كوبلاند مندوب المخابرات الأمريكية فى مصر وعلمه جمال عبد الناصر تلقائيا بالطبع!

كان ذلك الموقف فى مرحلة سابقة وقريبة من إجراءات الوحدة المصرية السورية ...

٨

الأغراض الشخصية
تحول الوحدة المصرية السورية
إلي كبش فداء

فى هذا اللقاء مع حسن التهامى نتوقف أما قصة الوحدة بين مصر وسوريا وماذا كان يحاك ضدها ؟ . وكيف ومتى بدأت مقدمات الانفصال ؟ . وكيف تم توزيع الأدوار من قبل الدول الكبرى لافشال الوحدة ؟

عندما اجتاحت سوريا عدة انقلابات كانت فى شكلها الظاهر قومية عربية، ولم تكن بقياداتها الانقلابية هذه معبرة عن عمق القومية العربية والوحدة ومواجهة الاستعمار. وكان مايلز كوبلاند رجل المخابرات الأمريكية الشهير هو الساعد الأيمن لأديب الشيشكلى ، كما كان كوبلاند معاونا لحسنى الزعيم، ولكن ليس بالقدر الذى كان لأديب الشيشكلي، وقد جاء شكرى القواتلى ليرأس سوريا لسبب بسيط، وهو أن تكرر الانقلابات والعنف أوجد للحزب الشيوعى السوري الذى كان يرأسه خالد بكداش مزيدا من الشعبية والنشاط، مما كان يُنبى بتحول الحزب الشيوعى برئاسته إلى قوة ضاغطة تعرقل أى برنامج، وتؤثر على الحكم فى مرحلة الحرب الباردة التي كانت قائمة بين الشرق والغرب فى المنطقة.

من أجل ذلك، ولاعتبارات أخري، حضر مايلز كوبلاند إلى مصر. والتصق بعبد الناصر. وأصبح حلقة الوصل التى تنقل من خلالها توجيهات الإدارة الأمريكية لتحريك العمل فى المنطقة العربية إلى الاتجاه الذى يريدونه. وكان مايلز كوبلاند لايخفى هذه الاعتبارات. بل إن علاقته الشخصية اللصيقة بجمال بدأت منذ اللحظة الأولي.. وكان يناديه: يا جمال !! ! وكان مايلز يقول: إن نفس الشئ يحدث فى موقفه من أديب الشيشكلي، فقد كان ينادى الرئيس السورى بـ : يا أديب ! وتطورت هذه العلاقة فى الظهور بها والتعبير عنها ، حتى أن كوبلاند كان يبعث للرئيس عبد الناصر برسائل تبتدئ مثلا : (جمال . سبق أن اتفقنا على كذا وكذا.. وأنت لم تفعل كذا.. فننصحك أن تنفذ ما نقوله). حدث ذلك - على سبيل المثال - عندما اتصل به بعض قادة الجيش السورى من خارج القوائم التى أعطيت له بالأسماء !

سألت التهامى أن يورد مثالاً كدليل ؟

- ذات يوم كان قد حضر من سوريا شخصية عسكرية لها مركزها الأدبي. وقابل

جمال بدون إذن منهم. فنصحوا جمال بعدم مقابلته. ولكن الضابط عاد واتصل بعبد الناصر. وقابله. ولما عاد الضابط إلى سوريا قتل فى حادث سقوط طائرة كان يركبها. وجاءت رسالة من مايلز يذكر جمال فيها بأنه قابل هذا الرجل للمرة الثانية «دون إذن» !.. وكانت النتيجة أن سقطت به الطائرة.

وبين جمال وكوبلاند عدد من الرسائل لاتحصي.

وكانت كل هذه الاتصالات بعبد الناصر تجرى فى الخفاء. لكنها جميعا كانت معبرة عن وجوب وضع الوحدة فى الإطار الذى يريدونه وبالأشخاص الذين يريدونهم أيضا، فقد كانت الوحدة فى نظرهم لتأمين أهدافهم فى المنطقة.

هذا المدخل للوحدة المصرية السورية لم يبدأ فى التحرك إلا بعد فشل الوحدة الرباعية الأولى بمخطط واضح وبأمر من عبد الناصر.

وبعد أن تزعزعت الأوضاع داخل سوريا، وانحرفت عن المسار الذى تريدة أمريكا بالنسبة لوضع سوريا فى المنطقة، وذلك نتيجة الآثار السلبية لتعدد الانقلابات، حيث كان المبدأ منذ البداية – والذى تهدف إليه أمريكا – هو وجوب استقرار الأوضاع فى مصر وعدم تكرار الانقلابات بما فى ذلك التجمهر فى سلاح الفرسان فى فبراير ١٩٥٤، فقد أخبرونا به قبل حدوثه ببضعة أشهر. وكان عبد الناصر يعلم به من خلال تقرير سرى للغاية.

وهنا أود أن أذكر الناس با هذا الاهتمام البالغ فى هذه النقطة بالذات جعل الإدارة الأمريكية تتصل بقيادة الثورة فى مصر ممثلة فى جمال ونجيب وقادة أجهزة الأمن منذ المقابلة الأولى لهم التى تمت واقعيا فى ٣ أغسطس ١٩٥٢، أى بعد نجاح الثورة فى ٢٣ يوليو، وبعد خروج الملك فى ٢٦ يوليو بأسبوع ومسيّر اللقاء الأول عندى، اى عند التهامي إخرجه عند اللزوم (!)

ومنذ ٣ أغسطس ١٩٥٢ تسير الأحداث على هذا المستوى من المسئولية جنبا إلى جنب.

نعود إلى الوحدة بين مصر وسوريا؟

-ظلت الوحدة على هذه الوتيرة من التحركات بحذر، والارتباط مع فئات خاصة جدا من السياسيين السوريين، إلى أن اختل توازن الوحدة. فلم يكن هؤلاء الذين ارتبط عبد الناصر بهم، هم كل الذين يمثلون الوطنية السورية ولا اتجاهاتها، ولا عقيدة سوريا بطبيعتها التاريخية، ولم أكن أبدا مستبشرا خيرا من الأسلوب الفكرى الذى اعتبره الناس ورقة عمل ناجحة يمكن أن تقود بها مصر المجتمع العربى وفقا للمخطط الأمريكى ووفقا

لتصورات عبد الناصر .. وهتافات (ناصر.. ناصر) !

وبدأ اعتراضى على المنهج والأسلوب الناصرى فى هذه الوحدة. وكان يهيأ لكثير من القادة فى مصر أن الناصرية بمفهوم التطبيق الناصرى للثورة فى خطوطه الرئيسية من اشتراكية وتأميم ومصادرة وتحديد للملكية وإصلاح زراعى ربط الجميع بمعادلة جائرة تحت وهم الانطلاق إلى طريق الغنى .. لا الإفقار- هى الطريق للمجتمع الأمثل. وتناسوا أن ذلك ليس السبيل الأمثل لغيرنا من العرب، لاسيما إذا كانت أقطارهم غنية. وقد ناقشت هذه الأمور مع قادة ثورة مصر قبل الإقدام على الوحدة. فعلى سبيل المثال كانت سوريا تزرع القمح بملايين الأفدنة تحت نظام الملكية الخاصة. دون روابط أو قيود حكومية. وكان القمح السورى يصدر إلى أوروبا والشرق الأوسط وكان مصدرا للغنيِ السوري. وكانت حرية التجارة فى سوريا تجعل من صناعاتها اقتصادا مربحًا ورواجا للدولة.. وهكذا بالنسبة لجميع مرافق الدولة. فأين تكون المبادئ الناصرية الثورية من هذا الرواج والمكانة الاقتصادية الثابتة والمعمول بها؟

فإذا اصطدمت النظم المصرية عند تطبيقها بمصالح الشعب، أين وكيف تكون النهاية، حتى إذا قهر الشعب السورى فى البداية على تطبيق هذه المبادئ؟! وأين تكون القيادات الشعبية التاريخية؟ وأين تكون الشخصية السورية بميزاتها التى كانت غنية بها إذا طبقت الوحدة العقلية الناصرية، وهكذا فى كثير من المنحنيات السياسية الأخرى التى تعتبر من توابع الوحدة.

وهل تخضع هذه الشخصيات والمجتمعات والقيادات السورية بمواصفتها تلك للنظام الناصرى إلى الأبد؟ لقد كان فى تقديرى أن هذا التطبيق فى حالة نجاحة فترة محدودة فلابد له بعد ذلك من التهاوى أمام صراع المصالح والعقائد.

لما تمت أولى خطوات الوحدة مع سوريا بحثوا عن وزير داخلية مؤتمن ومقتدر فى مصر فرشحنى عبد الناصر لهذا المنصب، وأن يكون زكريا محيي الدين وزير داخلية مركزيا. وعندما عرضوا عليّ هذا التكليف قلت: هو أنا عبيط أدخل معكم فى سلة البيض؟! فقال لى زكريا مرة وعبدالناصر مرة: أنت مجنون! إية يعنى سلة البيض؟! بنقول لك أحنا بنشكل حكومة وحدة قومية وبنسلمك أمن مصر. يبقى حاجة من اثنين يا احنا مجانين.. يا انت مجنون؟! قلت: لا أنا ولا أنتم مجانين.. ولكنكم تحشرون كل هؤلاء الوزراء (٥٤ وزيرا) فى سلة بيض، فعندما تتحطم سوف ينكسر كل مافيها، فسئلت: لماذا تقول هذا التعبير؟! فقلت: إن السياسة والأسلوب الذى تدخلون به فى وحدة مع سوريا لن يُقبل ولن يستمر. والمصير هو الانفصال، أنتم تعلمون أن كل القصد من هذه

الوحدة الآن هو نجدة سوريا من وطأة تسلل النظام الشيوعى عن طريق خالد بكداش أو بسببه . وهذه أمور تهم أمريكا ولا تهم مصر أو العرب فى المقام الأول.

بعد ذلك عينوا عباس رضوان .. وقد حاولت قبل الانفصال بستة شهور وربما بثمانية شهور أن أنقذ الموقف، ولكن عبد الناصر أوقف المحاولة فى آخر مراحلها فبشرته بالانفصال إن عاجلا أو آجلا.

فى المراحل الأخيرة من الوحدة كنت أعمل نائب الأمين العام للمؤتمر الإسلامى المصرى - واستشعرنا فى تلك المرحلة أن هناك تذمرا شعبيا سوريا ضد الوحدة، وإن الذى يسيطر على العلاقة مع عبد الناصر وهو رئيس الوحدة هو حزب البعث ورجاله القادة القدامى لسوريا قبل الوحدة ، وأن الحلقة تضيق حول حكم عبد الناصر، والمحاولات لانتزاع السلطة من يده مستمر.

وأقولها .. لأول مرة :

- كان هناك تدخل عميق وجذرى من المخابرات المركزية الأمريكية. واستشارنى عبد الناصر والسادات فيما يجب عمله من الآن قبل أن تستفحل الخلافات. وكان ذلك على أثر عبارة قالها صلاح البيطار وزير خارجية سوريا، وكان يزرو عبد الناصر فى القاهرة. وكان من حوله رجال مهمون أعرفهم شخصيا أوصلوه إلى المطاروكان يغادر القاهرة ساعة غروب الشمس وهي توشك على المغيب، وقال باللغة العربية الفصحي، وبالعنجهية المعروفة عنه.. قال : إن حكم عبد الناصر في سوريا يغرب كما تغرب هذه الشمس.

وتم تبليغ هذه الكلمات إليّ فور ترك البيطار للمطار ، فكان مدلول ذلك عندى أن مرحلة الانفصال قد بدأت . وأنه لا أمل بعد ذلك لا للوحدة بل لعبد الناصر شخصيا، ولما بلغنى ذلك قلت في نفسى : لا والله ، لن نترك الأمور بعد أن وصلنا ، وحتى لا تصبح الوحدة عملا مدمرا فى السياسة العربية نتيجة مواقف شخصية. وقلت لأنور السادات ولعبد الناصر، كل على انفراد : لابد من عمل شئ لإنقاذ الوحدة. ولم يكونا فى الصورة التى أعرفها مطلقا. وسافرت إلى دمشق. وأرسلت بعض معارفى وأصدقائى فى سوريا عن طريق جماعة كبار العلماء. وكان لها مركزها الوطنى والقيادى والتأثير الروحى والعقائدى والشعبي، بما يفوق تأثير أى حزب آخر على مستوى الجموع السورية، ليكونوا هم باب الفتح لإقناع كل أنحاء سوريا باستمرار الوحدة وإصلاح الأخطاء ، بعد التعرف على الأخطاء التى يتذمرون منها.. سياسين وإسلاميين.

واجتمعت بهم فى دمشق وكنا في رمضان، وترتبت رحلة طويلة إلى حمص وحماه وحلب، وهى ركائز القوى الشعبية فى سوريا ذات التأثير. وكان استقبالهم حارا جدا لأن

يلتفت إليهم مسئول مصرى قبل أن تحدث الكارثة. وكنا كلما جلسنا نتفاهم على إلغاء أسباب الخلاف والتفاهم على مستقبل أفضل حفاظًا على هذا الأمل العربى الواسع كانت ردودهم جميعا : ليبق كل فى مكانه . إن اليأس بلغ مداه وإنه لاثقه للسوريين بأن يغيّر عبد الناصر أسلوبه.

وبعد الاطمئنان بعض الشئ . وبعد القاء الكلمات المتبادلة معهم، اتفقت معهم على أيفاد ٧٠ شخصية من القادة الشعبيين إلى مصر لعمل مؤتمر تثبيت الوحدة واستعراض أسباب الخلاف وعلاجه. وكان الحماس والتقدير لهذه الفكرة لا نظير له . واتفقنا على البرنامج . ورحبت بهم مصر . وقالوا وقتها لى : لاتزال ثقتنا فيك (أى التهامي) .. وقلت لهم : الثقة فى مصر باقية طوال الدهر . وغايتنا الاصلاح ، والخروج من مؤتمر القاهرة بآراء سليمة هادفة. واستعراض الأخطاء والشكوي. وإيجاد الحلول والدعم لشعبى مصر وسوريا.

وأخطرت عبد الناصر قبل أن نغادر دمشق ووافق باعتبارها آخر نجدة للموقف، وأن هؤلاء يمثلون بالفعل القاعدة الشعبية السورية العريضة، والتى عليها يجب أن تقوم أهداف وسياسة الوحدة.

وعدت إلى مصر. وكلفنا شركة الطيران المصرية بأن توفد إحدى طائراتها وقتئذ لتسع هذا العدد وتطير بهم إلى القاهرة وتعيدهم بعد المؤتمر. وترتب كل شئ فى مبنى وحديقة مركز المؤتمر الإسلامى بالزمالك. وبالفعل أقيم السرادق لعقد المؤتمر داخله.

وفى آخر لحظة والطائرة فى مطار دمشق يأتينى تليفون من عبد الناصر – من دمشق – وبعده تليفون آخر من السادات فى القاهرة بأن المؤتمر قد ألغي. ويطلب عبد الناصر إيقاف الإجراءات.

طرت إلى سوريا بعدها بساعات توجهت رأسًا إلى القصر الجمهوري، حيث كان وزير الداخلية السوري.. الذى كان معاونًا مباشرا لأديب الشيشيكلي، والذى كان على صلة وثيقة بالمخابرات المركزية الأمريكية، جالسًا فى البهو. ودخلت إلى عبد الناصر رأسا، وناقشته. فإذا به يقول لى بمنتهى البساطة : «معلهش يا حسن الغ المؤتمر».. أنت شايف وزير الداخلية اللى فى الصالون بره.. أول معترض على عقد هذا الاجتماع.. والأحزاب هى اللى أرسلته بهذا .. فاعمل معروف الغ المؤتمر!! فقلت له : الوفود مجتمعة فى دمشق وباقى على الطائرة بضع ساعات . فقال : معلهش الغ ياحسن الاجتماع.. وسوف أدرس معك مرة أخرى كيف تتصرف .. إن وزير الداخلية يكاد يحذرنى من هذا الاجتماع(!)

وتعليق التهامي؟

- تعليقى على ذلك ، وهو مالم أتحدث به إلى عبد الناصر : أن الموضوع أكبر من ذلك.. أن المخابرات المركزية الأمريكية قد أحست بهذا التوجه العربى الإسلامى السورى العقائدى الجديدة تجاه مصر. وأنهم لا طاقة لهم بذلك. لأن الشعب السورى بطبيعته سيسير خلف هذا الاتجاه الجديد، رغب الناس أم لم يرغبوا . ومن ثم كانت هذه هى تعليمات المخابرات المركزية الأمريكية ومطالبها التى جرت على لسان رجالها فى دمشق.

عدت من دمشق إلى القاهرة بعد أن تقابلت مع وفود منهم. وطيبت خاطرهم، وتأسفت للإلغاء المفاجئ للمؤتمر. ولكن الأمل لا يزال فى المستقبل، فأجمعوا وقتها بقولهم: نحن قلنا لك أن عبد الناصر لن يسمح بالمبادئ التى تقولها أنت. ومنذ ذلك اليوم بدأت نهاية الوحدة.

حدث بعد ذلك ، عندما جاء عبد الناصر إلى القاهرة، أن جلست معه فى مكتبه بالقناطر الخيرية، وقلت له محتدا: لن تبقى سوريا فى اتحادها مع مصر أكثر من بضعة شهور. قال لى وقتها : أنت تقديرك للأمور يختلف عما أري، كيف وصلت لهذه النتيجة؟ قلت له: إنى أراها واضحة وضوح الشمس. وأنت كيف لا تراها؟! وأصر عبد الناصر على أن رؤيته للأمر تختلف . فإن تقديره للموقف يأتيه ممن هم حوله من الحكام السوريين، وعلى رأسهم وزير الداخلية وهو عبد الحميد السراج.

بداية النهاية

لكنى فى هذه الجلسة قلت لعبد الناصر : مابينى وبينك انتهي، وأنا الآن لابد أن أخرج من مصر فقال لى : ليه؟ فقلت له : إنه عندما يحدث الانفصال . وبعد أن نصحتك وعملت المستحيل لأحافظ عليك، فلا أضمن مطلقاً كيف سأتصرف معك؟! فقال : هو أنت رئيس الدولة ولا أنا؟! فقلت أنت الرئيس ولا أنازعك فى ذلك، ولكنى أمتنع عن التعاون معك قبل أن تحدث الكارثة التى أنا متأكد منها. فقال: متى تظن أن يحدث الأنفصال؟ فقلت له: من ستة إلى سبعة شهور . وأعمل حسابك أننى خارج مصر فى مدة أقصاها هذا الشهر، وأنا الآن مستعد للتعيين سفيرا لمصر فى أى مكان من العالم، وفى خلال نفس الشهر تعينت سفيرا لمصر فى هيئة الطاقة الذرية الدولية، وعضوا لمجلس المحافظين بالوكالة فى فيينا بالنمسا، التى كان فيها الشاعر العربى المعروف عمر أبو ريشة سفيرا لدولة الوحدة لدى حكومة النمسا.

وقبل الانفصال بشهر أبلغنى السفير عمر أبو ريشة بأن شكرى القواتلى حضر فجأة إلى فيينا وهو منزعج جدا، ويرجو مقابلتك. فلما التقيت بهما أظهر شكرى القواتلى انزعاجا كبيرا لأن التذمر فى سوريا قد بلغ مداه. وأنه يخشى الأنفصال فى أى وقت.

والمواقف متأزمة فى داخل سوريا ثم غادر شكرى القواتلى متجها إلى سويسرا وفرنسا والجلترا ولم يعد إلى سوريا .

وفى فترة التأزم هذه وشعور عبد الناصر بوطأة الأزمة كان من الطبيعى أن يعرف كل ذلك من مكتب الاتصال المصرى فى سوريا . وأرسل فى هذه المرة عبد الحكيم عامر نائبا عنه ، وحدث الانفصال فعلاً أثناء وجود عبد الحكيم عامر فى دمشق وقبضوا عليه . وأحتجزوه ، ولم يكن على عبد الحكيم المآخذ التى نخاف منها على حياته . فقد كان طيبا مع الجميع . ولذلك خرج من سوريا سليما بعد الانفصال .

بعد هذا الانفصال بشهر تولى الدكتور معروف الدواليبى رئاسة الحكومة السورية المدنية . وكان صديقا لي ومعرفة طيبة وهو فى ذات الوقت رئيس حزب الشعب السوري ، الذى كان مؤتلفا معنا فى خطة الإصلاح . فأرسل لى رسالة بأنه يريد إبلاغ عبد الناصر بأنه مستعد لإعادة الوحدة بتحرك شعبى على أساس تغيير نظام العمل المشترك الذى كان قبل الانفصال وأنه يضمن تنفيذ مايقول بشرط أن توافق مصر وعبد الناصر على هذا المبدأ . ولما تساءلت متى يمكن إعادة الوحدة؟ قال : فى ظرف ستة شهور حتى نهيئ الرأى العام ونظام الحكم الجديد فى سوريا للائتلاف لهذه الفكرة ونتفق معكم حول مساندتها عمليا .

نزلت إلى مصر وقابلت عبد الناصر فى بيته وكان فى غاية الضعف . وأخبرته بهذه الرسالة . ولم أخبره أنها آتية من الدواليبي . فلما سألني : من هذا الرئيس والقيادة الشعبية التى تعرض هذا العرض ؟ فقلت له : اترك هذا الأمر لي ، ولكنى مسئول عن إتمام ما أقول إذا وعدت بما يطلب منك . فقال : ليه مش عايز تقول اسمه ؟ !

وقلت له : حتى لايُفسد هذه المحاولة من هم حولك . فغضب وقال : يعنى أنت لاتثق في . قلت : ثقتى فيك جعلتنى أتحدث معك ، ولكنى لا أثق فى أى شخص آخر . ولا أريد أن أعرض هذه الشخصيات السورية لسوء تصرف . بفعل من هم حولك . وعندئذ ثار ثورة شديدة وقال : إذن مش ح رجع الوحدة . ولازم أنتقم . . (قالها ثلاث مرات) .

إن الوضع بالنسبة لعبد الناصر فى كل هذه الأحوال كان وضعا شخصيا . ويومها قال لي : إنه مرض مرضا شديدا على أثر الانفصال . وفقد من وزنه ١٦ كجم فى شهر واحد . وارتفع السكر وبدأ يؤثر عليه ، مع تصلب الشرايين .

بعد ذلك تحرك قول مدرع من إسرائيل فى اتجاه الطرق المؤدية إلى الجولان السورية . كما قال لى معروف الدواليبى إنه يبحث عن قوة المدرعات السورية التى كانت محشودة للاحتياط حول الجولان وغالبا سحبت لتدعيم الانفصال عندما حدث الانفصال ، فلم يجد من هذه الوحدات شيئا ، فلما لجأ فورا إلى العراق . وكان رئيس العراق وقتئذ عبد

الكريم قاسم. فأرسل عبد الكريم طابورا طويلا من المدرعات، حشده الدواليبى حول الجولان. وضرب القول الإسرائيلى ضربة قاصمة مفاجئه، وتأجل سقوط الجولان إلى حرب ١٩٦٧.

وتذكر الأحداث وقتئذ تنديد عبد الناصر بالمواقف فى العراق وشتمه لرئيسها علنا ورد الرئيس العراقى بالشتم علنا لعبد الناصر.

وخطأ عبد الناصر فى حق خروشوف رئيس الحكومة الروسية، الذى كان فى بغداد وقتئذ لأن المدرعات التى أرسلت مدرعات روسية واشتدت الشتائم بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم، ورد خرشوف على عبد الناصر بالشتم والتحدي. وكان هذا هو سبب الوقيعة بين مصر والعراق.

وبذلك تحولت الوحدة إلى كبش فداء لأغراض شخصية.

وبذلك تكون القومية العربية والوحدة قد أخذت الضربة الثانية التى أثرت فى نفوس الناس وأملهم فى الوحدة إلى يومنا هذا؟

٩

عنب النكسة المر

نصل فى حوارنا مع حسن التهامى إلى نكسة ١٩٦٧ .. وما سبقها من محاولات إسرائيلية.. ويكشف لأول مرة عن تخطيط «لنكسة» كان مقدرا لتنفيذها عام ١٩٦٤ .. ولم تتم وتأجلت ثلاث سنوات... كما نتعرض لأسرار نهاية عبد الحكيم عامر.. وثورة ليبيا.. وموضوعات أخري.

قال حسن التهامي:

قبل أسبوعين من انعقاد مؤتمر القمة العربى عام ١٩٦٤ ، وأنا موجود بالخارج سفيرا لمصر فى النمسا ، تجمعت لدى أنباء من مستويات عليا تتحدث عن تجهيز إسرائيل لمعركة هجومية على سيناء بحيث يتم هذا الهجوم فجأة وبدون إثارة سياسية مسبقة. ولما كانت هذه المعلومات صادرة من شخصيات كبيرة ومسئولة تضع مصر موضع التقدير وتخشى عليها كما تخشى على جر المنطقة إلى خطر عدم الاستقرار؛ وجدت نفسى مدفوعا للتوجه إلى مصر.

وعلى الفور. قابلت عبد الناصر لأبلغه بهذه المعلومات. فقال لى باختصار: ما رأيك فى التعامل مع هذا الموقف؟ قلت له: إن إسرائيل تنتهز فرصة تشتيت القوة المصرية فى اليمن، والفرقة العربية التى تسببت فيها هذه الحرب، والاستعداء الذى تسببت فيه بين مصر واليمن على وجه الخصوص. وفى نظرهم أن هذه العزلة المصرية وتشتيت وحدة الفكر والعمل السياسى العربى كل ذلك، جعل إسرائيل تفكر فى أن تنتهز ذلك كله وتنفرد بحرب خاطفة ضد مصر. لذلك فالواجب العاجل الآن هو كسر هذا الموقف.. ودعوة العرب لمؤتمر قمة فوري. وأطلب من العرب المشاركة فى تحمل المسئولية ولم الشمل. وأعمل على إنهاء المفارقات بينك وبين المجتمع العربي، لأن مصر هى المتضررة من ذلك أولا وأخيرا. وإذا حدثت هذه المصالحة فإن إسرائيل لا يمكنها أن تنفذ هذا المخطط بالانفراد بمصر. وبذلك تؤجل هذه المرحلة الخطرة أو توقف التحضير لمواجهتها الآن أو فى مرحلة لاحقة.

ولما سألنى عن التوقيت قلت له: أن الأنباء تدل على أنهم دخلوا مرحلة التحضير، والتخطيط الاسرائيلى يحتم عليهم الدخول فى الحرب فى مدى ١٤ يوما من بدء التعبئة

العسكرية. فإذا طلبت عقد هذا المؤتمر فى مدى أسبوعين من الآن يمكنك أن تعبر عن منطقة الخطر.

وبعد أيام طلب عبد الناصر عقد المؤتمر العربى فى مدى أسبوعين من إعلانه هذا. وصدرت التوجيهات بإعداد فندق المنتزه بالإسكندرية لاستقبال هذا المؤتمر، وسمى بذلك: فندق فلسطين. وبعقد هذا المؤتمر وظهور بوادر إصلاح الموقف العربى فاتت على إسرائيل فرصة الأنفراد بمصر عام ١٩٦٤. وتأجل هذا المخطط إلى عام ١٩٦٧. فكانت ذريعة الهجوم التى أعلنها موشى ديان أنه «إذا أغلق عبد الناصر خليج العقبة عند شرم الشيخ، وكانت لنا فيه قوات منذ حرب ١٩٥٦، فإن الحرب قائمة لا محالة بين إسرائيل ومصر».

ودخل عبد الناصر من هذه النقطة بالذات فأغلق ممر تيران. ومنع مرور السفن اليهودية. وطالب قوات الأمم المتحدة بالخروج عن المنطقة دون التشاور مع الأمم المتخدة أو مجلس الأمن. وبدأ التعاون بالتسخين المتبادل بين جمال عبد الناصر وموشى ديان فى الإعداد لأسباب الحرب.

كان هذا هو الموقف السياسى المعلن. أما الجانب العسكرى فلا نريد الخوض فيه بأسراره. ولكن يكفى ذكر نقطتين اثنتين؛ أن الذخيرة والدبابات التى وصلت إلى مصر على وجه السرعة كانت مكدسة على الجانب الشرقى للقناة. وكانت الدبابات مازالت تكسوها طبقة الشحم الواقية من الصدأ عندما سقطت فى أيدى جيش إسرائيل فى كثير من المواقع. وبقيت هذه الذخيرة بالاف الأطنان مشونة حتى بعد أن انتهت حرب ١٩٦٧. وكلفت القيادة الشهيد ابراهيم رفاعى بعبور القناة وتفجيرها وكانت كالبركان المزعج.

أما على الجانب الآخر فى إسرائيل فقد كانت خطة ضرب القوات المصرية تسبقها ضربة لمصر بالطيران الإسرائيلي. وحرمان قوة الطيران المصرية من مقاومة الهجوم والدفاع عن قواتنا الأرضية، قد وضعت مسبقاً. وكان عند إسرائيل بعض خبراء الطيران من أوروبا. وأستأجرت إسرائيل طيارين لقيادة كل طائرة من عدة طلعات متوالية، فتضاعف بذلك قوة التدمير وتضرب الطائرات المصرية ضربة مفاجئة وهى لاتزال على الأرض، وبالتالى تتحقق أولى خطوات النصر المؤكد.

كانت هذه الخطة قد عرفت لمصر ولجمال عبد الناصر بالذات. وعلم عبد الحكيم عامر قائدالقوات المسلحة المصريةبها. وكان مخطط الضرب هو اجتياح الأراضى المصرية عن طريق الاقتراب للطائرات غير المنتظر، أى ليس من فوق سيناء بل من البحر.

وكانت خطة الهجوم التى نوقشت واستقر عليها الرأى وأخذ الطيارون بها أوامرهم التنفيذية مقررا لها ان تتم فى يوم ٥ يونيو بين السابعة والثامنة صباحاً.
إذن فما الذى حدث لكى يصل بنا الحال إلى هذا الموقف المحزن؟
يجيب التهامي:
- سوف نقتصر على ذكر نقاط محددة:
أولا: أن هذه الخطة تسربت من إسرائيل ووصلت عبد الناصر من عدة مصادر، نذكر منها: مصدرا من بيروت. ومصدرا من داخل إسرائيل. ومصدرا من باريس.
أما مصدر بيروت، وكان هو الأبسط كمعلومات عامة، بأن إسرائيل ستبدأ بضربة طيران مكثفة. أما الثاني، فمن داخل إسرائيل، حيث أبلغ ذلك كله «رأفت الهجان» الذى غادر إسرائيل إلى أوروبا لكيلا يحضر هذه المرحلة. وكان يتوقع أنه بوصول خطته إلى عبد الناصر، فإنه سوف يكبد إسرائيل خسائر لا حد لها ولكن خاب ظنه!
أما المصدر الثالث؛ فمن باريس فكان تقريرا شاملا عن المخطط كله، من أحد الضباط الذين كانوا يتعاونون مع عزرا فايتسمان، قائد الطيران الاسرائيلى فى ذلك الوقت. وحدد فيه الهجوم فى ٥ يونيو، بين السابعة والثامنة صباحاً. واقلاع الطائرات والطلعات المتوالية. وخطة ضرب الطائرات والمطارات. وتعجيز سلاح الطيران، وقد تقررت نتيجة الحرب من هذه الساعة. وكان التقرير يشمل كذلك خطة إجهاض هذا المخطط الإسرائيلي. وكانت التوصية، هى أنه بمجرد خروج الطائرات الإسرائيلية من مطاراتها، أن تخرج الطائرات المصرية لتدمر ممرات النزول فى مطارات إسرائيل. وبالتالى يتعذر على الطائرات الإسرائيلية التى قد تنجو من صواريخ الدفاع الجوى المصرى عند مواجهته لهذه الهجمة، يتعذر عليها الهبوط فى المطارات. وبالتالى توقف الطلعات المتكررة، التى كان البرنامج والخطة مبنيا على أساسها. فقد كان من المقرر أن تأخذ الطائرة بضع دقائق فقط فى إعادة تموينها بالبترول وصعود طيار جديد عليها.
ثانيا: حدث فى الجانب المصرى عدة ظواهر لافتة للنظر، ودامغة فى معناها:
فلقد كان الطيارون المصريون فى موقف الاستعداد بالطائرات المقاتلة على مدى ٢٤ ساعة ولمدة أسبوعين قبل ٥ يونيو. وجاءت التوجيهات بإنهاء هذه الحالة. ونزول الطيارين، الذين كانت تحل لهم الإجازات الشهرية إلى أجازاتهم قبل ٥ يونيو.. بيوم واحد! معنى ذلك أن حالة الاستعداد لم تعد قائمة. وأن هناك انفراجا فى الموقف التعبوي. وتأجلت بذلك مرحلة المواجهة. فدمرت طائراتهم.. على الأرض!
إنه كان لمصر نقط مراقبة لحالات المطارات الرئيسية، وكانت على صلة بنظيرها فى

مصر. وكانت كلمة السر.. أى الشفرة اللفظية.. أنه إذا شوهدت الطائرات الإسرائيلية تقلع من المطارات بأعداد غير عادية، أن ترسل كلمة السر (عنب).

والذى حدث: أن غيّر شخص ما فى القيادة المصرية كلمة السر هذه فى مصر ليلة ٥ يونيو، أى قبل خروج الطيران الإسرائيلى بساعات. فلما أرسلت نقاط المراقبة فى الصباح هذه الإشارة، لم يترجمها نظائرهم فى مصر.

وأعتبروا هذه الإشارة غير مفهومة أو نوعا من الخطأ أو الهلوسة!

وقيل فيما بعد على لسان شهود ١٩٦٧ ، : إن هذا الشخص الذى غير الشفرة، غادر مصر، ويعيش الآن فى الخارج. وما كان لهذا المسئول أن يفعل ذلك إلا بأمر من الرئاسة العليا، سواء علم هو بالمكيدة، أو لم يعلم(!)

ثم نأتى لأهم نقطة فى هذا الموضوع. وقد جرت فى حديث مباشر بينى وبين عبد الناصر فى صالون بيته بمنشية البكري، عندما استدعانى من النمسا، وكما قال لي، ليتعاون معي، وأتولى معه بعض مسئوليات الحكم فى مصر استعدادا لمرحلة أخرى قادمة وهى التغيير. وعند حضورى لمصر استجابه لهذه الرسالة، لم أقابله فور عودتي. ولكنى بقيت فى القاهرة عدة أيام أسأل وأتحرى عن خفايا هذه النكبة والنكسة من تصرفات أدت بنا إلى هذا الوضع.

وأهم ما بلغنى أن عبد الحكيم عامر الذى قيل : إنه مات بالسم وانتحر، كانت قد صدرت إليه الأوامر من عبد الناصر بأن يتوجه إلى مركز القيادة فى سيناء هو وطاقم القيادة فى صباح يوم ٥ يونيو الساعة السابعة صباحا.

وكان من عادة المشير عبد الحكيم عامرأن يوقف عمل بطاريات الصواريخ عن الاطلاق عندما يسافر جوا إلى سيناء أو منطقة القناة أو العودة منها. وصدرت التعليمات لبطاريات الدفاع الجوى بالتوقف عن العمل خوفاً من أن تلتقط الرادارات طائرات المشير وتسقطها خطأ. وحدث أن واجه عبد الحكيم عامر فى الجو أسرابا من الطائرات الإسرائيلية ولم يكن مفاجأ بذلك، لأنه علم من عبد الناصر مسبقًا أن هذا التوقيت- من ٧ إلى ٨ صباحًا - هو التوقيت المنتظر للهجمة الجوية الإسرائيلية. وحدث أن أدار عبد الحيكم عامر طائرته، وعاد إلى القاهرة بأقصى سرعة، تتبعه المقاتلات الإسرائيلية. ونزل من طائرته التى وقفت بمجرد إمكانها الوقوف على ممر الطائرات ونزل مسرعًا إلى مبنى المطار. وكانت الطائرات الإسرائيلية لحقت بهم ، وأطلقت نيران رشاشاتها على طائرة عبد الحكيم عامر وهى على الأرض.

وعلمت أيضا أن عبد الحكيم أبلغ عبد الناصر بالتليفون فور نزوله جريا من الطائرة بما

حدث وسأله سؤالا صريحا :

نعمل أيه ياريس؟

فكان رد عبد الناصر

انسحاب ياعبدالحكيم!

ولما قابلت عبد الناصر قلت له : قبل أن تكلفني بالتعامل معك . سأسألك عدة أسئلة، لأعرف منك الحقيقة.

فسألته على وجة التحديد.. الآتي بالضبط.. حرفيا.. دون زيادة حرف أو نقصان كلمة :

أنت كان عندك خطة الهجوم الاسرائيلي، وجاءتك من باريس، وكانت تحدد بالضبط وقت الهجوم وتفادى الهجوم والإجراء المعتاد.. فكان رده :

- أيوه !.

سألته : هل أخطرت عبد الحكيم ؟

قال : أيوه .. هو كان يعرف !

سألته : ياريس امال طلعته ليه فى الجو الساعة السابعة صباحا، وانت تعرف موعد الهجوم الكاسح ؟!

قال بالحرف : أيوه.. أنا قلت يطلع فى الساعة دي.. هو قاعد فى مصر يعمل إيه ؟!

فسألته : عندما اتصل بك عبد الحكيم من مطار الماظة بالتليفون يسألك عن تعليماتك فى التصرف قلت له : انسحاب ياعبد الحكيم؟

- قال جمال :أيوه .. أيوه قلت له : انسحب ياعبد الحكيم.

قلت له : بعد هذا .. هل شرحت له أو عرفته بكيفية أو خطة الانسحاب، إن كانت على مراحل، أو فورية، ولغاية فين ينسحب ؟

فقال : ده شغله.. ماسبق انسحب الجيش عام ١٩٥٦ .

قلت له : كان من الممكن أن تنسحب القوات من سيناء، وتظل ممسكة بقناة السويس، أى تبقى بالضفة الشرقية والغربية، لأن قناة السويس تحمى ظهر القوات إذا وقفت فى شرق القنال.. فأنا أستفسر منك.. هل قلت له أن يترك قناة السويس؟

- قال بكلام قاطع : أيوه قلت لعبد الحكيم انسحب غرب القناة.

فسألته سؤال آخر : عبد الحكيم.. هل مات أو انتحر؟

- قال : أنا كنت عايز تنتهى المشكلة بينى وبين عبد الحكيم لأنه كان عايز يعمل تحقيق فى أسباب الهزيمة، وكانت دى المشكلة. أنا قلت عبدالحكيم ييجى عندى هنا البيت،

وييجى معاه اثنين من اعضاء مجلس الثورة القدامي ونحاول ننهى المشكلة. وأنا فهّمت الكلام ده للاثنين، (وهم كانوا أنور السادات وعضو آخر لايزال على قيد الحياة) ولما حضر عبد الحكيم معاهم أنا طلعت فوق في دور السكن. ورفضت أقابله. وهم طلبوا منه أن ينهى هذا الموقف. فقال لهم : يعنى آخد برشامة السم اللى شايلها معايا، وبعد جدال عنيف بينهم أجابوه بالايجاب: أيوه يكون أحسن. فدخل عامر دورة المياة الموجودة بمكتب -عبد الناصر- وبابها مفتوح، وكشف عن صدره ،استخرج كبسوله السم (أكونتين) وابتلعها أمامهم. ولكن هذه الكبسولة لم تكن كافية لقتل عبد الحكيم لأنه كان عنده مناعة ناتجة من كثرة تدخينه. ولما لم تؤثر فيه هذه الكبسولة من الإغماء أعطى السم مرة أخري.

ويقول التهامي:

- إن السم الثانى الذى أعطى لعامر كان من نوع آخر، لم يحتمله أكثر من ثانية واحدة. وعرفت أنه كان سم «السيانور». وعلمت فيما بعد الأسلوب الذى مات به عبد الحكيم عامر حيث لفظ انفاسه الأخيرة بين يدى انسان يحبه ويقدره وهو اللواء الليثي، فلما سقط عبد الحكيم عامر ميتا بين يديه فى هذه المرة أصيب الليثى بصدمة عصبية لم تفارقة حتى أرسله السادات للاستشفاء فى لندن، وهناك سقط من الدور العاشر بالمبنى الذى كان يسكن فيه فمات ومعه سرّه، الذى قصّه عليّ.

وانتهى عبد الحكيم عامر. وانتهت المجموعة التى كانت خلفه تسانده. وكانت تدبر خطة أخرى لإنقاذ عبد الحكيم عامر من هذا الموقف الذى كان فى أعقاب «خدعة».. وهزيمة.. ونكسة ١٩٦٧.

كما تحول الحديث مع عبدالناصر فى نفس الجلسة إلى موضوعات سياسية أخري.

سألت حسن التهامي:

كيف قال لك عبد الناصر هذا.. باطمئنان.. وبصراحة؟

- أنا لا أستبعد أن عبد الحكيم عامر كان على دراية ببعض هذه المواقف. وكان من الممكن لعبد الحكيم أن يفضح ما يعرفه فى المحكمة التى طلب تشكيلها لحسم موقف المسئولية بينه وبين جمال لأننى سمعت نقلا عنه أنه حاول أن يعاتب جمال عبد الناصر قبل أخذه السم وأنه قال لعبد الناصر: إن ضميرى لا يسكت ولا يسمح بأن أخفى مسئوليتنا تجاه أبنائنا الذين قتلوا على أرض سيناء. ولذلك فإن عبد الناصر بدأ يشعر بشئ من الاطمئنان واستبعاد الخطورة عليه من أى شخص. وكان يريد منى أن أعاونه فى إعادة بناء البلد. وهو يعلم أنى سألت عن هذه الموضوعات قبل أن أقابله. وتصور أننى أعرف

كل هذا ما عدا النقطة الأخيرة، لأن أحدا لم يسأله عن ذلك ولم يكاشفة فيها.
وعدت - فى نفس الجلسة - أسأل عبد الناصر:
أنت ناديتنى من الخارج.. أنت عايز منى ايه. أنا طالع سفير فى اليابان.. وعندى الموافقة بذلك. ولم أكن أفكر فى العمل معك بعد كل الذى حدث؟
- قال عبد الناصر: لا يابان.. ولا حاجة.. أنت ح ترجع مصر.. أنا عاوزك جنبي. وأنا أحكم عليك فى هذه الظروف بوطنيتك. مصر تحتاج الآن إلى إعادة بنائها.
قلت: الكلام ده عايز تفسير
- قال: انا عايزك تكون دراعى اليمين.. ولما ترجع نتفق على كل شئ.
قلت: ده كلام عايم أنا غير موافق عليه وسأعود إلى الخارج مرة أخري.
قلت: لا.. ح تيجى مصر.
قلت: بهذا المفهوم.. لا أحضر.
قال: سأستدعيك.. وصمت قليلا ثم قال: ما رأيك فى الموقف الآن؟
قلت: اعمل وحده مع ليبيا.
- قال: نعم.. ؟! أعمل بها إيه؟!
أجبته: دى عمق استراتيجى لمصر علشان لما تحب تهرّب طياراتك من مجال الطيران الإسرائيلى تروح ليبيا. زى لما ضاقت بك الحال أرسلت طلبة الكلية الحربية فى أثناء العدوان الثلاثى إلى الخرطوم للحفاظ على هذه الأجيال من ضباط المستقبل. فاحنا محتاجين عمق استراتيجي. وليبيا يحكمها الملك السنوسي. وهو أقرب مايكون لمصريته من ليبيته. وأنا فى تقديرى أنه على أتم الاستعداد للانضمام لمصر. وهذه مصلحة الشعبين المصرى، الليبي. ولاتنس أنك فقدت الوحدة مع سوريا لأسباب نعرفها احنا الأثنين. وتخيل معى بعد انضمام ليبيا تبذل المساعى مع السودان لتدخل فى هذه الوحدة.
وكان رده:
- ما الذى يمكن عمله غير ذلك؟
قلت: تسببت نكسة ١٩٦٧ القريبة فى فقدان مصر لزمام القيادة فى الشرق الأوسط. وأنا أقترح عليك أن أتولى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ولك عندى من خلال هذا المنصب أن تتشكل معالم التعاون العربى المشترك مرة أخري.
فقال: أنا مش عايزك تمسك جامعة.. أنا عايزك جنبي.. تكون دراعى اليمين فى التغيير فى مصر.
وقد حدث بعد ذلك بعام والملك فيصل يزور مصر لأول مرة فى عهد عبد الناصر.

وكنا على مائدة المفاوضات فى قصر القبة، فدخل إلى الاجتماع الفريق كبير الياوران، ومعه ورقة سلمها لعبد الناصر، والملك فيصل جالساً على يمينه، فقرأها ثم نظر إليّ.. ثم أدار وجهه إلى الملك فيصل وهو بجانبه فقال له:

- دول عملوا انقلاب فى ليبيا وطردوا «الملك»! ولم يظهر الملك فيصل أى علامات انفعال أو رد فعل. فقد كانت هذه هى أول مرة يذاع فيها خبر بإتمام انقلاب ليبي.

والواقع أن ملك ليبيا كان قد ترك بلده قاصداً الاستشفاء فى الخارج وترك خلفه استقالته مطالباً البرلمان بتعيين خلف له.

وبعد الاجتماع قصدنى عبد الناصر ليناقشنى فى موضوع التغيير الليبي. فقلت له: إننا فقدنا عاماً كاملاً حاولت فيه أن أقنعك بخطوة الوحدة، والآن سيفرض عليك موقف ليبيا الجديد التزامات سواء رغبت أم لم ترغب.

وانتهت المقابلة..!

١٠

هذه هي السياسة.. ياحسن!

فى اثناء لقاءات كامب ديفيد وعد الرئيس كارتر الرئيس السادات بأنه سوف يمنحه ثلاثة مليارات دولار للتنمية الاقتصادية.

ويقول حسن التهامى :

وتناقشت مرة-ونحن فى كامب ديفيد - مع السادات وحاولت اقناعه بعدم جدوى الاعتماد على وعد كارتر والتطلع إلى مصادر التمويل الأخرى فى العالم . وكلما حدثته فى هذا، يعيد الاصطلاح الذى التزم به على لسانه، وكأنه ليس هناك إلا ما اقتنع به فيقول : (ياحسن : كارتر وعدنى بـ ٣ مليارات. وأنا أثق فى وعد كارتر. ياحسن ده وعدني...) وأنا أكرر عليه أن كارتر بشخصه، وان كان رئيسا لأمريكا، لايملك أن يفى بوعده هذا. ونحن لايمكن أن ننتظره حتى يتمكن من الوفاء بأى شئ. ولا نعلق آمال مصر على كلمة من كارتر لأكثر من سبب... والله ياريّس أنور إن كارتر لايملك اعطاءك ٣ دولارات، ومن خلفه عجلة الادارة الامريكية! لانه إذا أعطاك شيئا فلابد أن يعطى إسرائيل مثلما أعطاك. والادارة لن تعطيك. كما أن إسرائيل لها أساليبها فى الحصول على ماتريد دون ذكر للمصادر.. أو الاعلان عنها ولو كانت كارتر ذاته!

وذات يوم قال لى إنه فى طريقه إلى أمريكا بدعوة من كارتر. وسيتمم الموضوع حسب وعد كارتر. ففاجأته باقتراح «اذهب إلى كارتر. وسوف لاتحصل على شئ أكثر من الكلام وسوف أتوجه أنا إلى اليابان والصين».

وسافرت وسافر. هو غربا وأنا شرقا. وصلت طوكيو فى نفس موعد وصول السادات إلى أمريكا. ونفس اليوم. وبدأت رحلة الدعوة إلى إعمار مصر. وتم التفاوض من خلال أكثر من ١٨ لقاء مابين مستوى وزراء اليابان، إلى رؤساء المؤسسات الاقتصادية ، إلى اللجنة الاقتصادية البرلمانية فى طوكيو، إلى كل من له يد فى الاشراف أو منح أى من المشروعات لنا. وأخذت الوعود الصادقة. وتمت الدراسات المبدئية والموافقات والارتباط فى مشروعات بثلاثة مليارات دولار ، قابلة للزيادة وحضر رئيس اللجنة الاقتصادية فى البرلمان اليابانى إلى مصر مؤكدا موافقة اليابان على مشروعات التعاون مع مصر. وقد غطى هذا البرنامج الاحتياجات المطلوبة بجانب مايستجد أثناء اللقاءات الميدانية

والدراسية. وعند مرور هذه المشروعات للتصديق عليها في برلمان اليابان فان مصر ستحصل علي: معونة قدرها ٣ مليارات لمدة ثلاثين عاماً. منها عشرون عاماً فترة سماح معفاه. أما الرد فيكون بعضه عينا. وبعضه من منتجات المشروعات، وبالذات الانتاج الزراعي. اذ أن ذلك سيوفر على اليابان بعض احتياجاتها من أمريكا والتى كانت تستورد منها مايعادل خمسة مليارات دولار اسماك سنويا. بالإضافة الى منتجات بحرية ومواد غذائية. فى حين كانت اليابان تصدر إلى أمريكا بنفس الرقم معدات وسيارات وأشياء مصنعة. ولذلك قبلوا معاونة مصر فى تنمية الثروة السمكية فى بحيرة السد العالى وفى البحار. هذه نقطة.

النقطة الثانية: فانه عند اتفاق الدولتين على بدء سداد مايتبقى من هذه المعونة، فانها ستحسب عليها فائدة سنوية بعد فترة العشرين سنة سماح، فائدة قدرها ٢٪ بدلاً من ٢,٥٪ وهى التى كانت تفرضها المؤسسات في ذلك الوقت.

وقدمت تقريرا بالمشروعات التى تحتاجها مصر للتنمية إلى الرئيس السادات: وقرأ التقرير. وظل يخبط كفا على كف ويكرر: اهى دى السياسة ياحسن! واقتنع وقتها بعد أن عاد من أمريكا بلاشئ أن هذا المدخل مع الدول الصديقة والكبيرة فى الشرق الأوسط هو الحل.

واستلفت نظر السادات نقطة واحدة سأذكرها ولن أعلق عليها. وهى أن هذه الاعتمادات الضخمة سيتعامل معها بنك مشترك مصرى ياباني، أما البنك اليابانى فهو بنك التصدير والاستيراد التابع للدولة. وابلغته ان هذا هو الشرط الوحيد الذى طلبوه، وأنا وافقت عليه، لأنه بالنسبة لمصر أيضا لابد من احكام العمل فى مثل هذه المشروعات الضخمة.

ويقول التهامي.. أن الذى يشدنا للتوقف عند هذه المحطة فى الحديث هو مايجرى حاليا متعلقا بمياه النيل، فقد كان هذا من ضمن المشروعات التى انفردنا بها باجراءات خاصة مع حكومة اليابان. ومع رئيس أوغندا عيدى أمين. ووافقت اليابان على تخصيص مليار دولار لفتح أعالى النيل. وكلفت مؤسس «بنتا أوشن» صاحبة الكراكات العملاقة، التى أجرت مشروعين لتعميق قناة السويس، لأول مرة فى التاريخ منذ انشائها، وبهذا الحجم. وكان العمل فى قناة السويس قد اكتمل. وجاءنى رئيس الشركة من السويس إلى القاهرة، ومعه طاقم الخبراء. وابلغنى انه بناء على أمر من حكومة اليابان حضر ليضع كراكاته العملاقة. ومستعد لأن يأخذ التعليمات منا مباشرة. وقد اخطرته الحكومة بهذا المشروع. وأنه مستعد للرحيل إلى بورسودان، حيث يفكك الكراكات الضخمة وينقلها

إلى مجرى النيل حيث يؤمر. ويصعد إلى أعالى النيل لاتمام مشروع معالجة موارد النيل حتى هضبة أوغندا جنوب السودان فى مشروع يتم على مراحل.

وسكت السادات ! ولم يحدد برنامجا، ولا حتى الشروع فى الدراسات والمعاينات وبعد فترة توجه السادات بوساطة أخرى الى فرنسا لبناء سد بحر الغزال. أما التفكير فى حفر قناة جونجلى فلم يخرج الى حيز التنفيذ حتى الآن. وتكلف سد بحر الغزال حوالى ٢٠٠ مليون دولار مولته فرنسا. وعندما دخل جارانج هذه المنطقة خرب جزءا منه. وقد نبت موضوع فتح موارد أعالى النيل منذ بداية تفكيرنا فيه بعد زيارتين للرئيس عيدى أمين «رئيس أوغندا» الذى أعطانى طائرة هيلكوبتر طفت بها مرتين فوق منطقة شمال أوغندا وعاينتها بنفسي. فالمنطقة عبارة عن هضبة قليلة الارتفاع وتخرج منها سلسلة من مجارى المياه لاتصب فى بحيرة فيكتوريا ،لكن تتجه نحو جنوب السودان حسب اتجاه خط تقسيم المياه فى هذه المنطقة. وشبكة الانهار الصغيرة لاتحصي. وهى بحجم واتساع رياحات الرى فى الوجه البحرى عندنا (المنوفي، والبحيري...) وهى مملؤة ومكتظة بالنباتات الاستوائية والطحالب. ونباتاتها زاهية الخضرة لتجمع مياه الانهار بها بصفة دائمة وهى من خصائص المنطقة الاستوائية. وتتجه كلها فى اتجاه جنوب السودان وهى الحدود المشتركة. ويتلوها بعد ذلك منطقة المستنقعات الشاسعة فى جنوب السودان، مما يوجه النظر إلى طبيعة العمل المنتظر لفتح هذه المجارى المائية بالكراكات المائية، والتى قد تحتاج الى تعديلات لتصبح كراكات برمائية، وهى متوفرة لدى «بنتا أوشن». كما أن لديها كراكات قادرة على نقل جبل من مكانه إلى مكان آخر.

وكانت النباتات والطحالب ظاهرة كما نراها فى الخرائط. والمعروف أن هذه المنطقة تحجز المياه عن الدخول إلى النيل إلا فى منطقة بحر الغزال وبحر العرب الذى يستمد مياهه من بحيرة فيكتوريا ثم البرت ثم يدخل إلى حدود السودان وتشكل منطقة الروافد المسدودة هذه مساحة شاسعة مابين السودان وأوغندا نفقد فيها مياه الأمطار فلا تصل إلى النيل.

والذى رأيته فى أوغندا يعتبر نظره جديدة ومكملة لدراسات محاولة تجفيف مستنقعات جنوب السودان. تم فتح قناة جونجلى لتوصيل المياه الى بداية نهر النيل الآبيض عند بحر الغزال لتصبح هذه المنطقة كأنها بحيرة ضخمة تستقبل الأمطار الاستوائية المستديمة وتنقلها أولا بأول إلى مجرى نهر النيل الأبيض. وكل هذا يحتاج إلى معدات وامكانيات وفريق عمل. تم التفكير فى ذلك كله من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٧٨.

وفى عام ١٩٩٣، انشئت مؤخرا هيئة «التكنيل»، أى هيئة النيل الفنية، بعد مؤتمر

وزراء الرى والمياه فى دول حوض النيل ١٩٩٢ . واتخذت لها مقرا فى عاصمة اوغندا. وشكلت فروع عمل فى بنود فرعية لهذا العمل الضخم ولم يقترب منه. وبلغ رأسمالها المطلوب لعملياتها المدرجة فى ملفاتها مائة مليون دولار. ويتضاءل الرقم، إذا ما قورن بما سبقت الموافقة عليه وهو تخصيص (١٠٠٠) مليون دولار من اليابان، لو احتسبنا مع الرقم فارق سعر العملة بين التاريخين، وكذلك فان الرقم مبدئيا لنقل الكراكات فقط !

وكان الرئيس عيدى أمين قد وافق معى على كل مانطلبه واننا يمكننا العمل داخل الأراضى الأوغندية كأنها أراضى مصرية. ولم يفتح موضوع حصة اوغندا من مياه النيل، أو من الفائض المنتج بعد عمليات الحفر وتطهير الروافد الكثيرة جدا، وايصال مياهها إلى مجرى النيل الأصلي. وكان طلبه الوحيد ان تعاونه مصر فى عمل محطة توليد كهرباء على مخرج المياه من بحيرة البرت فى الأرض الأوغندية، لأنه يحتاج إلى هذه الطاقة لصناعة الأسمنت الذى تحتاجه اوغندا للأعمال. حيث ان البن كأساس لاقتصاد الاوغندى لايكفى للتنمية والتوسع.

ولسابق معرفتى برئيس الحكومة النمساوية كرايسكي. ولأننا فى فترة المؤتمر الاسلامى ٧٤/١٩٧٥ كنا نبنى فى اوغندا جامعة اسلامية بتكلفة خمسة ملايين دولار من اعتمادات المؤتمر فى منطقة أروا. فقد استقر العطاء على المعماريين النمساويين لبناء الجامعة فى عطاء عالمي. فطلبت من كرايسكى تخصيص الاعتماد الكافى لبناء محطة توليد كهرباء بفنيين ومعدات نمساوية. ووافق على تخصيص ٢٢٠ مليون دولار لاقامة المحطة كما يطلب عيدى أمين. وتحملت النمسا العبء على أساس أن المشروع سيخرج النمسا من الحصار الاوربى الى الميدان العالمى للاستثمارات.

وبذلك اكتملت موارد التمويل لبدء مشروع فتح روافد اعالى النيل بين السودان وأوغندا. وكانت علاقتنا بكل من عيدى أمين وجعفر نميرى طيبة، تساعد على انجاح المشروع دون ان تتكلف أى من دولنا : دولارا ولامعدّة. مع مايستتبع ذلك من مشروعات زراعية عندما تجف المستنقعات وتتحول إلى أراضى زراعية بكر يستفيد منها الجميع. وأضيف هنا : اننى اطلعت فى أوغندا كما فى الصومال وجنوب السودان على الثروات الحيوانية الهائلة وان وادى النيل باستخدامه كوسيلة مواصلات مباشرة ورخيصة كفيلة بسد احتياجات المنطقة كلها بمافيها مصر بالإضافة إلى القضاء على حالات الجوع فى تلك المناطق.

ان توقف المشروع لايعنى النهاية. فمازالت هذه الامكانيات موجودة، لأنى لا أتصور أن حكومة اليابان قد نسيت هذا الوعد. ولا أعتقد أن هناك اعتراضا على فتح روافد

اعالى النيل.

ويكفى أن أذكر مثلا واحدا لمشروعاتنا مع الصين فى نفس المرحلة التى استفاض فيها الحديث مع رئيس الصين الراحل زنج شاو بينج، فقد خرجت من الصين ببداية مشروعات تعاون واسع المدى فى شتى المجالات .. وأكتفى هنا بذكر شيئين:

× فقد أهدت الصين إلى مصر فى أثناء هذه الزيارة (٥٠) طائرة مقاتلة من طراز ميج ١٨ . بما فى ذلك تدريب الطيارين وممارسة الطيران بلا مقابل.

× وفى ميدان الغذاء، وإن كان موضوعاً بسيطا، إلا أن آثاره الايجابية مباشرة لصالح الناس. فقد تطوعت الصين بارسال خبراء فى استغلال مياه النيل لانتاج الاسماك . واستخدام نهر النيل كمزرعة سمكية كبري. بحيث يصل إلى الشواطئ بلاثمن! وتحويل بحيرة السد الى مزرعة عظمى للاسماك اضافة إلى انواع من زريّعة السمك الصينى وهو يتكاثر وجيد وسريع النمو، وقد سمي المصريون هذه النوعية «بالسمك المبروك» كل ذلك دون أن تدفع مصر دولارا ولاقرشاً. وكان ذلك فى الوقت الذى كانت الصين فيه «صين».. دولة عظمى وصديقة.. ولايُخشى من التعامل معها لا من فوائد قروض ولامن شروط اقتصاديات العالم الغربي.

ديان والنيل

وروافد النيل الأزرق لايقل أهمية بل يزيد علي رافد النيل الأبيض. ومنه يصل إلى مصر ٧٥٪ من مياه النيل. وهذه الطفره فى المشروع الزراعى الذى نعيشه حاليا ناجمة عن طفرة واحدة فى زيادة مياه النيل الأزرق الوارد من بحيرة تانا فى الحبشة.

وهذا يجعلنى أتوقف لأقول إنه فى لقائى الأول مع موسى ديان فى المغرب، ضمن سلسلة المقابلات التى وصفت بالسرية. وكان عددها ثلاثة. صارحنى ديان من بين ماصارحنى به من كلام معجز عن الفهم لعمق تورط هذا الشخص، فيما يخص هذا الموضوع- فقال لى من تلقاء نفسه: انه تردد على الحبشة لمدة ١٠ سنوات متوالية يدرس خطط التعاون بين اسرائيل والحبشة فى شتى الميادين، وكذلك اريتريا، وكانت جزءا من الحبشة فى ذلك الوقت لوقوعها على ساحل البحر الأحمر، وصرح لى بأنه ظل يدرس اسلوب وطريقه قطع مياه النيل الازرق من بحيرة تانا، أو تقليل وصولها إلى النيل الأزرق فى أرض السودان ومنها إلى مصر. وقال إنه لم يتوصل مطلقا إلى وجود وسيلة لذلك- أى الاضرار بمصر - لسبب واحد هو ارتفاع بحيرة تانا وسرعة تدفق مياه البحيرة عبر الأراضى الحبشية حتى تصل الى حدود السودان الشرقية. وليس هناك مكان لبناء سد أو حجز جزء من المياه أو تصريفها فى مشروعات زراعية فى داخل حدود الحبشة. وكان

يتمنى أن يجد وسيلة، فلم يجد ولم يستطع.
والآن وقد دخلت قوات جارانج إلى مداخل النيل الأزرق واعلن من أسمرا، بأنه سوف يبنى سدا على النيل الأزرق يشبه السد العالى فى مصر. فان هذا يعيدنا الى محاولات ديان السابقة.

من هنا فان الدخول الجدى فى احياء مشروعات فتح قنوات النيل وموارده أصبح من الأمور الضرورية والعاجلة تدخل فيها اليابان والصين ومع النمور الاسلامية وتنشئ فى مصر هيئة الاعمار ويتم تمويلها بحسابات ممسوكة فى بنك منفصل خارج الروتين وتبقى منظمة التكنيل فى مكانها جنوب الوادي. وتبقى العملية ممسوكة بمعرفة مصر لما لها من قدر وأهمية وعلماء وخبرات.

ونذكر هنا ملخصاً برؤوس الموضوعات التي وافقت اليابان على الدخول فيها لصالح مصر.. منها

x الحديد والصلب، تعديل وتطوير مصانع حلوان حسب ماتطلبه مصر. وقد اتمت اليابان فى نفس المرحلة دراسة لمشروع الدخيلة لانتاج الحديد واليابان مهتمة ومعنية بهذا المشروع.

x مصنع الاسمدة، واليابان مستعدة لارسال بعثات فنية لاقامة هذا المصنع، ولديهم التكنولوجيا والمعدات الكفيلة لانجاز هذا المشروع فى مصر.

x بناء الموانئ البحرية، وهم مستعدون لذلك سواء على قناة السويس وفى أى أماكن أخرى تختارها مصر.

x تصنيع الاغذية : تنمية التعاون فى مجالات الموارد السمكية ببحيرة السد العالي.. والتعاون فى مجال الاغذية البحرية المائية وأى ميدان آخر لدراسة تصنيع المواد الغذائية.

x الزراعة، واليابان بمؤسساتها مستعدة للاسهام فى مشروعات استزراع الأراضى والتصنيع الزراعى فى المسطحات التى عرضت (وقت الزيارة) ٢٢٠ ألف فدان على قطعتين، وبمالدى اليابان من انتاج لمعدات الميكنة الزراعية والرى والتصنيع الزراعي.

x اقامة مصانع الأسمنت، ووصفته اليابان بأنه مجال طيب للتعاون. وانها مستعدة له تكنولوجيا ولديهم المعدات القادرة على انفاذ هذا المشروع بالحجم الذى تريده مصر.

المواصلات السلكية واللاسلكية ومترو الانفاق ولديهم لانفاذ ذلك الخبرات الواسعة والتكنولوجيا.

x الاسكان، واليابان مستعدة بمالديها من معدات وتكنولوجيا الاسهام فى هذا الميدان على أساس واقع احتياجات مصر وحسب الأولويات التى تحددها مصر. وتحدثنا عن حصة

سنوية قدرها . . مائة ألف شقة فى العام معده وجاهزة للاسكان بمافيها الاحتياجات الداخلية للمعيشة والسكن .

× مشروع فتح أعالى النيل وتكليف شركة البنتا أوشن بالتحرك فى هذا الاتجاه الى المدى الذى تريدة مصر .

ان النظر الى هذا المشروع الضخم فى احياء وادى النيل ، يعتبر عهدا جديدا فى تاريخ الحياة على هذه الأرض ويدخلنا فى عهد جديد للتعاون فى استخدام الماء والاستفادة من مواردالنيل بطريقة مختصرة هادفة واعية لترد بها مصر على العالم أجمع وتلغى بالسماحة المصرية والاخلاص فكرة حرب المياه كما يسميها محترفوا العداوات فى العالم . . أو قراصنة المياه .

١١

ليلة انتقال السلطة إلى السادات

لم يلعب مايلزكوبلاند عندما سمى كتابه باسم (لعبة الأمم) ، تلك اللعبة التى تم حبكها ، واحكام حلقاتها ، لتنفيذ العديد من الضربات القاتلة لعالمنا العربى عبر مدة من الزمن وتخطيط بعيد المدى وغير معلن والتى تمثلت فى احداث أيلول الاسود والنكسة التى تمت بها هذه الجولة المدمرة للشرق الأوسط ، مما جعل ديان يتجرأ بالتبجح العلنى على مصر وقيادتها... الى أن نصل الى الليلة الأخيرة فى حياة عبد الناصر.. والتى اسدلت الستار على تاريخ طويل وبدء صفحة جديدة بعد طى القديمة فى هدوء وانتقال السلطة لأنور السادات بلا مشكلات.

هذه وغيرها أحداث عاشتها مصر ، وظلت غامضة تماماً فى بعض زواياها . واليوم يكشف حسن التهامى - عبر حوارنا معه- القناع عن لعبة الأمم ،ما أوصلنا إلى هذه الهزيمة وخيبة الأمل العربي... ولنصل معه إلى نتائج واستنتاجات ووقائع محددة ، حان الوقت ليعرفها الشعب المصرى فى تاريخه المعاصر .

يقول حسن التهامي :

أتاحت الظروف الاطلاع على بعض أوراق امريكا السرية وبعض صفحات سمحت للبعض الاطلاع عليها ، وقد عرفت محتويات هذه الوثائق وما يخصنا فى هذا الشأن وهو التخطيط الاستراتيجى الأمريكى للشرق الأوسط ، وقلبه اسرائيل.

وكانت الخطة التى استقرت عليها الادارة الامريكية بمؤسساتها المختلفة ، أن تؤمن وجود اسرائيل ، بالاضافة الى التصريح المشترك بينها وبين روسيا ، لضمان أمن إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط وإن تعطى اسرائيل (وتخطط لها بلاشك) فرصة ضرب القوى العربية ، من حولها ، فى عدة معارك ، تصفى فى كل منها القوة العسكرية فى دولة من الدول : مصر ، والأردن ، وسوريا . بحيث يكون نتاج هذه المعارك المتتابعة هو الطريق إلى استقرار اسرائيل ، ودعم وجودها ، واستبعاد خطورة القوى العربية من حولها لفترة تطول الى أن يتم استقرار وفرض السلام على الدول العربية ، وبالشكل الذى يتفق مع مصالح إسرائيل ، مع استبقاء اسرائيل للأراضى التى تستولى عليها ، تلك المهمة ، وهذا الدور الذى كان يحتاج الى من يؤديه من داخل القلعة والحصن العربي ، وأن يلعبه بذكاء

وبتخطيط مرسوم له من الخارج حتى يتمكن من تحقيق الهدف المطلوب.

هذا هو لب التوجه الأمريكى تجاه مصر، وهذه المعلومة بتفاصيلها وملابساتها سوف ننشرها على الملأ، عندما نحدد معا الخط الفاصل، الذى يرفع عن شعب مصر عبء الهزائم المتكرره، وتاريخها الذى أساء الى الشعب والجيش ورجالات مصر المخلصين، وأوجدهم فى هذا الموقف المتردي، دون أن يتحروا السبب إلى أن حدثت كارثة عام ١٩٦٧.

وكات كارثة ١٩٦٧ نهاية المطاف بالنسبة للخطة الاستراتيجية الامريكية لاستقرار اسرائيل فى المنطقة، والتى من بعدها يبدأ مسار جديد لفرض السلام، استكمالا للعبة،، الأمر الذى يفسر سبب اختيار مايلزكوبلاند - وكان الآداة المحركة للعبة فى سوريا ومصر - عنوانا لكتابه: (لعبة الأمم).

وهذه المعلومة التى نتحدث عنها، صادرة من مركز المسئولية، وتعتبر حلقة من المسلسل التنفيذى للخطة والاستراتيجية الامريكية.. وقد اتيح لى الاطلاع على هذا الخطاب بنفسى (والكلام لحسن التهامي) والذى يشتمل على هذه المعلومة.

والذى تم سرده من قبل - ضمن حلقات حوارنا - عن محاولة أمريكا المستمرة، قد نقل اسرائيل إلى الاسلوب الذى يتح لها تجهيز ضربة قوية للدول العربية من حولها جميعا، فى حرب خاطفة مدعومة بالسند الامريكي. أو تدعمه بالاجراء الدولي، الذى يعطل عودة الأرض إلى العرب، إلا بعد تأكيد السلم مع إسرائيل، بالشكل الذى يستقر عليه الوضع والرأى الجديد بعد النصر فكانت حرب ١٩٦٧، تطبيقا لهذا المبدأ بالكامل، وفى ظروف كانت أبعد من الخيال. وكان لايمكن تحقيق ذلك النصر، إلا بالتوافق... والخدعة!

وبعد انتهاء حرب ١٩٦٧، وقف موشى ديان فى بلده ينادى بشيئين: أنه كان يمكنه الدخول الى القاهرة وهى مستعدة لاستقباله فى مخدعها وهكذا يجئ كلام ديان ممزوجا بالمزيد من الصفاقة وبمنتهى الغرور، وأضاف ان القوة الرئيسية للعرب قد ضربت، وهى مصر، وأن الطريق أمامه مفتوح الآن إلى المدينة المنورة.

أما الشئ الثاني: ان ديان بقى ينتظر من عبد الناصر أن يتصل به تليفونيا، يدعوه للحضور إلى مصر لتوقيع اتفاقية السلام!

ويقول التهامي:

ولقد حضرت بنفسى المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى بعد هذا الاعلان من موشى ديان ببضعة شهور. وفوجئت بعبد الناصر يقول فى كلمته الافتتاحية، مشيرا إلى نكسة

١٩٦٧ ، وكيفية اصلاح آثار هذه النكسة... ويقول إن موشي ديان ، كان في امكانه بعد أن وصل إلى قناة السويس أن يدخل إلى مصر دون قتال فلم يكن هناك جندى واحد على الطريق يمكنه أن يصد جيش إسرائيل.

وأذكر أنى استأت جدا من هذا التصريح. ولما سألت عبد الناصر في اليوم الثاني: لماذا قلت ذلك، وكأنك تؤكد ماقاله ديان، وأن هذا التصريح منك يؤدى إلى معنويات سلبية من الشعب المصري، ولم يكن هناك داعٍ له.

فقال بحدة وايجاز: قلته... وخلاص!

ثأر من ايه؟!

واكمالا لنسيج الصورة الواقعية بعد النكسة.. جاء عبد الناصر مرة إلى اجتماع مجلس الوزراء بقصر القبة متأخرا عن موعده بضع ساعات.. وانتظرناه.. وجاء وجلس على كرسيه مكفهر الوجه، تبدو عليه آثار السفر والاجهاد..

فبادرنا قائلا: أنا جاى دلوقتي من الجبهة. وكنت في لقاء بعض القادة. ولمحت على الحائط قسماً معلقا.. اسمه قسم الثأر.. فخلعته من الحائط. ورميته على الأرض. وأمرت بعدم تعليقه مرة أخري. وقلت للضباط: ثأر من أيه؟! احنا ح نعمل ترتيب نسترد به الأرض وبس!

ويقول التهامي:

ومن الطبيعى أن يكون هذا القسم الذى توافق عليه الضباط مبتدئا بـ: بسم الله الرحمن الرحيم، وأقسم بالله العظيم... ثم بعد ذلك كلمات الفداء لمصر... ثم التصميم على الثأر.

وكان عبد الناصر ينتظر من أمريكا مبادرة روجرز لفك الاشتباك مع اسرائيل، والدخول في اجراءات السلام، وحاول في اجتماع المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى أن يقنع الاعضاء (١٢٠٠ عضو) في المؤتمر السنوى الذى عقد بجامعة القاهرة وقد جادله في هذا الموضوع أفراد كثيرون يتساءلون في اى اتجاه نتحرك؟ ودارت مناقشة طويلة... غير أن عبد الناصر: «فرش الفرشة الأولى في عقول المستمعين لتقبل السلم مع اسرائيل عن طريق وساطة أمريكا».

وبعد التحول الذى طرأ على المنطقة، وفي ظل عجرفة ديان، واستتباب الأمر بالنصر لاسرائيل بدأ التحرك الدولي. ومن خلفه اسرائيل وبناء على رأيه أنه قد حانت الظروف لاستبعاد الفلسطنين كلية من أراضيهم. بل وإزاحة من يمكن ازاحته من الضفة الغربية.. ووجدنا طرحا لاقتراح اقامة الدولة الفلسطينية أو ما يشبهها في الأردن! وبهذا المخطط

تكون اسرائيل وما خلفها قد تخلصوا نهائيا من مشكلة الفلسطينيين، وتنفرد اسرائيل من الداخل والخارج بأرض فلسطين كلها ، بما فى ذلك القدس والأراضى المقدسة.

وبدأت المؤامرة..

قامت عدة جهات بشحن كميات كبيرة من السلاح والذخيرة للفصائل الفلسطينية، داخل الأرض، وفى عمان على وجه الخصوص، انتظارا لساعة الصفر، وقلب نظام الحكم فى عمان والاستيلاء عليها لصالح الفلسطين.

ولم يكن الملك حسين غافلا، لأنه حسب مانعرفه غاية فى النباهة بل والمكر، بل أن شعب الأردن كله، يكاد الملك حسين ان يعرفهم بالاسم والوظيفة والهوية والاتجاه السياسى والتيار الفكري، لأن الأردن كله لم يتعد فى يوم من الأيام تعداده ضاحية شبرا. وعند الملك من وسائله من الاستخبارات والأمن العسكرى والمدنى ، والمعاونين اللصيقين به من بقايا تنظيمات الجنرال جلوب، وكان معظمهم يدين بالاخلاص والوفاء الكامل للملك حسين، وكثير منهم من رجال البادية والترك والأكراد، وفئات من خارج دائرة الأردن وفلسطين، فولاؤها الكامل للملك.

ولما اقتربت ساعة الصفر، وبدأ التحرش، وبدأت الخطورة على حكمة، حضر إلى مصر ليتجنب معركة سجال بينه وبين رعاياه من العرب، والتى كان من الممكن أن تتحول الى حرب أهلية إذا لم تحسم من البداية. وكان من الممكن أن يطاح به ليتحول الأردن بطبيعة الوضع الجديد إلى عاصمة للأردن الفلسطينية. ويتحقق بذلك حلم اسرائيل، وخطة ازاحة دولة فلسطين الى الأردن. وتنتهى مطالبة العرب بل والفلسطينيين بانشاء دولة لهم على أرضهم فلسطين.

ولما حان الوقت حضر الملك حسين إلى القاهرة. وقد حضرت جلسة المفاوضات بينه وبين عبد الناصر - الكلام للتهامي- عرض فيها الملك حسين هذا الموقف. وقد جاء ليؤمن ظهره من موقف عبد الناصر اذا مال فى اى اتجاه. وكانت جلسة استطلاعية، وتحديد مواقف. وقال له عبد الناصر على مائدة المفاوضات: الأخ جلالة الملك. هذه بلدك. وأنت حر أن تؤمن نفسك. وتؤمن بلدك. وتعمل ماتراه لتحقيق ذلك.

وحدث بعد ذلك أن بقى الملك حسين فى الاسكندرية يوما للراحة. وطلبت حاشيته الجلوس على البحر. فذهب شخص ما من سكرتارية رئاسة الجمهورية، ليعد الكابينة التى كانت مخصصة لعائلة الملك السنوسى ليحجزها للملك حسين والوفد المرافق له وكنت فى صباح ذلك اليوم أزور الملك السنوسي. والذى كان ضيفا على رياسة جمهورية مصر، وليس لاجئا سياسيا. وجلست معه أشرب القهوة فى استراحته بالاسكندية. وإذا

بالتليفون دق ويطلبنى القائم بأعمال رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت، وأوصلنى بالرئيس جمال عبد الناصر، فقال لى جمال منفعلاً: انت طردت الملك السنوسى من الكابينة بتاعته وأديتها للملك حسين؟ فقلت له: لمعلوميتك أنا أتحدث إليك الآن وأنا أشرب القهوة مع الملك السنوسى والكلام ده أنا معرفوش. وأنا رايح لوكاندة فلسطين دلوقتي، وح أطلبك من هناك، علشان أتكلم معك على حريتي.

وسألت الملك السنوسى قبل أن أغادر استراحته: فيه حد أخرجكم من الكابينة النهارده؟ فقال الملك السنوسى الرجل الطيب الهادئ الوقور: انا لا أذهب على شاطئ البحر أبدا، ولازوجتي، ولاحاشيتي، ويجوز بعض التوابع يروحوا . ولكن موضوع الخروج لايخصني، ولم يتكلم معى أحد بخصوصه.

وذهبت على الفور إلى الفندق. وطلبت عبد الناصر من الغرفة وسألته: أنت بتقول إيه ياريس؟... .فأعاد نفس الكلام: أنت طردت الملك السنوسى من الكابينة؟ فقلت له : اللى يطرده تبقى غلطته غلطة كبيرة. فرد: بيقولوا إنك انت طردته... ودى غلطة كبيرة! قلت له: ياريس جمال... أنا لا أخطئ.. ولا يصدر من مثل هذا العمل بطبيعتى فرد عبد الناصر محتدا فى التليفون: يعنى ايه مابتغلطشي؟!.. ماكل واحد بيغلط... وبدأت أصواتنا ترتفع.. وسألني: أنت بتتلكم منين ؟ قلت: من الغرفة فى الفندق. وأنا حريص على أن أكلمك منفردا .. وعلى اى حال كلام التليفون مش ح ينفع أنا جاى لك.

وفى بضع دقائق كنت فى قصر المنتزه الخاص بجمال... وانتظرته فى الصالون. ونزل. وأذكر أننى اغلقت شبابيك الزجاج لأن جو البحر كان شديدا وفيه لسعة برودة.

وبعد انتظارى بضعة دقائق دخل عبد الناصر الى الصالون. وقفلت باب الصالون العريض. وجلست أمامه. فابتدرنى بسؤال:

يعنى ايه ياسى حسن مابتغلطشي؟!

قبل مأجاوبك ، قل لى من الذى قال لك هذه الوشاية؟

قول أنت!

– فلان.. أو فلان .. أو فلان.. برئاسة الجمهورية أبتسم وقال:

ولا واحد من دول. اللى قال لى فلان (وهو صحفى لصيق بعبد الناصر)!

قلت:

– ندخل فى صلب الموضوع.. هو أى واحد يقول لك حاجة عليّ أنا بالذات تصدقها.. انت تعرفنى اليوم والا من عشرين سنه فاتت؟! وأنا بقول لك للمرة العشرين: أنا من طبيعتى محبش أغلط.. وبالذات مش عايز أغلط معاك .. ولا تغلط معايا لآن نتيجة

الموقف ده انت عارفة مقدما . . يا أنا . . يا أنت . .

قال :

يعنى مابتغلطشى ياسى حسن . . كل ما آقول لك حاجة تقول مابغلطش . .

واذا بعبد الناصر يقول بالنص : ياحسن ماتزعلشى مني . . ياحسن متسبنيش لوحدي . . ياحسن أنا لسه ماعملتش حاجة . . وأنا ح ابنى سياستى من أول وجديد . وخليك جنبي . . ماتسبنيش ياحسن .

ولم أرد عليه . . حتى قال :

ياحسن ماتسبنيش لوحدي . . دول عايزين يموتونى ياحسن . . وكررها أكثر من مرة .

عندئذ سالته :

– هم مين اللى عايزين يموّتوك ؟ !

اللى حواليّ ياحسن . . وانت عارفهم كلهم . . وأنا ح أغيّرهم كلهم . .

وكان هذا آخر ماقاله . وآخر ماسمعته منه .

فقلت له : عن اذنك ياريس أنا نازل . مصر وتركته وعدت إلى القاهرة .

وحدث بعد ذلك أن ضرب الملك حسين الفصائل الفلسطينية فى عمان . ودمر بيوتهم . وشردهم . واستولى على ذخائرهم فى عملية هيبة استخدم فيها الجنرال ضياء الحق الباكستانى الذى استدعاه لهذا الغرض لمعاونتة فى ذلك ، تلك المعركة التدميرية من جانب واحد ، والتى تم فيها سحق الفصائل الفلسطينية فى عمان قبل ان تنزعه هى من مملكته ، بما سميت فيما بعد (عملية آيلول الأسود) .

وبذلك وضع الملك حسين حدا لمقولة اقامة الدولة الفلسطينية على أرض الأردن . ولكن هذه المعركة العربية – العربية استدعت جمع قادة الدول العربية المعنية فى القاهرة لتسوية النزاع الأردنى الفلسطيني ، ووقف التمادى فى العمليات المضادة كردود أفعال ولانقاذ خط المواجهة فى الأردن مع إسرائيل .

واجتمع المؤتمر فى القاهرة فى فندق شبرد . ولم أر عبد الناصر طيلة هذا الشهر . ونزل هو فى الجناح رقم (١٠) ، وحجزت الرئاسة لى حسب طلبه بجواره رقم (٩) . ولم أحضر فى اليوم الأول فأرسل لى كبير الياوران ، يسأل عنى ويطلب منى الحضور حسب أمر جمال عبد الناصر ، ولكنى لم أذهب . وجاءنى فى اليوم الثانى الفريق كبير الياروان يقول لى ان عبد الناصر سأل للمرة الثانية وطلب أن تحضر وتكون بجواره . فأبلغت كبير الياوران بأن يبلغ عبد الناصر أنه بلغنى ونفذ أمره . ولكنى لم أذهب ، وفاء بعهدى مع الله ألا أرى وجهه إلا ميتا وليكن مايكون !

وفى اليوم الثالث والأخير للمؤتمر كان عبد الناصر يودع أمير الكويت بالمطار، وظهرت عليه علامات الاجهاد الشديد ورجع إلى البيت ولم يخرج منه. وكنت فى تلك الليلة كما تعودت فى الرئاسة من سنوات مضت، أن أجمع سكرتارية الرئاسة كلها فى ندوة روحية فى ذكرى الاسراء والمعراج، وكانت هيئة السكرتارية مجتمعه فى مغرب ذلك اليوم. وكنت أعطى الكلمة المناسبة لهذه الليلة. فجاءنى أحد قادة الحراسة برئاسة الجمهورية، وقال لى فى أذنى أن بيت الرئيس عبد الناصر يطلبك. فقلت له: عندما أنتهى من الكلمة. فعاد بعد عشرين دقيقة تقريبا، وقال: يافندم بيت الرئيس يطلبك بسرعة. ففظنت أن الأجل قد جاء. وبعدأن شاورت نفسى انهيت الاجتماع، وذهبت إلى بيت عبد الناصر. ودخلت البوابة العمومية. فوجدت فى الساحة الخارجية ثلاثة أفراد من طاقم عبد الناصر فى صحن الحديقة خارج البيت يتحدثون، وعند دخولى سألت أحدهم: صحيح الراجل مات؟! فرد علي: أهو فوق اطلع شوف بنفسك. فقلت له: نطلع نشوف. ودخلت البيت، فكان أعضاء مجلس الثورة الأحياء فى الصالة ومنهم السادات. ماعدا زكريا محيي الدين، لم يكن موجودا. وصعدنا فوق إلى الدور الثانى الذى يرقد فيه عبد الناصر، ولم أقبل آن أدخل غرفته. ونزلنا إلى الصالة السفلي.

وكان واقفا ساعتها على السلم أنور السادات. فأمسكت بذراعه، وقلت له: أعمل حسابك انْت ح تمسك بدلا منه – أقصد عبد الناصر – وكان بهو البيت مملوء بالأفراد الذين هم قمة الدولة وقتئذ والذى قال عنهم عبد الناصر لى: «اللى حواليّ ياحسن.. هم اللى عايزين يموتونيُ.. وأنا ح أغيّرهم كلهم».

فقلت لأنور السادات، وكررت عليه، بعد أن تردد في اجابتي: ح تمسك غصب عنك! عجبك أو ماعجبكش! انت مش شايف اللى قدامك – وأشرت عليهم جميعا بصوت عال يسمعونه!.. ان مؤامرة الاستيلاء على الحكم قد بدأت من الآن.

فقال السادات – وللمرة الثانية –: أنا مليش دعوة ياحسن.. أنا مالي.

فقلت للسادات – للمرة الثالثة –: ح تمسك غصب عنك.. مصر لاتتحمل إللى بيعملوه ده.

قال: خلينا نروح قصر القبة. ونعقد الاجتماع المشترك بتاع الحكومة والهيئة العليا للاتحاد الاشتراكي.

وخرج جثمان عبد الناصر قبلنا إلى قصر القبة.

وقد حرص الجميع وقتها على عدم اذاعة النبأ، وحراسة بيت عبد الناصر والحى كله حراسة مشددة حتى لاتهجم الجموع على بيت عبد الناصر، وتطالب بجسده.

وعندما ذهبنا إلى قصر القبة، وقبل الاجتماع، طلبت من فريق قائد الحرس الجمهورى الفريق محمد الليثى أن يصعد أمامي الدور الثانى لألقى نظرة على جثمان عبد الناصر، وتعمدت أخذه معي، وأنا أعرف قصر القبة بالتفصيل، حتى لايقال أنى صعدت الى جثته لغرض ما. فالنفوس متوترة والاعصاب مهتزة، ولاداعى للقيل والقال.

ودخلنا الى الغرفة التى بها الجثة بالمستشفى الخاص بعبد الناصر فى الدور العلوي، ودخل أمامى الفريق محمد الليثي، ودخلت الى النقالة، وكشفت عن وجهه ورأيته. ونزلت الى مكتبي.

وبعد أن اكتملت هيئة الحكومة والمجلس واللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي، بدأ الاجتماع، وترك المجتمعون كرسى عبد الناصر فارغا، وجلس بجوار هذا الكرسى مباشرة أنور السادات باعتباره نائبا لرئيس الجمهورية المتبقى بعد هزيمة ١٩٦٧، والمعين فى هذا المنصب عام ١٩٦٩، قبل سفر عبد الناصر إلى مؤتمر القمة العربى فى الرباط فى ذلك العام.

وافتتح السادات الجلسة، وأعطى الكلمة لعدة أفراد بحكم مناصبهم - وبدون ذكر أسماء الآن، نطق كل منهم بما سبق اتفاقهم عليه. فقالوا مجتمعين على هذا الرأي، وهو أن رئيس الجمهورية الذى عيّن نائب رئيس الجمهورية أنور السادات... قد مات.

وبالتالى ليس هناك نائب رئيس جمهورية! ومع موت عبد الناصر ليس هناك دولة! ومنهم من قال إنه مسئول عن الدولة! ومنهم من قال أنا أعلم بسياسة الدولة، وفقا لوضع كل منهم الشخصى وفى النهاية اجمعوا على نقطة واحدة: انه ليس هناك رئيس جمهورية بالنيابة. وأن تعيين رئيس الجمهورية سوف يصدر من الهيئة العليا للاتحاد الاشتراكى عندما تجتمع، وهى التى تقدم المرشح لرياسة الجمهورية من بينها. وأدلى كل منهم بدلوه فى هذا الموضوع. ومنهم من قالها بحدة ما وكأنها شبه قرارا جماعى منهم واجب التنفيذ.

كاد الموضوع أن يفلت بالنسبة للسادات، فلم يكن يريد مواجهة أحد منهم، ولو برأي. وعندما انتهى آخر متحدث منهم. ولم يطلب أحد آخر منهم الكلمة. خبطت بيدى على خشبة المائدة. فسكت الجميع. وقال أنور السادات: أيوه ياحسن.. قلت: أنا ح أتكلم.. فقال السادات: حسن ح يتكلم. نسمع.

فبدأت الحديث بصوت عال مسموع، يكافئ ارتفاع اصواتهم عند حديثهم. وقلت له مشيرا الى الذين تكلموا فردا فردا. قلت: ياسيد أنور المؤامرة بانت.. ووضحت وفندت ماقالوه جميعا، وقلت: أنا أحتكم فقط إلى الدستور ياسيد أنور العملية ليست فوضى ولاحسب هوى أى شخص. ان الدولة التى قالوا عنها أنها غير موجودة.. دولة حقيقية

وموجودة فى شخص الشعب وهيئاته الدستورية، وأحد قمم المسئولية هى هذا المجلس. ونحن هنا نمثل الدولة. وإذا كان هذا غير مفهوم فليفهمه الناس وهذه الحكومة ماضية فى أداء واجباتها لحين الانتهاء من الاستفتاء على شخص رئيس الجمهورية الذى له أن يغير أولا يغير كما يرى والموضوع لايخرج عن اختيار رئيس جمهورية جديد بالاستفتاء ياسيد أنور ان هذه الدولة لها دستور لابد من العمل به فى هذا الظرف. وأنا أطلب من وزير العدل (وكان حاضرا) ان يفتح الدستور ويقرأ علينا البند الدستورى الخاص بتولى المسئول عن الجمهورية، وهو نائب رئيس الجمهورية فى حالة وفاة رئيس الجمهورية أو عجزة عن أداء وظيفته ويقدم المرشح الثانى لرئاسة الجمهورية فى ظرف شهر من الوفاة لاجراء الاستفتاء عليه.. ياسيد أنور انت تفضل جالس على هذا الكرسي.. والذى يفكر أن يمسّك فى هذا الوضع الدستورى الواضح أنا كفيل بـ...... فأفاق أنور السادات. وفطن الى ماقلته له سابقا من التآمر على الحكم، ولكنه كان يحتاج إلى هذا السند، وهو الشرعية الدستورية التى يجب ان تلجم الجميع، والتى أصررت عليها.

فقال السادات:

- احنا سمعنا اللى قالوا حسن... ناخد استراحة... ويرجع يقرأ علينا وزير العدل البند الدستورى لنعمل به..

ويقول التهامي:

هنا يجب أن أقول كلمة: أنه كانت هناك محاولة من كمال رفعت لقلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة بالقوة من هذا الاجتماع. وشاورنى وقال لي: أنا معاى طبنجتى فى جيبي.. احنا نشيل دول. ونمسك الدولة. ونصلح مسارها. فقلت له: ياكمال أوعى تعمل كده. أنا أول من يعترضك ويقف فى وجهك. سيبنى أعالج الموضوع بالشرعية وبالاقناع، وبالزام الجميع بهذا الخط.

وأبوح لأول مرة - الكلام للتهامى - : أنه نظرا لخطورة هذا الاجتماع والافكار التى كانت فى عقول هؤلاء الذين قال عنهم عبد الناصر: انهم عايزين يموتونى وأنا ح أغيرهم كلهم. ولوجود احتمال ولو واحد فى المائة لآن يقوم أى منهم من الجيش أو السلطة بفرض وجوده على الدولة، إذ قال أحدهم فى الاجتماع، ان عبد الناصر قبل أن يموت ببضعة شهور، قال له: انك مسئول عن مصر بعدي.. نظرا لكل هذا وتحسبا لما قد يحدث، كنت قد احضرت الى قصر القبة عدد من سيارات الشرطة العسكرية انتظارا لمواجهة أى موقف يستدعى قرار بالسيطرة على أى اتجاه خارج الأصول، ومنع نفاذ مثل هذا الاجراء الى الرأى العام. وكنت حريصا جدا الا يتسبب موت عبد الناصر الفجائى فى احداث أية

خلخلة في موازين اتزان الشعب ، وضمان السلوك الجماعى للجميع فى نطاق الشرعية الدستورية ، وان لم يكن ذلك فى هذه الليلة ، لكان من الممكن أن يتطور الموقف الى كارثة ومواجهات لا طاقة لانسان بها .

وقد وصفت الصحافة الاجنبية ماحدث فى تلك الليلة - وفق مقوله أكبر صحف أمريكا وأوروبا - بأن حسن التهامى هو الشخص الذى نقل السلطة من جمال عبد الناصر إلى أنور السادات بدون مشكلات ، وهو تعبير يعنى الكثير ، وكان يجب أن يكون كذلك .

وطويت صفحة عبد الناصر فى التاريخ ليبدأ السادات فى كتابة صفحة جديدة فى تاريخ مصر نحو إعادة البناء والاستعداد لحرب التحرير عام ١٩٧٣ ، أما عبد الناصر فحسابه عند الله .

١٢

الإعلان الفشنك في المعركة

ماهى القصة الحقيقية لزيارة السادات للقدس وماذا جرى قبلها للتمهيد لها وما هو بالضبط دور حسن التهامى فيها..؟

يقول حسن التهامي:

بعد أن استقر أنور السادات فى الرئاسة، وخطب فى «مجلس الأمة» ، بادئا خطبته الموجهة إلى شعب مصر : «لم أكن أحلم أن أكون رئيسا للجمهورية». وتقبله الشعب. وعلق عليه الأمل فى تجديد مسار مصر إلى اتجاه مابعد النكسة. اجتمعت به اجتماعا سياسيا مطولا.

وخرجنا بعد النقاش الطويل بنقاط أربع...

أولها : طلبه منى ألا أتحدث فى أخطاء العهد السابق. وقال بالنص «ياحسن لا داعى لفتح هذه الموضوعات بصراحتك المعهودة فى عهدي، لأنى لا أتحمل ردود الفعل إذا تحدثت عن الخبايا التى تعرفها وأعرفها أنا أيضا»..

والنقطة الثانية : إنه لابد من شن حرب ضد إسرائيل لتحرير سيناء فى الأساس وألا نترك مجال التفاوض والدوران السياسى الدولى يلعب لعبته فى إحباط الموقف. لأن كرامة الجيش وتاريخ مصر لايسمح إلا بقبول التحدى وانتزاع الحق وإلا فلا ضمان لتطور مشاعر الجيش فى أى موقف متخاذل لا يرد لنا هذه الكرامة ولا يعطى الفرصة لشباب مصر العسكرى فى انتزاع حقه والثأر لما حدث.

والنقطة الثالثة: إن اقتصاد مصر كان مرتبطا بالكامل تقريبا بالاتحاد السوفيتي. ولابد من إعادة الانفتاح على العالم والتعامل مع العالم الحر.. وتنمية اقتصاد مصر، سيما وأننا قد حصلنا على خطاب بإلغاء دين مصر لصالح الاتحاد السوفيتى الذى كان قد بلغ ٣ مليارات دولار. مع عدم الممانعة فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى فى حدود المطلوب لمصر، وليس الاحتكار الاقتصادى والعسكرى الذى كان قبل ذلك..

والنقطة الرابعة: إنه لكى نضمن سلامة القوات المسلحة فى العملية المقبلة فلابد من اخراج الخبراء العسكريين الروس من الجيش المصرى تماما، وقد تم هذا البند فعلا قبل معركة ١٩٧٣. وقد خرجوا مذعنين لأمر السيادة المصرى وكانت معهم حلى ذهبية

«تحويشة العمر» وسمح لهم بالخروج بها اختصارا للمشكلات. وإذا كان هذا هو ثمن خروجهم فليخرجوا.

وحدث أن أعلن أنور السادات فى السنة الأولى لتوليه الحكم نيته فى شن المعركة ضد إسرائيل لتحرير سيناء، ولم يفعل. ثم كررها فى السنة الثانية ولم يفعل. ثم كررها فى السنة الثالثة ولم يفعل. وعندما أعلنها فى السنة الثالثة، كان العالم قد اعتاد أن يسمع منه ذلك، ولم يصدقه لا العرب ولا الأجانب. وعلى سبيل المثال عندما توجهت إلى الملك فيصل لأرسم معه خطة معركة البترول لتتمشى فى نفس التوقيت الزمنى للتحضير للمعركة، وتأخذ قراراتها فى الوقت المناسب لمساندة الحرب ضد إسرائيل ومن خلفها، بادرنى بالسؤال: لقد سمعنا من الرئيس أنور عدة مرات عن عزمه لإدارة معركة لاسترجاع الأرض والكرامة، فهل هو صادق فعلا هذا العام، نريد التأكد منك لكى يكون الكلام معك جديا. ويكون التحضير لمعركة البترول فى مكانه الصحيح وميطلعشى كلام معركة البترول «فشنك» زى إعلانات السادات السابقة! ولما أكدت له فى بداية الاجتماع الذى دام ثلاث ساعات وأربعين دقيقة، اتفقنا على قطع البترول ورسمنا أسلوبه. وكانت ضربة البترول فى نفس قوة المعركة العسكرية، بل أكبر، لأنها شملت العالم كله.

وبعد نجاح معركة البترول ومعركة العبور ووقوف أمريكا صراحة فى الحرب ضد مصر وبجانب إسرائيل، وما أصاب إسرائيل من الزلزال الذى وصفه أنور السادات بسبب الضربة العسكرية، ولأن الاتحاد السوفيتى أصلا مشترك مع أمريكا فى الإعلان الثنائى لضمان أمن إسرائيل ووجودها. . كان لابد من التفكير فى أسلوب آخر لاستمرار العمل فى محور تحرير باقى الأرض وبالذات القدس، فإن أى عمل بدون تحرير القدس لايعتبر نجاحا فى حد ذاته وتعتبر القضية مازالت قائمة.

فاتجهت بفكرى إلى العمل فى المحيط الأوسع، وهى دائرة العالم الإسلامي. إذ هى الدائرة الأكبر (١١٠٠ مليون مسلم فى ٤٤ دولة) والتى تعتبر أمام التاريخ هى المسئولة الأولى عن تحرير القدس، لأن ذلك سيعنى تلقائيا تحرير الأرض من حول القدس. فاتفقت مع السادات على أن أرشح أمينا عاما لمنظمة المؤتمر الإسلامى عن دورة الأمانة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥. ووافق الملك فيصل مرحبا. وانتخبت بالاجماع أمينا عاما لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

كان الموقف وقتئذ مشتعلا بالحماس وبالتقدير لنجاح الضربة العسكرية من مصر ومن معركة البترول من الجزيرة العربية. واتفقنا على عقد مؤتمر قمة إسلامى فى الباكستان فى مدينة لاهور فى شهر مارس ١٩٧٤، أى بعد تولى مهمتى بشهرين. وقد جرى فى هذا

المؤتمر ماجعل المؤرخين فى تايخ العالم الإسلامى فى هذا العصر يثبت مكانة الأمة الإسلامية وقدرتها على التحرك واستعادة بعض أمجادها. وهذا ثابت فى أطلس تاريخ العالم الإسلامى المتداول الآن.

فى مؤتمر لاهور بدأ التحرك فأنشئت لجنة القدس من ١٤ دولة، وتخصصت ميزانية تحت بند مشروع صمود أهل القدس.. بطبيعة الحال ضد الاحتلال الإسرائيلى والإبقاء على سكان القدس بأى شكل فى مواجهة التعديات والضيق الاقتصادى نتيجة الاحتلال.

وأنشئت هيئة الإعلام الإسلامية، وأنشئت مؤسسة العلوم والتكنولوجيا للعالم الإسلامي. وأنشئت عدة جامعات إسلامية فى الدول الأعضاء - الأفريقية بالذات كبداية - واتخذ المؤتمر قرارا باستئناف الجهاد لتحرير القدس وأرض فلسطين استمرارا لنجاح معركة ١٩٧٣. ولم يعد المال مشكلة فى هذه الأعمال كلها بعد إنجاز معركة البترول.

كان لشاه إيران قوات عسكرية فى جنوب الجزيرة العربية فى مسقط، وكانت تعد مشكلة لدول الخليج بالذات.. وكيف يمكن التخلص من هذه القوات الإيرانية يوما ما؟!.. جاء هذا على لسان أحد وزراء خارجية دول الخليج الذين تقابلت مع معظمهم فى مؤتمر لاهور، فذهبت فى زيارة عاجلة إلى شاه إيران. ودعوته لحضور مؤتمر القمة فى لاهور. وقلت له إن لإيران قوات عسكرية فى الجانب الآخر لإيران فى «الخليج العربي».. فقال لى: نعم أنا لى قوات فى الجانب الآخر من «الخليج الفارسي». فقلت له أن دول «الخليج العربي» منزعجة من هذا الوجود. فقال لي: تقصد «الخليج الفارسي». قلت أقصد «الخليج العربي». فظل يردد «الفارسي» وأرد عليه: «العربي». فقال: شوف احنا مش قادرين حتى نتفق على الاسم. فقلت له: كان هذا الخليج فارسيا اسما عندما كانت بلاد فارس... فارس.

ثم جمع الإسلام بين الجميع. ولم تعد فارس، وانما أصبحت إيران. وقلت له الآن هو خليج إسلامى فى المقام الأول. فقال لى رافعا يده اليمنى كأنه يؤدى الشهادة: أنا موافق.. أنا موافق.. على الخليج الإسلامي.. وأكملت حديثى وقلت إن هذه القوات ليس مكانها الجزيرة العربية. قال: لقد طُلب منى هذا ولم أدخل عنوة، لأن الشيوعيين متمركزين فى مسقط. ومن الممكن ان يعبروا الخليج إلى إيران بالتسلل، فأنا يعنينى أن أنهى هذه القواعد. وأضاف: ولكن إذا كان ذلك مزعجا فإننى أسحب قواتى من الجزيرة العربية. فقلت له: يكون ذلك أفضل، ولا تكون ثمة مشكلة قائمة فى مؤتمر القمة الإسلامى القادم فى القريب، وصفيت الأجواء على الفور فى جلسة وكانت مشكلة تؤرق الجزيرة العربية.

ثم كانت هناك مشكلة انفصال بنجلاديش (باكستان الشرقية) عن باكستان الغربية

وهى (الأصلية) . وكانت العداءات بينهما مشتعلة، وباكستان بقسميها ٢٢٠ مليون ملسم كانت تعتبر من أكبر الدول الإسلامية مجتمعة يومئذ . وتناقشت مع رئيس الحكومة على بوتو للتمهيد لعودة وحدة باكستان أو الاتفاق. وأنى سأسعى لإنهاء الخلافات بين الباكستان الشرقية والغربية، قبل مؤتمر لاهور، وأتعشم أن تدعى بنجلاديش لمؤتمر قمة وتوجهت إلى عاصمة بنجلاديش وقابلت الرئيس مجيب عبد الرحمن فى يومين متوالين وجلستين استمرت كل منهما حتى الصباح، وبتوفيق الله أمكن نزع فتيل الخلاف.. وابلغته أنه سيدعى إلى مؤتمر لاهور. ورحب بذلك. ورحبت به. وقلت له سنصفى ما بينك وبين حكومة باكستان. وعرض على مشكلة أساسية وصعبة، وهى أنه عقد اتفاقا مسجلا فى الأمم المتحدة بينه وبين الهند لتدعمه وتتعاون معه وتدافع عنه. وسوف تكون هناك مشكلة بينه وبين الهند إذا فكر فى خرق الاتفاق. وأخذت على عاتقى حل المشكلة، وكان رئيس باكستان عل بوتو قد ذكر لى أيضا إن له ٩٠,٠٠٠ جندى وضابط أسرى لدى الهند من مدة طويلة (عامان) ورجانى أن أحل مشكلته، فأبرقت إلى رئيسة الوزراء أنديرا غاندى فى نيودلهى أنى قادم فى الطريق لمقابلتها. وقابلنى عند وصولى وزير خارجية الهند سواران سنج.. وعندء بدء التفاوض قاطعنى أن عنده نسخة اتفاقية بين وبين بنجلاديش ورفعها من على مكتبه ووجهها إلى لأطلع عليها. وقلت أنها لا تلزمنى ولن أقرأها لأنها وقعت فى ظروف قهرية، ومن وجهة النظر الدولية تعتبر اتفاق إذعان، وانتهى حاليا لأن بنجلاديش سيتم الصلح بينها وبين باكستان وأن رئيسها سيحضر مؤتمر لاهور.

وأمام هذه المعلومة المفاجئة قال : إذا كان الأمر كذلك فإن الاتفاقية تكون قد سقطت، بالفعل اسقطتها من حساباتنا التفاوضية، وألقاها وزير الخارجية فى سلة المهملات أثناء الجلسة!

ثم سألت وزير الخارجية سؤالا مباشرا : بأى حق تحتفظ عندك فى الهند بـ ٩٠,٠٠٠ جندى وضباط باكستانى أسري؟ وكان رده الفوري: إن الظروف القادمة - يقصد انعقاد مؤتمر لاهور - تستوجب التعامل معها. فطالبته بالافراج عن الأسري. ورد: سنفرج عنهم قبل انعقاد المؤتمر. وأضاف: لاطاقة لنا فى الهند بمعاداة العرب. فقلت : تقصد الدول الإسلامية. ولكنه كرر نفس العبارة فقلت له على كل الأحوال فالدول العربية جزء من المؤتمر الإسلامي. وأوصانى بإبلاغ المؤتمر بما اتخذ من إجراءات وموافقات. وفى أعقاب مؤتمر لاهور توجهت أنديرا غاندى إلى باكستان فى زيارة مجاملة وترضية للحكومة والشعب بمجرد الإفراج عن الأسري.

كذلك كانت العلاقات مقطوعة بين باكستان وافغانستان. وتوسطت لإعادتها فى رحلتين متتابعتين إلى كابول. وأعيدت. وحضرت أفغانستان مؤتمر لاهور إثر عودة العلاقات.

وعلى ذكر حل المشاكل بين مجموعة الدول الإسلامية كان الملك فيصل بعيد النظر وعندما اردت أن أدخل معد فى حل مشكلات الجزيرة العربية بدأنا بمشكلة الإمارات وخلافها مع السعودية على واحات البوريمي.

وبعد نقاش قال لى فيصل : طال عمرك أرجو أن تتدخل بينى وبين رئيس الامارات الشيخ زايد وتبلغه أنى لا مطمع لى فى واحات البوريمى وهى له من الآن. وسافرت وأبلغت الشيخ زايد بذلك. وبعدها أرسل الملك فيصل الأمير فهد بن عبد العزيز (الملك فهد) ليتفق مع الإمارات اتفاقا نهائيا. وصفيت المشكلة فى جلسة هنا وهناك.

وتمت تصفية كل هذه المشكلات بين الدول الإسلامية خلال شهرين فقط عن طريق اللقاءات المباشرة وتنقية الأجواء للتوافق واتخاذ القرارات الجماعية.

ولاح فى أفق العمل الاسلامى أن هناك عملا أكبر وهو استعادة القدس، وهى من شرف الأمة الإسلامية، ونشأت فكرة تنظيم مسيرة. ففى العام الثانى ١٩٧٥ - فى المؤتمر، وضعت خطة وافق عليها الملك فيصل ووعد بتمويلها بشرط واحد: إنه عندما تتحرك المسيرة إلى القدس يكون هو أول قائد ورئيس إسلامى يدخل معى أرض القدس. وأعلن ذلك فى خطبه الرسمية مرتين، ألا يموت حتى يستشهد على أرض القدس. وسعيت فى هذا مع عدد كبير من الدول الإسلامية الأعضاء، وكان حصيلة هذه المحاولة التحضيرية الاقبال اللانهائى على المشاركة الشعبية والحكومية فى هذه المسيرة، وكان تقديرنا مع من التقينا معهم من الرؤساء استعداد أكثر من ٣ ملايين مسلم للزحف إلى القدس.

وكانت فكرة المسيرة هى آخر استجماع لقوى العالم الإسلامى لاسترجاع القدس ولتحرير الأرض. وقد طبق الملك الحسن الثانى فى المغرب فكرة المسيرة إلى الصحراء المغربية التى كانت محتلة من الأسبان ودعانى لأكون على رأسها. وكنت قد تناقشت معه فيها وأسلوبها. وبناء على قرار من مجلس وزراء خارجية العالم الإسلامى فوضنى بالتباحث مع حكومة أسبانيا للاتفاق على عدم تطوير الموقف إلى المواجهة. فقد كانت لأسبانيا قوات عسكرية ومعسكرات فى الصحراء. وتمت المسيرة بفضل الله دون إراقة دماء.

وبموت الملك فيصل الفجائى تغيرت المسيرة إلى القدس كلية ودخلنا فى التفكير فى

نقطة مهمة هي إيجاد الحل الآخر لاستكمال تحرير الأرض والقدس.

استصدر مجلس وزراء خارجية العالم الإسلامي قرارا بشأن تخليص الأرض العربية المحتلة.. بالشكل والطريقة التي تراها كل دولة... ومن هنا بدأ التفكير في الحل السياسي المباشر، وكان الملك الحسن الثاني هو قطب هذه الفكرة. وعنده من الامكانات مايمكنه من بدء هذ الخيط. فكان هوفعلا صاحب أول فكرة للانتقال إلى المسار السياسي السلمي لحل باقي المشاكل مع إسرائيل إيمانا منه بجدوى هذا الطريق الجديد وإمكان نجاحه في الوقت الذي يستحيل معه التفكير في استخدام القوة مرة أخرى من أي جانب.

ومن هنا ومن عنده بدأ التحرك.

وفي زيارة رسمية مع الرئيس السادات للملك بالمغرب، تشاور الملك الحسن مع الرئيس السادات على اختيار طريق التفاوض المباشر بين شخصيات مصرية وشخصيات إسرائيلية في حمايته... وتحت مظلته (أي الملك الحسن) ويكون القصد من هذه اللقاءات التي تتسم بالسرية الكاملة هو أن يستطلع كل جانب موقف الآخر.. توطئة إلى خطوة أكبر، إذا كانت ممكنة، أو ذات فائدة. وكان هذا هو المبدأ. وكان الملك الحسن قد رشح موشى ديان كشخصية مؤثرة داخل إسرائيل، ومن الليكود، والذى له شهرته.. وعلى السادات أن يختار من يقوم بالتشاور على هذا المستوي.

ويقول التهامي:

وكما علمت فيما بعد أن الرئيس السادات قال: «أنا ليس عندى إلا حسن التهامى يمكنه القيام بهذا العمل. ووافق الملك الحسن على الفور، وقال: إننى كنت أنوى أن أقترح ذلك عليك قبل الإفصاح به».

وبعد فترة، عندما تأكد الملك الحسن من إقبال إسرائيل على الخطوة، أرسل للسادات بالموافقة. فاستدعانى السادات إلى الإسكندرية، وكان واقفا معه فى الصالة نائب رئيس الجمهورية وقتها (حسنى مبارك)، وطرح عليّ الموضوع. فسألته: هل شاورت أحدا قبلي؟ قال: لا. قلت: أنا إذا رفضت هل ستشاور أحدا بعدي؟ قال: لا.. ياحسن الموضوع أمانة وطنية وديان ليس برجل سهل.. وإذا لم تقبل أنت فسوف ألغى المقابلة. ولقد فكرت مع النائب (حسنى مبارك) طويلا فى هذا الموضوع. وأجمعنا أن الوحيد الذى يمكنه الاضطلاع بهذه المهمة هو أنت. فقلت له: لأسباب وطنية سأقبل أن أواجه ديان، ولكن لى شرط واحد، هو أن أتصرف مع ديان بما تمليه مصلحة مصر المجردة والعرب معها، وسوف أتصرف فى اللقاءات دون الرجوع إلى أحد. وسوف أتصرف دون مجاملة أو تسيب وإلا فسوف أقطع المفاوضات فى أى لحظة وأنهيها وأعود. فقال السادات:

ياحسن ثقتي فيك كاملة. وما تصل إليه سوف أنفذه. قلت له: وعلى هذا الأساس سأقبل.

ثم كتبت على ورقة النوتة التى أمام السادات البنود العريضة وهى : عودة أرض سيناء بكاملها. وإلغاء أى مناورة حول امتداد بقاء أى إسرائيلى فى شبر من الأرض لأى سبب يتذرعون به، مثل مستعمرات ياميت داخل سيناء، والمطار العسكرى داخل أرضنا. وسوف أبحث إخلاء الأرض العربية فى القدس العربية والجولان ،الضفة الغربية كاهتمامات تسبق إخلاء سيناء لسبب أنهم لن يجرؤوا على شن حرب خوفا من أى إجراء عسكرى آخر على أى مستوي. وكتبت جميع هذه النقاط كخطوط عريضة للتفاوض. وقرأتها على السادات. وقلت له سأفاوض وألغى مناورات ديان فى أى نقطة. وليذهب إلى بلده إذا لم يوافق تماما على ما أقول. وكان الموعد قد تحدد بين الملك الحسن.. فأبلغنى به، وقال السادات : على بركة الله وبالتوفيق أن هدفنا ياحسن هو استعادة الأرض العربية. فأكملت: كلها ياريس.

وعلمت أن الملك الحسن بلباقته لم يعلن اسم حسن التهامى للجانب الإسرائيلى الذى يتصل به. وجرى التفاهم على أساس «شخصية لها مكانتها من كل دولة عربية وعلى مستوى المسئولية». وعلم ديان بعد ذلك أنه سيقابل حسن التهامى عند الملك الحسن ،قبل الموعد بفترة قصيرة.

وجاء اللقاء الأول..

ودخلت صالون الملك الملحق بمكتبه الشخصي. وكان ديان جالساً على كرسى عن يمين الملك.

دخلت. فحييت الملك الحسن. وعانقنى وعانقته. وجلست على الكرسى عن يساره دون أن أسلم على ديان.

وكان ديان واقفا منتظرا السلام. فقال لى الملك:

هذا هو ديان! فقلت: لايشك أحد فى أنه ديان - وديان يتكلم العربية ويجيدها باللهجة الشامية.

١٣

ديان : إذن أنت التهامي الذي قرأت عنه

يواصل حسن التهامى روايته لقصة لقائه مع موشى ديان فى المغرب بحضور الملك الحسن للتمهيد لزيارة الرئيس السادات للقدس يقول :

اشترطت قبل بدء الحديث أن يتعهد الحاضرون جميعا بالحفاظ على سرية مايدور من مناقشات . ووافق الملك الحسن، وتكفل بذلك.

وأكد لنا أنه سبق ان اشترط نفس الشروط على حكومة إسرائيل قبل إتمام اللقاء. ورد ديان على ذلك وقال إنه وافق من حيث المبدأ. وإنه يضمن مساعديه الاثنين، لأنهما تابعان له، ومدربان على ذلك، ولكنه لا يضمن أن يتسرب هذا النبأ من خلال المخابرات المركزية الأمريكية، لأن لها مندوبين فى إسرائيل يتعاونون مع حكومتها، وفوق ذلك فإنهم أصدقاؤهم. وإذا سألوا عن اللقاء أو عرفوا به، فسوف لا يمنعون عنهم أخباره ثم قال : عن نفسه، إنه يسعده أن يعلن على العالم أنه التقى بمسئول مصري، ثم أبدى عجبه عن أسباب إحجام العرب عن الإعلان عن تلك اللقاءات، مع أنه سبق له أن التقى ببعض الملوك والرؤساء . والتقى بأحدهم أكثر من ثلاثين مرة. وأخذ يسرد بعض تفاصيل لقاءاته بهم زهوا وتفاخرا وتدليلا على تمكنه من العمل العربى وخبرته بالشخصيات العربية. وأن حرب ١٩٦٧ لم تمنعه من استمرار بناء علاقاته ببعض الشخصيات العربية فى الضفة الغربية وغيرها.

اشترطت مرة أخرى ألا أبدأ الحديث أو النقاش إلا بعد هذا الالتزام. فالتزم الحاضرون به. وأردت إبعاد رجال الأمن المرافقين لديان والواقفين عند الأبواب، والذين لم يرافقوا ديان فى تحركاته فى مكانه وحسب. . وإنما تابعوه إلى دورة المياه وتعلقت أنظار بعضهم بى تراقب كل تحركاتي. فعجبت من هذا الحرص والخوف المبالغ فيه، فما كان فى نيتى الاعتداء على أحد فى هذه المرحلة. وسألت ديان عن ذلك فقال لي : «إنهم مكلفون بحراسته مادام هو معي» !

ودخلنا إلى الحديث فى صلب الموضوع. فوضعت المناقشة منذ البداية فى الإطار الذى خرجت به من مصر بعد لقائى بالرئيس السادات. وبدأت القول باختصار : إننا لا نتحدث عن فك اشتباك جديد، ولا انسحاب لمرحلة أخرى من أرض سيناء، ولا معالجة قضية

السلام المنتظر على صعيد ثنائي بين مصر وإسرائيل.. فإننا مهتمون بالمرتفعات السورية والضفة الغربية والقدس وغزة، قبل سيناء.

وأن هذا الاجتماع ليس بديلا عن جنيف، ولا أى اجتماع مستقبلي. وأننا لا نسعى إلى حل منفرد، مهما توهم الإسرائيليون.

بدأ ديان بالسؤال: هل تريدون السلام حقيقة ؟

فأجبته بأنه مالم يفكر الرئيس السادات جديا فى محاولة الوصول إلى سلام حقيقى لما جئنا إلى هذا اللقاء. ولما جئت أنا شخصيا. ولعلمك يا ديان لم يكن الحل السلمى فى ذهنى واردا ولا ممكنا إلا بعد حرب رمضان التى شاركت فيها. فأصبح السلم فى حساباتى احتمالاً ممكنًا.

قال ديان انهم فى إسرائيل يريدون السلام فلم يعد هناك فى إسرائيل من يتحمل حربا جديدة بعد مفاجأة حرب رمضان وخسائرها ولقد كدنا فى إسرائيل نيأس، وكانت الحكومة تتهاوى من عنف الضربة المفاجئة.

وبادرت ديان قائلا: لم أكن أتوقع فى حياتى أن أقابلك فى صالون . ولكنى توقعت أن ألقاك فى أى وقت فى ميدان القتال. فأقتلك أو تقتلني. وما كنت لأتحدث إليك فى أى مكان لولا أنك تحت مظلة الملك الحسن.

فقال ديان: أنت إذن حسن التهامي الذى قرأت عنه.. إننى عندما علمت أننى سأقابلك قرأت فى ملفاتك عندنا عن حياتك الشخصية وتصرفاتك السياسية. وكل كلمة قلتها أو كتبتها. وأود أن أقول لك بصراحة أننى عندما أبلغت بأن الذى سيفاوضنى هو حسن التهامي، تأكدنا جميعا فى حكومة بيجين من جدية هذه المحاولة، ولن تكون مراوغة. وأضاف : ولكننا حضرنا هنا لنتحدث عن السلام لا القتل والحرب.

قلت لديان: يا موشي. أنت لست بطل حرب حقيقى كما يظن الناس. أنت لم تدخل معركة ضد العرب إلا بخدعة ومساندة خارجية لك. وعلى سبيل المثال لم تدخل سيناء فى حرب ١٩٥٦ إلا بدعم الدولةالمعتدية لك بالطيارات والطيارين والاستطلاع وضرب القوات المصرية من الخلف.

وأنت فى حرب ١٩٦٧ لم تكن لتحتل سيناء بهذا الاسلوب إلا بخدعة والتمهيد الذى حصلت عليه قبل أن تتجرأ وتحارب الجيش المصري، وتزعم أنك احتللت سيناء فى بضع ساعات.

فقاطعنى ديان :

- تقصد أن تقول إن حرب ١٩٦٧ كانت فيها خيانة من جانبكم ؟

فقلت : يا موسى أنا أعرف التفاصيل وإن كان لى فى ذلك حديث فأوجهه للشعب المصرى وليس لك . ونحن كنا نعرف من داخل إسرائيل خطتكم بالكامل . وكان من الممكن دحركم في أول يوم . ولكنك نجحت بالخدعة.

قال ديان : أنت تحدثنى عن حروب ٥٦ و ٦٧ وأنا أريد أن أسألك أنت سؤالا : فى حرب ١٩٧٣ فوجئنا بتوقف الجيش المصرى عن التقدم فى اليومين الرابع والخامس من الهجوم . ونحن الآن مازلنا فى حيرة : لماذا توقفتم . وعندنا لجنة مشكلة لتحليل المواقف والوصول إلى السبب والنتيجة . ونريد أن نعرف لماذا توقف الجيش المصرى عن الضرب فى اليومين الرابع والخامس من الهجوم وكان من الممكن أن تتقدم القوات المصرية . فقد كان الطريق إلى القدس وتل أبيب مفتوحا وكان اليهود يشترون حياتهم بالاستسلام !

لولا أن جولدا مائير مع ضخامة المفاجأة تماسكت وسافرت إلى أمريكا فورا لتعود فى اليوم السادس ولديهاخطة أمريكية لانتشال إسرائيل من الزلزال واستمرت الحرب كما نعرفها .

فسألت ديان : عندما كسبت حرب ١٩٦٧ بالخدعة وقفت تعلن أنك تنتظر تليفونا من الرئيس المصرى يدعوك ليوقع معك اتفاق سلام على أثر الهزيمة . وقلت إن الطريق أمامك مفتوح إلى المدينة المنورة .. فهل تعرف فى نفسك أنك دجال بنى إسرائيل ؟ !

فتغير وجهه وقال : لماذا تسألنى هذا السؤال ؟

قلت : إن ملامحك تدل على ذلك ! ولو رفعت العصابة عن عينيك لعرفت أنك أنت الدجال .. ثم أنك دخلت القدس فى ١٩٦٧ وأنتم تعلمون أنها محرمة عليكم .

فقال منفعلا :

لا .. أنا لم أدخل القدس . اسحق رابين الذى كان رئيسا لأركان الحرب هو الذى دخل القدس .

فقلت له : إنك أيضا تزعمت فى نشوة الانتصار عملية الحفريات حول المسجد الأقصى أملا منك فى أن تصبح بطلا تلموديا بأن تكشف أثار هيكل سليمان .. وبذلك تدخل تاريخ وجود إسرائيل على الأرض المقدسة .

فقال : نعم أنا ترأست عملية أبحاث الهيكل فى أرض المسجد الأقصي ، ولكنى أحب أن أؤكد لك الآن أننى لم أعثر على حجر واحد يدل أو يشير على أن هيكل سليمان لم يكن أكبر من فيلا سكنية بمفهوم اليوم . وكانت على أحد الجبال المحيطة بهضبة المسجد الأقصى ولم تكن عليه.

قلت له : إن هذا الكلام يتوافق مع ما نفهمه نحن لأن أنبياء الله يحترمون ويقدسون

الأوامر الإلهية، والمسجد الأقصى بنى من أيام سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو مسجد وليس محفلا أو هيكلا. وأن سيدنا موسى عليه السلام بعد أن ضايقة اليهود واتهموه الاتهامات الباطلة ودعاهم لدخول القدس، فلم يدخلوا وقالوا له «اذهب أنت وربك فقاتلا»، حرم الله تعالى عليكم هذه البقعة وحتى سيدنا موسى تقديرا لهذا الأمر لم يدخل القدس ولا منطقة المسجد الأقصي، بل عاش على مرمى النظر نسميها نحن«الكثيب الأحمر» أى التل الصغير ذو التربة الحمراء. ويا موسى إن دخولكم القدس والبقعة المطهرة فى المسجد الأقصى يدلنا حسب مانعرفه على الاقتراب من نهايتكم وسنرى مسار التاريخ والأحداث إذا لم تسلموا الحقوق الروحية والأرض لأصحابها.

ومن خلال كلمات ديان حدثت نفسى بأن القدر فى عودة القدس لم يأت بعد. ولكن هذا الحديث فتح لنا باب التفكير فى أسلوب عودتها المثالي، وذلك بتوصيل إسرائيل من خلال عمل سياسى أو عسكري.. إلى مرحلة الانهاك حتى يؤدى حب البقاء على قيد الحياة إلى تخليها عن الأرض. وكان ذلك أسلوب صلاح الدين، إذ جعل القدس آخر مراحل مسيرته، فدخلها بعد أن أهلك وأنهك قلاع القوى على أرض فلسطين من حول القدس، فتصدع وجود وكيان القوى الصليبية المحتلة لفلسطين. فعادت القدس إلينا ثمرة ذلك التخطيط المحكم.

ولم يعقب عودة القدس معارك مع العدو المحتل الذى لم يعد له كيان أو قدرة.

قال ديان:

إن خوفهم الأشد - بعد أن توقف الجيش المصرى عن التقدم - كان من المرتفعات السورية. ولذلك استماتت الجيش الإسرائيلى فى البقاء فيها. ولعبت إسرائيل جميع الأدوار بالسياسة والحرب وتأليب العملاء والاستفادة من القوى الدولية التى كان لها نفوذ داخل سوريا. وكان عنصر المقاومة الذى أعجبهم هو الجنود المغاربة.. قال ذلك والتفت إلى الملك الحسن الثاني.

فداعبة الملك الحسن قائلا: لا تنس أن السيد التهامى مغربى الأصل وأن قواتى المغربية قاتلت تحت قيادته فى ميدان المعركة فى مواجهة الثغرة. ودعنا نترك الحديث عن الحرب لننتقل إلى التفاهم حول مرحلة ما بعد الحرب. وطلب الملك الحسن الثانى منى أن آخذ الكلمة لأشرح موقف مصر العربى فتحدثت عن أسلوب الحل، ومراحله، وبرنامجه الزمنى الذى أتصوره، وإقرار مبادئ الاتفاق وحل المشكلات النابعة من عدم الثقة أو التردد، وتبادل الرأى فى كل هذه المشاكل وايجاد الحلول المنطقية لها فى إطار تثبيت الحقوق الدولية وإنقاذ العرف الدولى فى المعاملات مادمنا قد قررنا الانتقال إلى مرحلة

التسوية السلمية والسعى إلى إيجاد الحلول التى تكفل استمرار حالة السلم والتى لا تؤدى إلى المواجهة مرة أخرى وإنفاذ الشرعية الدولية فى معاملات ما بعد الحرب. وتحدثت عن سيناء وإخلاء الأرض المصرية كلها. فمصر لا تقبل التفريط فى شبر واحد من الأرض ولا المساومة عليه ولا الحديث عن احتمال مناقشة هذا الحق فى الوقت الذى تتحدث فيه عن تذليل العقبات التى قد تعرقل هذا الحل.

وأعطيت ديان فرصة زمنية من ستة شهور إلى عام واحد ليتم خلالها إخلاء سيناء كلها. وأضفت أن المرحلة الأولى يجب أن تكون الانسحاب إلى الممرات. وتبدأ فور الاتفاق على مبدأ السلام. وإذا افترضنا حسن نية إسرائيل فمن الممكن أن يكون هذا الانسحاب فوريا مع إيجاد اتفاق حول منطقة عازلة مؤمنة على جانبى الحدود الدولية الأصلية بين مصر وفلسطين مع تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل عند وضع أجهزة الإنذار المبكر على جانبى الحدود بنفس العمق والاتفاق على الأراضى المنزوعة السلاح على الجانبين بالتساوى ونظام الأمن الذى يتفق عليه والذى تجرى تجربته فى منطقة وقف إطلاق النار الحالى بأجهزة الإنذار المبكر وحراسات الحدود والاستطلاع.

وهذا كله يعنى الخروج من المماطلات التى افتعلها كيسنجر ومن خلفه فيما سمى بمراحل فك الاشتباك.

ثم تحدثت عن خليج العقبة وشرم الشيخ وإنهاء الوجود الإسرائيلى عليها، على أن تؤول جميع المنشآت على أرض مصر إلى مصر وأن هذه المبادئ لابد أن تطبق تلقائيا على كل البلاد العربية المحتلة. وحسب توجيهات الرئيس السادات فإننا نود أن تبدأ إسرائيل فى إخلاء الهضبة السورية والضفة الغربية ونحن نطلب ذلك لسبب جوهرى أعتقد أنكم مقتنعون به وهو عدم جدوى الحرب فى الصحراء مرة أخرى لأنها مقبرة سهلة لمن يدخلها، ولذلك فإننا نعتقد فى استيعاب إسرائيل لذلك الدرس. ونؤكد أننا لا نفكر فى الحرب مرة أخرى على أرض سيناء ونريدكم أن تعرفوا أن تصوركم الناتج عن المعلومات الخاطئة التى تصلك نتيجة أى تحرك إدارى لقوة مصرية وتأويله بأنه استعداد لهجوم جديد أو لعمليات عسكرية تصور خاطئ، وأن إحساسكم بالخوف المستمر نتيجة لحرب رمضان ماهو إلا وهم نابع من هذ الدرس.

وأضفت أن القدس العربية - بإجماع الدول الإسلامية والعربية لابد أن تعود عربية كما كانت وأن حل مشكلة الحدود ومشكلة الوصول إلى الأماكن المقدسة والعبادات للأديان السماوية موضوع ليس مستعصى الحل.

وكان ديان يستمع ولا يعلق إلا فى نهاية الحديث محاولاً التصرف كدبلوماسى يستوعب كل ما يقال له. ولم يكن ذلك بالطبع كل ما دار فى الجلسة.

١٤

ديان يفشي سر لقائه
مع التهامي

لايزال السيد حسن التهامي يروى - ولأول مرة - تفاصيل محادثاته السرية مع ديان بالمغرب عبر لقاءاته الثلاثة به في عام ١٩٧٧ .. ليكشف النقاب عن رغى المفاوض الإسرائيلي الذى يستهدف فى نهاية الأمر أن يضج من يسمعه ويسلم له بما يريد.. مللا منه .. وضجرا به. ويصور السيد التهامى كيف أمكنه أن يقضى على مراوغات ديان وألتفافه وتذرعه برجوعه إلى رئيسه بيجين.. وألاعيبه التى أثارت سخرية التهامى والملك الحسن.. واضطراره إلى الاعتراف بتدنى عقليته وخروجها عن مألوف وعرف وقانون التفاوض أو حتى الحوار العادي.

يقول السيد حسن التهامى مواصلا حديثه :

طوال حديثى لديان عن رؤيتنا للفترة القادمة وتصور إسرائيل الخاطئ والناتج عن المعلومات الخاطئة . وإحساسهم بالخوف المستمر نتيجة حرب رمضان. وإيماننا بأن القدس باجماع الدول العربية والاسلامية لابد وأن تعود عربية كما كانت. وأن مشكلة الحدود والوصول إلى الأماكن المقدسة ليس بموضوع مستعص على الحل...

طوال هذا الحديث ظل ديان يستمع ولا يعلق. وبدا كدبلوماسى يستوعب ما يقال له.

وعندما بدأ ديان الرد بعد كل ذلك قال :

أنه لم يكن يتوقع أن يتحدث فى تفاصيل الموضوعات بهذه الطريقة فى الاجتماع الأول. وأن عليه أن يرجع إلى رئيسه بيجين لسببين: أولهما ، أن يبلغ بيجين عن انطباعه وثقته فى جدية المسعى للسلام من جانب السادات. وثانيهما ، أن ينقل إلى رئيسه بيجين استعراض الخطوات التى عرضناها عليه لكى يأخذ فيها توجيهات قاطعه، لانه - كما قال ملتزم بتعليمات رئيسه بيجين.

وقال ديان أنه مادام الموقف قد بدأ بهذه الجدية والأهمية. ونظرا لكثرة الموضوعات التى طرحت للبحث، فانه يفضل وضع جدول للأعمال يشمل جميع النقاط، على أن نناقش فى كل اجتماع نقطة من نقاط الجدول ونتبادل فيها الآراء. ثم يعود كل جانب إلى رئاسته لتدلى برأيها. ثم ننتقل إلى النقطة التالية فى الاجتماع التالي. وذلك لكى نعطى كل موضوع حقه فى المناقشة. وقرر هو عدد النقاط بـ ١٤ نقطة تدرس واحدة واحدة فى

١٤ لقاء هذا اذا افترضنا ان ننتهى من كل نقطة فى لقاء واحد.

وطلب ديان منى - حسن التهامى - أن أفعل نفس الشئ. وأن أرجع إلى الرئيس السادات فى كل بند نتحدث عنه. عندئذ قفز إلى ذهنى ما أعلمه جيدا عن فلسفة بنى إسرائيل، فيما نصفه فى مصر بالرغي، وتعرفه أوروبا باسم تحريك اللسان الذى يزعج المستمع، وتضيق به اعصابه. فينهى حديثه بأى شكل. وبأى ثمن. فقلت فى نفسي: لايمكن أن ندخل هذه المصيدة. ولن أسمح لديان ولاقتراحه هذا أن يجرنا الى هذه الحلقة المفرغة.

فقلت لديان: لاتكرر طلبك لى بالرجوع إلى الرئيس السادات، لأن هذا من شأنى مع الرئيس السادات وأنا مفوض لأتحدث معك عن عودة الحقوق العربية كاملة. واننا هنا نتحدث عن وسيلة لذلك، وعن جدولها الزمنى وعن تذليل العقبات ليصبح السلام أمراً ممكنا وواقعا.

فقال ديان: اننى سوف أرد على طلبك ردا مؤقتا وعلى بعض النقاط بصفتى الشخصية، ولمعرفتى بالأرض وخبرتى العسكرية، وذلك لحين رجوعى إلي رئيس الوزراء بيجين، وأتناقش معه رسميا فيما طلبته أنت. ان مبدأ الانسحاب. من سيناء فى مدة ٦شهور أو عام أمر مستحيل عسكريا وتنفيذيا.

فقاطعته على الفور: لكنكم انسحبتم من نفس المناطق فى ١٩٥٦، بعد قرار مجلس الأمن، وبعد صدور التعليمات لكم من حلفائكم فى العدوان: إنجلترا وفرنسا. فتركتم سيناء كلها فى أقل من ٣ شهور. ورحلت معكم قوات بريطانيا من بورسعيد فى أعياد الكريسماس. وكنتم قد احتللتم أنتم وحلفاؤكم سيناء ومدخل القناة فى مطلع أكتوبر ١٩٥٦، حقيقة أنكم قمتم بحرث الطرق بالبلدوزورات، ونسفتم المبانى المصرية التى كانت على أرض سيناء كلها، وتركتم سيناء مقبرة كبيرة، مقبرة لجنودكم وجنودنا، ومقبرة لتاريخ التآمر على مصر، ونحن اليوم لا نمانع أن تفعلوا نفس الشئ فى أرض سيناء. ولكن فى نفس الوقت فان عليكم أن تفهموا تحذيرنا بعد تكرار ما حدث عام ٥٦ لاننا سنطالبكم أثناء أقرار مبادئ السلام بتعويضات مالية عن كل ما فعلتموه فى الأرض المصرية، بما فى ذلك سحب البترول المصري، لأن مصر كانت قد أرسلت عن الطريق الدبلوماسى بعد عدوان ١٩٦٧ لكل دول العالم تحذرها من شراء بترول مصر عن طريق إسرائيل، وتحتفظ لنفسها بحق المقاضاة ضدكم وطلب التعويض وأنكم لاحق لكم فى استغلال الأرض المغتصبة والمحتلة بالعمل العسكرى العدواني.

وتوقفت - الكلام للتهامي - لأعود مؤكدا على ديان: أرجو ألا أسمع منك، ونحن

على هذا المستوى من الحديث والمقابلة أنكم اعتبرتم سيناء أرضًا إسرائيلية قد عادت إلى بنى إسرائيل الذين طردهم فرعون مصر وسكنتم فيها ٤٠ سنة وفيها نزلت لعنة الله عليكم لمخالفتكم النبى موسي، كما تقولون فى برلمانكم، فهذه الشعارات العاطفية النابعة من خيال بنى إسرائيل لاتصلح إلا لكم. ولكن أرضنا التاريخية بحدودها الدولية وما فيها وماعليها ملك لمصر، ولنا الحق فى مقاضاتكم وطلب التعويض اللازم.

وحاول ديان أن يختصر مواجهاتنا بالحجة أو الذريعة، فختم حديثة بأن للهضبة السورية مشاكل، وللضفة الغربية مشاكل، ولصحراء سيناء وخليج العقبة مشاكل أخري. وأنه لايبغى عودته إلى رئيسة بيجين إلا ليبلغه نتيجة اللقاء وجدية مصر فى التفاهم حول السلام ليعود بتعليمات واضحة من رئيسه ويحدد موعد اللقاء القادم بعد هذا التشاور، فقلت: ياديان ما أقوله لك الآن كلام نهائى لايقبل المجادلة. وبلغ رئيسك ماتريد.

وحاول ديان أن يجد وسيلة للاتصال المباشر بنا فى القاهرة لابلاغنا بالنتيجة والموعد، وحاول أن يوصى بنقل مكان المقابلة إلى مصر أو إسرائيل، أو بالتبادل بينهما ليكون التحرك أكثر سهولة. ولتقليل فرص كشف اللقاءات بالنسبة لأوروبا - التى حضر منها لهذا اللقاء - ولتتبع أعين المخابرات الأجنبية ورجال الاعلام لتحركاته، وحتى داخل إسرائيل ذاتها لمعرفتهم السابقة بتصرفاته وتحركاته السرية الغامضة.

رفضت ذلك رفضا قاطعا ووجهت الحديث إلى ملك المغرب: أنه لالقاء بينى وبين ديان بنى إسرائيل إلا بحضوركم وعلى أرض المغرب المؤمنة.

ووجهت حديثى إلى ديان: لاتحاول أن تغير هذا الأسلوب.

ديان يكسر السرية

ويمضى السيد حسن التهامي:

كان ديان فى تلك المقابلة - الأولى - قد قطع رحلته من بروكسل فى بلجيكا، إذ كان يبيت فيها يوما واحدا فى طريقه من تل أبيب إلى واشنطن. وكان قد اختفى من الفندق الذى نزل به، وأشاع أنه ذاهب إلى لقاء إحدى صديقاته فى سواد الليل. وتوجه إلى باريس، ومن باريس حضر إلينا بالمغرب، متخفيا فى طائرة خاصة. وتحدثت صحف أوربا عن اختفاء ديان فى تلك الليلة. وخرجت كلها باشاعات توحى بان ديان قد قام لاحدى عملياته السرية.

ولاحساس ديان بأهمية نتائج هذا الاجتماع من وجهةنظره، وشعوره بجدية اللقاء وعمقه، وامكان تأثيرة إيجابيا على الوصول إلى مرحلة التحضير للسلام قرر ديان العودة إلى تل أبيب قبل انطلاقه فى سفره إلى واشنطن - كما كان مقررا سلفا - وعاد إلى

إسرائيل فى رحلة عاجلة نزل فيها فجأة فى تل أبيب بدلاً من واشنطن. وقابلة الاعلام الإسرائيلى بالدهشة. وتقابل مع رئيسه بيجين. ثم استأنف رحلته إلى واشنطن بعد ذلك مباشرة، فوصلها بعد موعدها الأصلى بـ ٢٤ ساعة. وكان طبيعى فى هذه الظروف أن تعرف المخابرات الأمريكية من ديان أول نبأ عن هذا الاتصال. إذ لم يكن لدية أى تبرير لتأخير موعده الرسمي، وهو فى ذلك معذور نظرا لتقديرة لأهمية اللقاء ومستواه من أول لحظة.

وقد علمنا وقتها أن هذه الحركة (المسرحية) المظهرية من ديان لابد أن تؤدى إلى كشف سرية اللقاء ولكن موضوع اللقاء لم يفقد أهميته نتيجة أول تسرب عنه.

لقد كان لهذه الحركة المظهرية من ديان أثر واضح فى بدء كشف هذا الاتصال بالتحديد. وبقيت هذه الاشاعة سارية حتى بعد آخر لقاء معه. وتحدثت الأوساط المهتمة عن اجتماع ديان بشخصية عربية غامضة ومع كل هذا الشك، لم يعرف أحد ماحدث فى مقابلة حسن التهامى إلا بعد أن قام ديان بكسر مبدأ السرية وتحدث للاعلام الإسرائيلى وخصومه السياسيين عن لقائه بالتهامى فى المغرب، وذلك لمواجهة الضغط عليه، ولرغبته فى أن يسبق زملاءه بلعب دور صانع السلام الإسرائيلى مع مصر بعد أن كان - بالخديعة والوهم - صانع الحرب ومحقق الحلم. فكان من الطبيعى أن يلجأ ديان إلى نشر الموضوع بالطريقة التى تصلح له وتحسن صورته، وتدفع عنه ضغط خصومه، ولم يكن الميدان الإعلامى الإسرائيلى فارغا تماما فى مواجهة ديان، بل تحدث جميع المشاركين فى هذا المجال بوجهات نظرهم المتباينة.

ولكنى لم أشأ أن أكتب أو أتحدث حتى الآن لكى تظهر الحقيقة، وللقارئ أن يقارن ويمحص ويتابع الأحداث. سيما وأننى مازلت أعتقد اعتقادا جازما وقويا بأن كل ماتم لايعدو كونه الجولة الأولى فى محاولة استراتيجية لاتزال تخضع للتطورات العقلية منها والفجائية كردود فعل فقدان التوازن بين الهدف الاستراتيجى المنشود وبين مايجرى فعلاً على مسرح الأحداث، وأن شئنا مزيدا من التوضيح: فوق ميزان التوازن بين الأمل فى الحق وبين المناورة حول المساومة لانقاص الحق أو عدم الاقرار ببعضه، ولاسيما أن القضية برمتها لاتخص فردا واحدا أو معينا ولا دولة واحدة بذاتها، بل تخص أمة ضخمة وشعوبا متعددة هى شعوب (٤٤) دولة عربية وإسلامية أصبحت مصممة على استعادة هذه الحقوق من موقف القوة فى عدة ميادين تمثل ثقلاً ضخما فى ميزان العمل الدولى والسياسى والاقتصادي. وقد أخذت هذه القوة العالمية قوة دفعها التى لابد وأن تتعاظم حتى تحصل على هدفها مهما وضع بعض ساسة العالم من عقبات لوقف قوة الدفع هذه،

وأن تحرك هذه الأمة يجرى على عدة محاور نحو هدف رئيسى لايختلف عليه اثنان من بين ١٢٠٠ مليون مسلم وعربى ألا وهو القدس والأرض والحق.

إلا أن ديان يخرج بعد ذلك بأقاويل وافتراءات لم تحدث، وقد قالها دفاعا عن موقفه واقراراته التى التزم فيها معى - حسن التهامى - أثناء حديثه نيابة عن رئيسه بيجين. وهنا ينبغى أن أوضح أن الشعور الخفى لقادة حزب الليكود والذى لم يكن قد حان الوقت للافصاح عنه أو الاقرار به هو قناعتهم الدفينة بأن شعارات الليكود المعلنة لم يكن لها وجود فى قلوب الذين تأثروا بضربة اكتوبر وهزتهم الهزيمة واصابهم الزلزال ولكنهم كانوا لايزالون مختبئين خلف الاستار تؤرقهم مخاوف التحول من السلام خوفا من مواجهة أخرى لا طاقة لليهود بها. وكان بعضهم يفتعل مواقف شديدة التمسك بالمبادئ القديمة لدرجة أن واحد منهما قال لى ان بيجين عندما واجهه بعض اليهود خارج باب الكنيست وألقوا عليه الطماطم والبيض العفن بتهمة التفريط فى أرض إسرائيل قال: أنه قد افتعل هذه المظهرية على يد حفنة من رجاله وكان قد دفع لهم ثمن البيض والطماطم مسبقا.

وعدت إلى القاهرة وحدى وأطلعت الرئيس السادات على صلب النتائج، ثم تحدد موعد اللقاء الثاني.

وعدت إلى المغرب مرة أخري.. وكان ذلك فى ١٩٧٧/٨/٢٩.

وفى هذا اللقاء الثانى أخرج ديان ورقة عليها الرد بوجهة نظر رئيسه بيجين على موضوعات المناقشة. تحدث عنها بتركيز واختصار لنتعرف على وجهة نظر رئيسة الذى جاء هذه المرة ليتحدث باسمه..

بدأ ديان بالآتي:

- انه مع تقديره واحترامه لهذه الخطوة من جانب الرئيس السادات، فانهم فى إسرائيل قد بدأوا يثقون فى جدية النية للوصول إلى قواعد السلام الدائم فى الشرق الأوسط، وبدأوا فى وضع ثقتهم فى الرئيس السادات، كرئيس مصر، وأكبر دولة عربية وأن الاتفاق مع مصر كان أملهم، طيلة وجودهم على أرض فلسطين منذ رئيسهم بن جوريون الذى أقام دولتهم وعندى تفاصيله الدقيقة، ويفرضون وجهة نظرهم الابتدائية فى مراحل تحقيق السلام.. وانهم يعرضون ماسوف يقومون بعرضه من حلول على اعتبار أن المرحلة تمتد من الآن (١٩٧٧) إلى سنه ٢٠٠٠، وانها من الممكن أن تعتبر مرحلة الانتقال إلى السلام الدائم.

عندئذ لم أتمالك نفسى من مقاطعته فقلت له:

– ياموسي : كن عاقلا وتحدث عن لغة السته شهور والعام التى يجب أن ترحل منها عن الأرض العربية . فطلب أن أمهله وأصبر عليه حتى يكمل حديثه حسب توجيهات رئيسه بيجين .

وبدأ يتكلم عن مناطق الاحتلال الإسرائيلى منطقة منطقة ، مبتدئا بسيناء ، ووضع القاعدة الاساسية للانسحاب . هنا بأمن إسرائيل ، وطالب بأن ينزع سلاح سيناء فى نهاية الانسحاب . . وتبقى منطقة عازلة بين مصر وإسرائيل . وأن يصير الاتفاق على تسليم المنشآت إلى مصر إذا رغبت فى ذلك مقابل التفاهم على مكاسب أخرى لإسرائيل ، إذ ليس من المعقول أن تعطى إسرائيل كل شئ ولا تأخذ مقابلة شيئا . فقاطعته مرة أخري ، وقلت له : إنكم لاتعطوننا شيئا ، بل اننا نسترد حقوقنا المغتصبة . وننهى احتلالكم عن أرضنا من خلال هذا التفاهم بدلاً من العنف والمواجهة . وهذه الأرض والحقوق لابد أن تعود يوما ما بهذا الطريق أو بغيره . وأنه لامجال للمساومة التى نذكرها إلا عندما نطالبكم عن أشياء تخصكم . ولا أحب أن أسمع هذه الاصطلاحات مرة أخري ، ولو كانت من رئيسك بيجين ، إذا أردت أن تستكمل التفاهم حول الاسلوب المناسب لاستعادة الحقوق ، وتبيان هذه الحقوق عند أطراف النزاع جميعا . . . ثم تركته يستأنف حديثه .

وبدأ ديان حديثة عن المطارين : مطار الجورة ، ومطار رأس النقب . اللذين انشأتهما إسرائيل داخل حدو مصر الدولية فى سيناء ، وبالقرب منها . أى ليست بالعمق داخل إسرائيل . . فقال :– إن إسرائيل تحتاج إى هذين المطارين فى خطتها الدفاعية حتى سنة ٢٠٠٠ . ويطلب من مصر الموافقة على استمرار استخدامها بواسطة الطيران الإسرائيلي ، على ألاّ يهدد مصر .

وناقشته فى هذه النقطة فقلت له : من الناحية التكتيكية ، فان هذين المطارين عند تسليمهما إلى مصر سيكون من العبث و الخطأ استخدامها عسكريا ، لأنهما تحت مرمى الصواريخ والمدفعية العادية جدا . وأنه لايمكن لدولة أن تستخدم مطارات عسكرية على الحدود مع دولة معادية ، وأننا لسنا فى حاجة إلى استخدامها عسكريا إذا انتقلنا إلى حالة السلم ، وأخذنا حقوقنا . وإذا لم تطمئن إسرائيل إلى نوايا مصر فى استلامهما فأنا – حسن التهامى – بتفويض واضح من الرئيس السادات أقول لكم إننا نريد أرضنا . ولكم أن تنسفوا هذين المطارين . وتأخذوا حطامهما معكما . ولكننا لانوافق ولانسمح ببقائكم عليهما ، ولاعلى أرضنا مستقبلاً .

عاد ديان ليرد ويشرح وجهة نظر إسرائيل بأن هذين المطارين هما فى الواقع ضروريان

للعمق الاستراتيجي والدفاع الإسرائيلي في مواجهة أي هجوم سوري من الشمال. وبحساب المسافات، فهذان المطاران أكثر المطارات أمنا وفائدة لخطة الدفاع الإسرائيلية في مواجهة أي هجوم أو أعمال عسكرية سورية.

فقاطعته وقلت له: ولهذا السبب يجب ازالة هذين المطارين. وأضفت: إننا نتحدث عن السلام ولهذه الأسباب التي ذكرتها أنت، فانه بدون الاتفاق مع سوريا والدول المجاورة والتحول إلى تسوية شاملة للمنطقة بانسحابكم من الأرض العربية المحتلة، بدءا من المرتفعات السورية، والضفة الغربية، والقدس، وقطاع غزة، فسوف نصر على التسوية الشاملة ونصر على انسحابكم واخلائكم الهضبة السورية كشرط أساسي للتسوية الشاملة. وعندئذ تسقط حجتكم في الادعاء بأهمية مثل هذين المطارين.

أما بالنسبة للإجراءات العسكرية المماثلة فقال ديان: - أنه إذا أصرت مصر على الإنسحاب. منهما فلابد لإسرائيل أن تأخذ الوقت الكافي لبناء مطارين بديلين لها داخل النقب ليؤديا نفس الواجب الدفاعي.

فقلت له: إن هذا من شأن إسرائيل، وأنكم تعرفون الطريق إلى ذلك أكثر منا، وفي مقدور حلفائكم المعاونة في ذلك. ولا أعتقد أن مسألة تحويل مطارين يمكن أن يشكل عقبة في سبل السلام، وانتم تعرفون ذلك.

وأقر ديان بوجهة نظرنا في النهاية، وبعد ذلك الجدل على اسقاط عنصر الأمن والعمق الاستراتيجي كعقبة في سبيل الوصول إلى تفاهم، ووضع مبدأ التسليم بإخلاء الأرض المصرية جميعا الحدود الدولية كامله وعليهم دراسة البديل مع حلفائهم بالشكل الذي يريدونه.

ثم انتقل الحديث عن مستعمرات شمال سيناء.. ياميت وأمثالها وخليج العقبة وشرم الشيخ.. مع وجود الوضع الغريب الذي تقترحه بكونها مستعمرات زراعية تنتج الطماطم وتخضع لإسرائيل، ولها جهاز دفاعي على أرض مصرية صحيحة فقلت له ... ياموسى سوف لا أنقل هذا الكلام إلى الرئيس السادات، ولكني أقول لك أن هذا الكلام مرفوض، ولامساومة ولا جدال في عودة الأرض كلها. وان شئتم أيضا فانسفوا ياميت بمبنيها، وتعود أرضنا الينا كما كانت، ولاتتخيل غير ذلك، وأرجو أن تنس الاصطلاح الذي استعملته في عدة مرات وهو سنة (٢٠٠٠) وتتحدث معي بلسان ٦ شهور أو عام.

فقال: انه اراد فقط أن يبلغني ماجاء به من رئيسه وأنه يعرف أن لنا الحق فيما نقول. ولكنه يأمل في أن نتعاون لأن هذه المستعمرات تسبب لهم مشكلات داخلية عويصة، قد

تؤدى إلى إنهيار الحكم أو سقوط الحكومة.

فقلت له مرة أخرى : بلغ رئيسك ياموسى بما قلت لك. وهو موقف ثابت لمصر لايتغير ولامجال للحديث فيه.

وهنا قال ديان: إنها فى الواقع ليست للدفاع كما يظن العرب. ولكنها انشئت بغرض الاسكان والاستزراع، وأن الإسرائيليون يزرعون فيها الطماطم والخضروات التى يحتاجها القطاع الإسرائيلى حول هذه المنطقة. وأنهم يرغبون فى تعاون الزراع الإسرائيليين مع أهل سيناء فينقل هذه الخبرة اليهم. وأن تسهم العائلات الإسرائيلية فى انتاجها الزراعي، وتبقى الأرض مصرية، وتسمح مصر للعائلات الإسرائيلية باستمرار بقائها فى المستعمرات فىياميت كما لو كانوا سياحاً أو أجانب مقيمين على أن يسمح لهم بالاحتفاظ بأسلحة دفاعية شخصية ويعاملون بالقانون والمحاكم الإسرائيلية فى أحوالهم الشخصية، أو منازعاتهم مع الجيران، وأن يستمر ذلك إلى سنه ٢٠٠٠، فيمكن بعد ذلك التفكير فى الوضع الجديد حسب تطور السلم بين العرب وإسرائيل. وأن نتشاور مع رؤساء دولنا فى ذلك!

وقاطعت ديان قبل أن يسترسل فى الرغي:

– إن مستعمرة ياميت تقع على الطريق إلى بئر سبع، وهى الفاصل بين مصر وقطاع غزه والعريش، المعاملة بالمثل، وأن تستقطع مصر ١٠كم مربع فى حيفا أو بجوارها وتستثمر فيها بضعة ملايين دولار بأيدى مصرية وصناع وزراع مصريين، فهل يوافق بيجين على هذا المقترح، ويطبق على المصريين القانون المصرى كما تطلب أنت ورئيسك؟!

فابتسم الملك الحسن.. وقال موسى على الفور:

– لايمكن لبيجين أن يقبل ذلك!

فقلت له:

ياموسى استح من ذلك الموقف! وقل لبيجين نفس الرد الذى قلته لك على لساني!

وهنا أغلق ديان الموضوع عن اقامة الإسرائيليين على الأرض المصرية بالضبة والمفتاح! وبالتالى قفلت أنا معه مسرحية التفاهم وزراعة الطماطم حتى سنة ٢٠٠٠.

وتذكرت ان تعاليم التواره توصيهم بألا يقتل يهودى يهوديا آخر، والا يخرج يهوديا آخر من بيته بالاكراه. ولكنى تذكرت الحروب الدموية التى قامت بين فصائلهم فى الماضى وقيام ممالك لهم من بعض الاسباط على رقاب ممالك أخرى لأسباط آخر، فقلت له ياموسى – هذه مشكلتكم وسوف تجدون الحل فيما بينكم وأبسط شئ تعرفونه هو المال فيمكنكم أن تبنوا لهم بيوتا أخرى فى أماكن أخري..

هنا طأطأ ديان رأسة، وعرف أننا نعلم تفاصيل حياتهم الداخلية، فلا مجال للادعاء أو المماطلة، لأن الحل فى أيديهم.

وجدير بالذكر أن عندما تم الاتفاق في كامب ديفيد على اخلاء سيناء كاملاً هدم الإسرائيليون مباني ياميت ومبانى المطار. وأن هذه الاتفاقية مرت بالموافقة فى الكنيست الإسرائيلى الذين يلجأون فى قراراته إلى التوراة.

١٥

نغمة أمن إسرائيل
نشاز في معزوفة المحادثات السرية

يستكمل السيد / حسن التهامى سرد وقائع لقاءاته السرية مع موشى ديان قائلاً :

تطرق ديان إلى خليج العقبة وشرم الشيخ ، قائلاً إنها منطقة خطرة على الأمن ، ومهمة لحياة إسرائيل الاقتصادية ، ويخشى أن تتكرر مأساة ١٩٥٦ ، إذا أغلقت مصر ، أو أية دولة أخرى الخليج فى وجه الملاحة والاقتصاد الإسرائيلي ، فصلات إسرائيل بأفريقيا والشرق الأقصى وإيران ، يجعل المضيق شريانا حيويا لايمكن لإسرائيل أن تعرضه للخطر مرة أخرى كما حدث فى ١٩٦٧ ، عندما أقفل الرئيس عبدالناصر الخليج عليهم ، واستبعد القوات الدولية منه .

أما عن السياحة فإن إسرائيل تحصل على دخل يساوى ٥٠٠ مليون دولار من المنطقة بعد تطويرها ، وبناء المستعمرات السكنية السياحية والفنادق وتوالى قدوم الوفود السياحية الأمريكية والأوروبية على هذه المنطقة طوال السنة ، ويطلب بيجين استمرار استخدام المنطقة سياحيا بمعرفة إسرائيل ، وبالتعاون مع مصر . وكذلك تأمين خليج العقبةبوضع نظام دفاعى مشترك ، وأن تضمن مصر استمرار فتح المضيق وحماية المرور الإسرائيلي .

وتعرض إسرائيل مشروع دوريات بحرية مشتركة لمواجهة المهربين والمتسللين .

وهنا ناقشت - أى التهامى - موشى ديان موضحاً كون خليج العقبة بكامله مياها مصرية إقليمية وعربية ، ومضيق الخليج نفسه الذى تمر منه الملاحة مياه مصرية إقليمية كاملة وهو مضيق تاريخيا تحكمه الدول العربية المطلة عليه : مصر ، السعودية : الأردن .

ولايمكن أن تفرض إسرائيل نفسها فى حرية التصرف والملاحة فيه .

إن لنا عند إقرار السلام أن نؤمن المرور البري فى مضق تيران المصري ، من وإلى ميناء إيلات الذى استوليتم عليه بعمل عدوانى عام ١٩٤٩ ، فى غفلة من الوجود فيه ، ومخالفا لكل اتفاقيات الهدنة وقرارات الأمم المتحدة ١٩٤٨ معكم وقرار الهدنة . فحتى وجودكم على الخليج غير قانوني ، حتى يتم التفاهم من خلال إجراءات السلام بإقرار وجودكم الواقعى فى إيلات .

ولكى يدلل ديان على أهمية الخليج لإسرائيل ، أضاف معلومة جديدة عن صلاتهم

بالدول الأفريقية واهتمامهم بمدخل البحر الأحمر فقال : إن لإسرائيل صلات عسكرية وثيقة بالحبشة، ولهم عدد كبير من الخبراء وبالذات فى الطيران والجيش، كما أن لهم ارتباطات فى جيبوتى وكينيا تمثل كلها العمق الاستراتيجى فى علاقاتها الدولية لتطلعات إسرائيل لهذه المنطقة من العالم، بالإضافة إلى ضرورة تأمين خط بترولها مع حكومة شاه إيران. ولذلك فإن خليج العقبة يمثل لهم شريان الحياة أو الموت.

وبختام الحديث عن مناطق سيناء كما ناقشها علق ديان فقال : إن مخاوف إسرائيل من موقف مصر والإصرار على أرضها كاملة حتى الحدود الدولية وتسليم ما عليها من مستعمرات ومنشآت مع عودة السيادة المصرية عليها وتسليم إسرائيل بذلك، أن تصبح سابقة تسرى على بقية الأرض العربية فى المرتفعات السورية والضفة العربية والقطاع.

فوجهت إلى موشى ديان سؤالا حادا محددا : «هل اقتنعت مع رئيسك أنه لايوجد مجال فى الحديث أو مساومة على حدودنا الدولية ولا مجال للمناقشة حول مبدأ السيادة؟!!. فقال : إننى نقلت حديثك إلى بيجين، وإن كان هذا المبدأ صعبا علينا تنفيذه للأسباب التى سبق شرحها لك، أننا لانعتقد أنه لابد لنا أن نسلم فى النهاية بذلك. قلت : وإذا لم تسلموا فهناك أساليب أخرى لإلزامكم بها، وأنه فى حالة عرض الموضوع على هيئة دولية، كالأمم المتحدة أو مجلس الأمن، أو محكمة العدل الدولية، فليس هناك من يعارض مبدأ مصر . فقال : أنتم تريدوننا أن نتنازل عن الأرض كلها فما هو المقابل؟!

قلت : المقابل هو السلام الذى تنشدونه، ولا سلام إلا بعودة الحق كاملا.. فعليكم أنتم أن تفاضلوا بين الأرض والسلام...

فعاد ديان وأقر بأن الحدود الدولية المصرية لم تعد موضوع نقاش. ولكن خشية إسرائيل تأتى من تطبيق المبدأ على الأرض العربية كلها بما فى ذلك المرتفعات السورية. وقال :

– لا أخفى عليك أننا ناقشنا هذه النقطة ، وأنه مع خطورة سوريا على شمال إسرائيل، فإنه فى حالة ضمان السلم مع سوريا فليس أمام إسرائيل إلا أن تسلم بمبدأ عودة الجولان إلى سوريا، ولكن بترتيبات أمنية فسوف تكون من نوع خاص يتناسب مع خطورة المنطقة على أمن إسرائيل.

ثم تحدث ديان عن الضفة الغربية وقال :

– إن للضفة الغربية وضعا أمنيا خاصا بها. وأنه يرجو أن توافق مصر والعرب على مبدأ إدخال التعديلات الأمنية الطفيفة، كما وصفه التفسير البريطانى للقرار ٢٤٢ على حدود الضفة الغربية مع إسرائيل(بمعنى أنه قطعة من هنا مقابل قطعة من هناك، وبذلك تتعدل

الحدود بشكل يحقق أمن إسرائيل) .

فأجبت ديان :

- إننى أرد عليك فى ذلك بماسبق أن قاله الرئيس السادات لاتفريط فى الأرض ولاتعديل للحدود تحت أية حجة، وأن أهل الضفة، هم أصحاب الشأن فى ذلك .

وهنا طرق ديان نقطة أخري، وهي : من الذى يؤمّن الضفة الغربية؟ ومن المسئول عنها لنتحدث إليه؟ وأوضح عن وجهة نظرهم بأنهم لا يطمئنون إلى وجود أيه قوة فى الضفة إلا سلطة الملك حسين، والأردن الذى يمكن أن يسمح بتأمين الضفة الغربية. وأنه سبق الحديث مع الأردن فى هذا الشأن، والرأى العام الإسرائيلي، بما فى ذلك الأحزاب السياسية التى تفضل تأمين الضفة بالوجود الأردنى كعنصر استقرار أفضل من أى حل آخر، وأن المنطقة لاتتحمل دولة ثالثة..

فقلت له : إن وجهة نظر مصر كلها أنه لاسلام بدون حق تقرير المصير للفلسطينيين وحقهم فى إقامة دولتهم على أرضهم.

(وقبل أن أسترسل لابد أن أسجل للتاريخ أن موشى ديان طرح منذ اللقاء السرى الأول فكرة الحلف المصرى الإسرائيلى الأمريكي..) .

وبعد أن أكدت على حق تقرى المصير للفلسطنيين تغير وجه ديان، وألقى محاضرة طويلة عن كنه الشخصية الفلسطينية، ومن هم القادرون على بناء الدولة، وأن إسرائيل لايمكنها - شعبا وحكومة وأحزابا - أن تسمح لمنظمة التحرير الفلسطينية بإقامة دولتها لترمى إسرائيل فى البحر، أو تفجر المواقف كل يوم، وأن الشعب الإسرائيلى أسهل عليه أن يستعد للحرب من أن يقبل ياسر عرفات والمنظمة فى شكل حكومة دولة علي أرض الضفة الغربية!

هنا تدخل الملك الحسن الثانى ملك المغرب، وحاول إفهام ديان أن خوف إسرائيل من المنظمة أمر مبالغ فيه، وضرب له المثل بالجزائر وفرنسا وقت الحرب، وبعد الصلح، من قتال مستمر إلى تعاون بين البلدين والشعبين، وما دام قد بقيت منظمة التحرير الفلسطينية خارج أرضها ووطنها، وما دام وطنها محتلا، فمن حقها أن تستمر على موقفها، حتي تقيم حكومتها ودولتها وتحقق آمالها. وعندئذ يتغير الموقف وتتغير التقديرات. ولذلك فإنه ينبغى علينا أن نبحث عن الحل لهذا الشكل ونعطى الفلسطينيين حقهم فى مباشرة سلطاتهم بأنفسهم، ثم ننظر كيف نقيم علاقات السلام عندما يتنفس كل شعب على أرضه وتحت علمه (مبدأ حق تقرير المصير، والذى جاء فيما بعد فى أحاديث أخرى باسم قيام اتحاد فيدرالى أو كونفيدرالى بين الأردن والضفة الغربية وإسرائيل) .

وعاد ديان يتكلم بحدة وشراسة عن منظمة التحرير : هدفها ودستورها وتنظيماتها العسكرية.

قلت له:

- ليس هناك حل إلا إعطاء الفلسطينيين حقوقهم ثم إقامة التوازن فى المنطقة.

ولكى نكون واضحين مع ديان فى هذا اللقاء الثاني، اختصرت له وجهة نظرنا فى هذا الانسحاب الإسرائيلى من الحدود العربية الدولية كلها وأنه لا مساومة على هذه الخطوط، فأقر باقتناعهم بذلك. وكذلك مبدأ إزالة المستعمرات التى بنتها إسرائيل على الأرض المحتلة أو إخلائها مع الانسحاب. وأن هذا عرف دولى لايمكن المساومة عليه. فأقر بالمبدأ كذلك، قائلا: وإن كان هذا الإجراء سيسبب لهم مشاكل داخلية ومعنوية كبيرة، وسيثير الخلافات الحزبية.

واستقر الرأى على أن هذه المشاكل من شأنهم وعليهم معالجتها أو المفاضلة بينها وبين السلام.

وهنا أفصح ديان عن ضيقه من تصرفات الجماعات الدينية الإسرائيلية ذات الأفق الفكرى المحدود والمعاند، واعتبرها إحدى نقاط الضعف فى الموقف الإسرائيلي، لضعف السياسيين فى مواجهتهم، وأن ترتيبات الانسحاب الإسرائيلى من الأرض العربية المحتلة يجب أن تأخذ الأولوية فى التنفيذ والتخطيط لكى يصبح السلام مقبولا للمنطقة وممكنا تنفيذه، وأن المبالغة فى أمن إسرائيل لا يمكن أن ينقص أو يؤثر أو يعطل عودة السيادة العربية على الأراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ كلها ، فأقر بالمبدأ مع خوفه من الجبهة السورية، ورغبته فى الوصول إلى حل أمنى يمكن أن يطمئن إليه الإسرائيليون دون التأثير أو تعطيل خطوات نقل المنطقة إلى السلام، وأن على إسرائيل أن تحل بنفسها مشاكلها الداخلية، كما أقر ديان بمبدأ عودة حقول البترول كاملة إلى مصر فى أولى مراحل الانسحاب، وإن كان لمصر حق طلب التعويض القانونى الدولى عما سحبته إسرائيل من البترول المصرى (ولم تكن هناك مشكلة حادة للبترول فى ١٩٧٧ ، إذ لم يكن هناك أى تنبؤ حول تغير الأوضاع فى إيران وكان تعاقد إسرائيل مع شاه إيران تعاقدا مستقرا طويل الأجل تؤمّنه أمريكا).

وقال ديان بصوت ملؤه الصراحة والواقع:

- إن الحياة الاقتصادية فى إسرائيل لم تعد تطاق. ولم يعد هناك حدود للتضخم، وأن أحوال إسرائيل لن تستقيم أو تستقر حتى توجه ميزانية الحرب الضخمة لتطوير الاقتصاد الإسرائيلي. ثم قال: إنه يظن أن هذا هو موقف مصر..

فقلت له:

- لا تقارن بين إسرائيل ومصر، إذ أن مصر قد تغيرت كثيرا، فإننا نعتمد على أنفسنا فى اقتصادنا، وعلى ضخامة مواردنا. كما أن مشاكلنا تختلف عن مشاكلكم لأنكم كلما ابتلعتم من حلفائكم ومموليكم فى أوروبا مليارات الدولارت ارتفع التضخم بنسبة المبالغ الممنوحة لكم لتعيشوا.. ونحن فى مصر نبحث عن السلام بعد أن انتصرنا فى رمضان لتطوير منطقة الشرق الأوسط كلها إلى الأفضل، ولحفظ السلام والتوازن العالمي، وستكون مشكلتنا الأولى هى إقناع الرأى العام العربى بقبول السلام على أساس عودة الحقوق كاملة، إذ بدون ذلك لايستقر السلام.

ووافق ديان على أن أى جهد يبذل معا الآن يجب أن يؤدى إلى السلام والاستقرار الدائمين على جميع الجهات وإلا فلا معنى لهذا الجهد.

وتحدث ديان بعد ذلك باسهاب عن مشكلة أمن إسرائيل على جميع الجبهات، والتى يحسبون لها ألف حساب . ولخص نظريتهم فى أن أمنهم فى مواجهة مصر ينبع من اعتقادهم العملى الجازم بأن القوة الوحيدة القادرة بضخامتها ومستواها على توجية الضربة القاصمة لإسرائيل هى القوة المصرية. ولذلك وضعوا فى حساباتهم فى جميع الحروب ضرب هذه القوة وشل حركتها قبل توجههم إلى أى جبهة أخري.

وبالرغم من أننا نتحدث عن السلم فإنه لن يسقط من حساباتهم أبدا احتمالات المواجهة مرة أخري. ولذلك يجرى تطوير خططهم الحربية جنبا إلى جنب مع تطور التفكير فى السلم. وأمنهم من مصر يتأتى فى مجمله من ثلاثة دوافع:

• أمن جبهة سيناء عن طريق نزع سلاح أكبر مساحة ممكنة منها خلال الحديث عن السلام ووضع قواعده. وأبعاد مركز القوة المصرية عن الحدود لأقصى مسافة ممكنة ولما كانت المضايق والممرات هى خط الدفاع الحقيقى عن قناة السويس للجبهة المصرية، فلم يجرؤ الإسرائيليون على المطالبة بإبعاد القوات المصرية عن المضايق بحيث تصلح للدفاع المصري، ولا تهدد إسرائيل بالزحف المفاجئ، وكذلك أنواع السلاح.

• الدافع الثاني.. هو احتمال تعاون جيش مصر مع أى جيش عربى يحتك بإسرائيل أو تنشب معه الحرب، فإن قوة مصر فى هذا الوقت لايمكن اغفالها من ميزان دفاع إسرائيل، ولذلك تحدثوا كثيرا عن هذا الاحتمال.

وكان يروى - الكلام للتهامي - أن مصر ملتزمة بمواثيقها وعروبتها. ولذلك فمن الأجدى لإسرائيل أن ترسى قواعد السلام، وتسلم بحقوق العرب على جميع الجبهات، توقيا لانفجار يلغى موقف الأمن والسلام تلقائيا على الجبهات الأخري.

• ثم مشكلة خليج العقبة بكونها شريانهم الحيوى كما قيل، ومجال امتداد ذراعهم الطويلة لضربة استراتيجية بعيدة للدول العربية والإسلامية كلها عبر البحر الأحمر وخليج عدن والحبشة. بل إن إسرائيل تعد أسطوليها الجوى والبحرى لهذا العمل طويل المدي.

كما تحدث ديان عن أمن الضفة الغربية.. وما يتيح لهم السيطرة، وما أقاموه من شبكات ومراقبةاليكترونية بما هو معروف عن سطوة الاحتلال العسكرى لهذه الضفة الغربية، والقمع والقهر والذى بدونهما لايشعر الإسرائيليون بالأمن. بل تحت هذه اظروف القاسية لا تزال المواقف المتفجرة فى الداخل ثائرة من حين لآخر. وهم يعرفون خطورة الضفة الغربية عليهم ، وأن سيطرتهم على ما يزيد على مليون فلسطينى لا يمكن أن تدوم، ولكنهم فى الجانب الآخر من التفكير لا يمكنهم التخلى عن هذه القلعة الجبلية والأرض والعمق الذى تمثله الضفة الغربية وأنهم يلجأون إلى زرع مستعمراتهم فى الضفة الغربية وإسكانها باليهود، استعدادا لليوم الذى سيضطرون فيه للانسحاب العسكري، فيتركون من المستعمرات والسكان اليهود ما يعادل السكان العرب المقيمين فى إسرائيل الأولي، أى النصف مليون عربى الذين يستقرون منذ ١٩٤٨ على أرضهم الأولي.

ثم انتقل ديان إلى المرتفعات السورية وتحكمها فى مصير إسرائيل من جهة لبنان وكذلك فى شريان الحياة المائى الوارد من الشمال، ويستطرد ديان قائلاً :

- إنه كان فى مقدور قواتهم فى ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣ أن تدخل دمشق ولو ليوم واحد لتعود إلى خطوط أمنها. وتثبت للعالم أن إسرائيل قادرة على ردع العرب.

قال ديان هذا وهو يعلم أن الإسرائيليين - جنودا أو مدنيين - لا يمكنهم البقاء ليلة واحدة لا فى عاصمة عربية بل فى أية منطقة آهلة بالسكان العرب. وأراد أن يدلل بهذا البيان على قيمة وخطورة عنصر أمن إسرائيل الذى أقنعوا به حلفاءهم. وأصبح عاملا أساسيا فى تفكيرهم كله.

وتطرق الحديث بعد ذلك إلى حوار حول استفسار يقول : من الذى يؤمن إسرائيل، أو يمنع ظروف الدخول فى مواجهة عسكرية أخري.

وتطرق الحديث أيضا إلى امكانية إسرائيل الاستناد إلى قرارات الأمم المتحدة عند تنفيذها وخلق مناطق منزوعة السلاح على جانبى الحدود الدولية بين إسرائيل والدول العربية بعد انسحابها منها... فأظهر ديان رفض السياسيين الإسرائيليين جميعا مبدأ الاستناد على القوى الدولية لثبوت عدم جدواها ولعدم رغبتهم فى دخول قوات من دول ليست متحالفة مع إسرائيل بحكم تشكيل القوة الدولية إلى أرضها.

بعد ذلك تطرق الحديث إلى حماية أمريكا لإسرائيل. وهذا حاصل بالفعل، لاسيما أن أمريكا في تلك الفترة كانت قد أطلقت بالون تأمين لإسرائيل وطمأنة حكامها وأهلها بفكرة الحلف العسكرى بين أمريكا وإسرائيل . ولكن إسرائيل لم تتجاوب مع البالون علنا . وأرجأت التفكير فيه لسبب بسيط، وهو أن ذلك الحلف قائم بالفعل ولا حاجة لإسرائيل فى مثل هذا الإجراء إلا فى موقفين :

الأول : أن يتواجد فى الإدارة الأمريكية قادة أمريكيون غير ملتزمين بحماية إسرائيل وتمويلها . وهذا غير وارد لأن برنامج الانتخابات نفسه لايقوم فى أمريكا إلا بعد تأمين هذا الالتزام أولا .

الثانى : لجوءأمريكا لاستخدام قواعد إسرائيل اضطرارا لموقف دولى أو مواجهة للدفاع عن آبار البترول، كما قيل وقتها .

وقد قدم ديان هذه الذرائع لمعرفة المدى الذى يمكن أن نسير فيه معهم لضمان عدم نشوب حرب أخري . . وكرر عدة مرات أن مصر هى الدولة المعنية بضمان حماية إسرائيل لأنه حتى من قبل حرب ١٩٧٣ لم يكن أمامهم قوة تخشى منها إلا مصر .

كما أضاف ديان بأنه بحلول السلام بين العرب وإسرائيل فى مقدورها بقدراتها العسكرية وذراعها الطويلة المساهمة فى الدفاع عن البترول العربي. وطبيعى أن مثل ذلك التفكير لايمكن أن يلصق بأذهان بنى إسرائيل إلا إذا كان هناك تبادل فكرى بينهم وبين أمريكا فى الوقت الذى يعتبر مرفوضا رفضا كاملا من الجانب العربي، ولكن احتمالات المفاجآت الدولية ومواجهة المواقف الطارئة تسمح لهذه الأطراف فى التفكير فيما قال ديان، ولا نستبعد افتعال المواقف لتحقيق هذا المخطط وإرساء قواعده .

واستطرد ديان بإن إسرائيل من خلال أجهزة مخابراتها - كما قال - كانت قد تنبأت بالعدوان الليبى على حدود مصر، وإنها أرسلت إلى رئاسة مصر عن طريق أمريكا اقتراحا باستعداد إسرائيل لمعاونة مصر فى التصدى للعمليات الليبية السوفيتية على الحدود. وأن مصر رفضت ذلك العرض فى حينه !

وعاد ديان ليحاول توسيع دائرة الاستعداد الإسرائيلى لفتح مجال التعاون لمواجهة النفوذ السوفيتى المتطور فى أفريقيا، والذى يقترب من حدود مصر الجنوبية، بعد خطورة تواجده فى ليبيا، وقال إن هذا التفكير الاستراتيجى تفكير راسخ ومتبادل بينهم وبين أمريكا، وأنه من الممكن أن يوضع هذا المشروع موضع التنفيذ عندما تتطور ظروف وجودهم تحت مظلة السلام فى الشرق الأوسط.

وأخيرا فإن ديان تمادى وتطاول فى حديثه عن قدرة الذراع الإسرائيلية الطويلة فى الدفاع عما هو أكثر وأغرب. . وهو حديث قادم.

١٦

٧ شروط
من التهامي إلي بيجين
عن طريق ديان

يواصل السيد حسن التهامي شهادته عن الأحداث التي عاصرها ويستكمل حديثه فى لقائه مع موشى ديان :

قلت له :

- ياموشي.. الآن وبعد أن انتهينا من الحديث عن تفاصيل الأرض والحقوق الدولية الثابتة، أرجو أن تبلغ رئيسك بالنسبة للقدس الآتي:

أننا نعتبر عودة القدس العربية إلى السيادة العربية أمراً من المسلمات بالنسبة للأمة الإسلامية كلها وأنها.. أى القدس مركزا لإقرار مبدأ السلم والحرب. وأنت تعترف أننى كنت الأمين العام للمؤتمر الإسلامى الدولى الذى يضم الدول الإسلامية كلها وهى ٤٤ دولة، ولدينا عدة قرارات واجبة النفاذ. ولن يفترق عليها أثنان فى الأمة الإسلامية. فلا حل لقضية فلسطين بدون القدس. ولا جدوى من الحديث عن الأرض بدون القدس. وأن قراراتنا تدعونا إلى السعى فى استخلاص القدس وهناك قرارات دولية تلزمكم بإعادة القدس إلى ما قبل عدوان ١٩٦٧، وعدم تغيير معالم القدس، أو إضافة أى شئ إلى الكيان العربى التاريخى المتواجد عليها. وأن الدول العربية والأمة الإسلامية مسئولون عن تأمين سلامة القدس العربية وسوف يقرر العالم العربى والإسلامي، مجتمعا، الوضع الدائم للقدس العربية سواء كان لتفويض الأردن وحده ممثلا للأمة العربية الإسلامية أو تشكيل هيئة تشرف وتمول وتصون القدس العربية وما حولها ونحن مصممون على هذا الوضع الذى سينفذ يوما ما، فلا مجال للمساومة. ولن يقبل أحد - لا مصر ولا غير مصر - أن يخرج عن هذا الخط، ولا حتى أمريكا يمكنها الانحراف بهذا التصميم العربى والإسلامي، وأن التصريح الأمريكى بشأن القدس يؤيد مانقوله، ويظل ممسكا بالعصا من الوسط. فلا حق لأى طرف من أطراف النزاع أن يغير معالم القدس وحده. وأى تصرف خاطئ من جانبكم لابد أن يجر المشاكل. ونحن مستعدون لها، فلا يقف أمامنا شئ فى مواجهة استخلاص القدس والأماكن الدينية وحمايتها ورعايتها بمعرفتنا. وأنتم تشتكون من أن الملك حسين منعكم من البكاء والصلاة عند حائط المبكي، ولكننا نقول إن لكم الحق فى أن تؤدوا الصلوات عند حائط المبكي، وليس فى ذلك مشكلة، إلا أنكم كنتم

معتدين طيلة هذا الوقت.

وقلت له:

إنه من السهل أن يسير إلى القدس ٢ مليون أو ٣ ملايين عربى مسلم لمواجهتكم مواجهة مباشرة. وكان فى تقديرنا أنكم ستطلقون النار على المسيرةعند بدئها خاصة من جانب المتطرفين عندكم. ولكننا سنزحف على القدس ومعنا العالم كله لأن حقنا فيه ظاهر، وحتى حليفتكم أمريكا اديها القناعة من خلال الدراسات القانونية والتاريخية التى جمعتها ولا حق لكم فى (البقاء) القدس العربية.

وعلى أية حال فالمقارنة بين ٢ مليون يهودى فى إسرائيل منهم ٢٠٪ يترددون على حائط المبكي، مقابل ألف مليون مسلم يترددون جميعا على أماكن عبادتهم، ويطالبون بعودة القدس والمسجد الأقصى ليزوروه. كما يزورون بيت الله الحرام فى مكة، والمسجد النبوى فى المدينة. وأنت عشت مع العرب طيلة حياتك، وتعرف جيدا ذلك.

يقول حسن التهامي: بعد ذلك قلت لديان:

- سأجد لك النقاط واضحة لتراجع فيها بيجين.. وتأتى للقاء القادم(وهو الثالث والأخير) برد واضح.. نعم.. أم :لا.

أما النقاط فهي:

١- الحقوق والأرض مقابل السلام كمبدأ عام شامل لكل تحرك وتصرف تحت مظلة السلام..

٢-عودة السيادة المصرية الكاملة على أرض سيناء دون حجج أو ذرائع أو خيال تبنونه حول شبر واحد فى أرض سيناء، وإذا دمرتم شيئا فسوف تحاسبون عليه وسوف نطالبكم بثمن البترول الذى سحبتوه من آبار الزيت المصرية فى خليج السويس..

٣- إخلاء الجولان (المرتفعات السورية) وإعادة السيادة السورية على أرضها بالكامل كجزء لا تتجزأ من السلام الشامل. ومصر لاتنوى أبدا عقد سلام منفرد معكم تحت أى وضع من الأوضاع، إلا بعد ارجاع الجولان إلى سوريا مثل عودة سيناء إى مصر...

٤- إخلاء القدس العربية تماما كما كانت ١٩٦٧.

٥- عودة الضفة الغربية كما كانت قبل ١٩٦٧، على أن يصير فى الضفة الغربية انتخابات ديمقراطية حرة، تعطى الشعب الفلسطينى حرية اختيار مستقبلة، وكذلك منطقة غزة..

وهنا اعترضنى ديان على مواصلة حديثى قائلاً بعدم امكانية قيام دولة ثالثة فى المنطقة..

فقلت له :

التمثيل الحر للشعب الفلسطيني سيعطيه الحق في اختيار مستقبله ، ويمكن أن يكون دولة متحدة اتحادا كونفدراليا أو فيدراليا مع الأردن . .

فقال :

- . . . أو مع إسرائيل لضمان أمن إسرائيل !

فقلت :

- لادخل لكم في هذا . وهذا كلام سابق لأوانه ، فالشعب الفلسطيني له الحرية في اختيار مايريد ، وفقا لارادته ، وتتوقف العلاقة بينكم وبين الدول جيرانكم على الاستقلال والاتحاد والأمن المتبادل ، واسلوب اقراره وضمانه . .

٦- ويسرى هذا الكلام على منطقة غزة ، وسوف نبحث أسلوب توحيد إرادة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية . . .

٧- أن كل ماعدا ذلك من أساليب تأمين المنطقة ، وليس تأمينكم أنتم وحدكم ، لأنكم كنتم أنتم المعتدين بصفة دائمة . أننا سنضع برنامج أمن متبادل يشمل أرض فلسطين كلها ، ونتفاوض على أساسه . ولا يمكن أن يكون هناك خلاف ذلك ، إذا أردنا السلام فعلا واستقرار المنطقة . هذا إذا كنتم تريدون الحياة على هذه الأرض تحت مظلة الأمن والاستقرار المتبادل . .

- بلغ بيجين هذا الكلام حول امكان قيام سلام في المنطقة وجعل حرب ١٩٧٣ آخر الحروب .

وأتوقع منك ردا واضحا ، ولسنا في موقف المساومة أو اللف والدوران حول هذه المبادئ الرئيسية . ولنأخذ فرصة التفاوض لاستكمال التفاهم ، ووضوح المواقف قبل إقرار السلام . .

لستم وحدكم على الأرض . ولا يمكن فرض شروطكم التي تميل إلى الخيال أكثر من الواقع . ويجب حسم هذه الأفكار في هذه المرحلة . .وانتهى الاجتماع السرى الثاني مع ديان في المغرب . . وفي حضور الملك الحسن الثاني ملك المغرب وتحت مظلته . . وأخذ ديان هذه الشروط ليعرضها على بيجين . .

وانصرفنا كل في انتظار اللقاء الثالث . . والأخير . .

وهو موعد لقاء قادم.

١٧

السادات في القدس
وأول محاولة لاغتياله

حضر ديان اللقاء الثالث كما تحدد. ووصل إلى المغرب فى طائرة اسرائيلية للركاب. وحسبما قال كانت الطائرة تحلق على ارتفاع ألف قدم فوق سطح البحر طول الطريق، ليتجنب رصد الرادارات الدولية فى حوض البحر الأبيض المتوسط لطائرته. وذلك امعانا فى التكتم والحرص على السرية.

وراح يسرد ماكان يعانية أثناء الرحلة الطيرانية من ضعف السمع لصوت الرنين فى الطائرة طيلة هذه المسافة، على هذا الارتفاع.

ونزلت الطائرة في مطار فرعي، وحضر ديان متخفيا فى نظارة سوداء، ولحية اصطناعية، وبالطو (معطف).

وحضر الى القصر الملكى - بالمغرب - ليلاً. وكان موعد العشاء. وقدم الملك حسين وجبة العشاء الفاخرة.. وفى نفس الوقت: المختصرة. وأشرف على المائدة عدد من «السفرجية» الفرنسيين الذين يعملون فى القصر الملكي.

وعقد الاجتماع فى صباح اليوم التالى فى بهو كبير (صالون) فى القصر. وبدأ بحضور جلالة الملك الحسن الثاني، كما تعودنا، ليكون اللقاء تحت مظلته، وبحضوره.

واحقاقا للحق وتسجيلا صادقا للتاريخ لابد من القول بأن فى بعض المواقف كانت تدخلات الملك الحسن الثانى مهدئة وموضحة للخط الأساسى الذى اجتمعنا من أجله تحت رعايته وصولاً إلى هدف مشترك، وهو اثبات النوايا ووضوحها بالنسبة لكل طرف، وبالشكل الذى يمكن اعتباره تفاهما مسبقا على صورة المستقبل.

وبدأ ديان يسرد بسرعة عدة مشاكل بنوعيات مختلفة عن صعوبة الانسحاب من سيناء ومن المرتفعات السورية ومن الضفة الغربية قبل اقرار برامج الأمن وأسلوب تأمين إسرائيل ومتطلبات مشروع الأمن من كل الأطراف العربية. وإن إسرائيل لايمكن أن تطمئن إلى مستقبل شعبها إلا بهذاالاطمئنان على مشروعات الأمن والسيطرة على سلوك الجيوش والأفراد.

وتعرض ديان - فى حديثه - لمنشآت إسرائيل على صحراء سيناء، وبالذات المطارات . وحاول أن يدور حول هذه النقاط دورة أخيرة، لاستنفاذ جميع الإمكانيات.. والقصد

هنا : إمكانيات التساهل فى مثل هذه النقاط .

وتحدث ديان بإسهاب عن خطورة منظمة التحرير الفلسطينية ، وتسلطها على الضفة والقطاع ، واحتمال نشوب مناوشات فى أى وقت ، اذا ما أطلقت أيدى المنظمة فى التصرف فى الأوساط الفلسطينية وفى الضفة الغربية .

وانتقل ديان بعد ذلك إلى منطقة البحر الأحمر وشدد على ضمان استمرار الملاحة الإسرائيلية فى المضيق .

وهكذا . . تطرق ديان إلى عدة نقاط أخرى تفصيلية . وكان القصد من ذلك كله إثارة الموضوعات ليتبين إن كانت هناك بعض نوايا خفية لم يدركها فى المقابلات السابقة ، أو نخفيها فيحاول كشف الغطاء عنها .

وبعد أن سرد كل ذلك قاطعته بسخرية منه وسألته سؤالاً مباشراً :

يا ديان . . هل عرضت ماسبق أن أمليته عليك لرئيسك بيجين ؟ . اننى الآن أطلب منك الرد الصريح بـ«نعم» أو «لا» ، لنأخذ قرارنا على ضوئه . فان أقررتم بالمبادئ العامة ، والأسس التى يمكن التفاهم على تفصيلاتها ، فيمكننا الاستمرار فى التفكير فى الأسلوب الأمثل لاستمرار المفاوضات لوضع التفصيلات على مانتفق عليه .

وقلت له :

- ياديان نحن لسنا هنا بمتفاوضين بل جئنا لتقرير : هل تنوى إسرائيل فعلاً المضى فى إجراءات السلام ؟ وهل توضح بشروط السلام ؟

فإذا لم تعطنى هذا الرد الآن ، فلا جدوى من استمرار الحديث . وأنا قد نبهت عليك بذلك فى لقائنا الماضي . وأعدت له - على سبيل التذكرة - جميع النقاط التى أمليتها عليه فى اللقاء السابق .

ومع اشتداد المواجهة الكلامية والضغط على ديان لاظهار مايخفيه بدلاً من الرغى واللف والدوران ، بدأ ديان فى رفع صوته . . وبدأ يكرر عبارات مضمونها : انكم تشترطون علينا من الآن بأشياء كثيرة جدا هر مكاسب لإسرائيل نتيجة احتلال الأراضي ، ونتيجة التصميمات التى دافعت بها إسرائيل عن وجودها . .

ثم تساءل ديان : ماهو الثمن الذى سنأخذه مقابل التنازل عن كل ذلك والاستجابة لشروطكم فى إقرار السلام ؟

وعندئذ تركنا الملك الحسن الثانى وغادر المكان ، لأن اللهجة والأسلوب الذى تحدث به ديان لايليق أصلاً فى أى نوع من المفاوضات وعذره أمامنا فى ذلك أنه كان منفعلا جدا وذلك بسبب مواجهة لانتقادات حزبة وحزب بيجين قبل حضوره لهذا الاجتماع .

وعندما تركه الملك الحسن زاد من رفع صوته ، فتركته فى مكانه باهمال، وجلست على كنبة فى آخر الصالون على بعد حوالى عشرة أمتار منه. ووضعت ساقا على ساق والتفت إلى الناحية الأخري. وظل يتحدث على هذا المنوال وبصوت عال.

عندئذ دخل اثنان من حراسه حاملي الطبنجات إلى الصالون، خوفا من أن تكون هذه المشادة توطئه لمواجهة، وهم كما قال مكلفون بمرافقته طالما هو معي. وظل ديان يتكلم بنفس اللهجة وهم موجودون بالصالون، ولم أعيره أى أهتمام لاهو ولا حراسه.

وعندما انتهى من الزعيق طلب منى أن أرد عليه!... فقلت له:

– كل هذا الكلام ليس ذا موضوع. أنا عندى لك سؤالاً واحداً ياموشي: هل نفذت ماقلته لك فى الاجتماع الماضي. وأنا لاتهمنى وجهة نظرك إطلاقا الآن ولا حديثك هذا. لقد طلبت منك مع قائمة الموضوعات أن تأتينى برد واضح من رئيسك بيجين بكلمة نعم أو لا على الموافقة الشاملة لكل ماقلته لك. فأستأذنى أن يأتى ليجلس بجوارى ويتحدث! فسمحت له بالحضور. وأدرت وجهى عنه. وعندما جلس قلت له: اجبنى بـ «نعم.. أو لا..».

فقال: نعم!

فسكت ولم أرد.

فقال للمرة الثانية: نعم! بيجين وافق فقلت له:

– الآن أنظر إليك. وأقول لك أن كلمة «نعم» بداية مرحلة جديدة تماما.

فعاد وقال بصوت عال:

– لكن كل هذه التراجعات والتنازلات والخسارة التى تتركها إسرائيل بعد نتائج الحرب السابقة.. ما ثمنها؟ ماثمن كل هذه التنازلات التى تقربها من الآن وقبل أن نرى شيئا ملموسا فى تطور العلاقات؟

فقلت له جملة ختامية:

– ياموشى مقابل السلام.. السلام الذى تنشدونه وتتمنون أن تعيشوه وتحت ظله يوما واحدا فى حياتكم!

والآن بعد نعم يمكن أن نتكلم فى المستقبل عن السلام.

وانتهى اللقاء عند هذا الحد.

وحضر الملك الحسن عندما هدأت الصالة وسلم على ديان. وعانقه. وطيب خاصره باعتباره ضيفا عليه. ورحل ديان بعد هذا اللقاء عائدا إلى إسرائيل.

وقبل أن ينتهى اللقاء طرح ديان عليّ سؤالا.. واقترح اقتراحا.. فقال:

– كيف نستمر فى هذا التفاهم؟ وهل يمكن لبيجين أن يحضر إلى القاهرة ليستأنف مع السادات مباشرة الحديث عن السلام والتمهيد له. ولعلنا نفكر فى أن يتبادل الرئيسان الزيارات أو اللقاءات مرة فى مصر ومرة فى إسرائيل، أو فى أى مكان ترونه صالحا لهذا اللقاء ولو ان فى جزيرة كريت حيث أمضيت الهدنة الأولى فى حرب ١٩٤٨ بين مصر وإسرائيل.

فقلت له:

ياموسي.. قل لرئيسك كل هذا الكلام لايخطر على بالنا، ونحن الذين سنقرر الخطوة التالية ونبلغكم بها..

وانتهى اللقاء.. وسافر ديان

وبعد أن انفردت بالملك الحسن، كان قانعا بأن هذه اللقاءات أثبتت النوايا، وكانت مهمة لاستطلاع الآراء، وقد فهم كل طرف موقفه... وعند تحيتى للملك الحسن فى نهاية مقابلتى قال: أرجو أن تبلغ تحياتى للرئيس السادات متمنيا له التوفيق.

فى منزل الجيزة..

اقتنع السادات برحلة القدس.

عدت إلى القاهرة. وعرضت على السادات خلاصة مادار فى جميع اللقاءات، وأهمها مقولة بيجين لشروط السلام: «نعم.. نقبل هذه المبادئ»

وبعد أن فكر أنور السادات قليلا فى هذه النتيجة، سألني:

– مارأيك ياحسن فى الخطوه التاليه؟

فأجبته:

– الخطوة التالية واضحة فى ذهني. ولكنى أريدك أنت أن تفكر وتأخذ وقتك فى تقليب الأمور بهدوء قبل أن أعرض عليك رأيي الذى أعرفه فى داخل نفسى ومقتنع به.

فاقترح السادات أن نجتمع مرة أخرى بعد شهر ليأخذ وقته فى التفكير بما يراه ملائما لعقليته وأسلوبه فى العمل.

وتقابلنا بعد شهر فى منزله بالجيزة...

وسألته:

– انت شايف إيه ياريس بالنسبة للخطوة التالية؟

فقال السادات :

– والله ياحسن ما أخبّيش عليك، أنا شايف إنى أجتمع مع بيجين فى لقاء سرى على الأرض المصرية عند حدود رفح.. ونشوف ح نتكلم فى إيه..

فقلت :

– ياريس أنور تبقى مصيبة.. «بقي انت رئيس أكبر دولة عربية تتقابل فى لقاء سرى من أكبر قائد عصابات إسرائيلى بمن معكم من مرافقين وأفراد ويبقى هذا اللقاء سري؟! أنك بذلك تتصور موضوعية السرية، وأنت لاتدرى أنه عندما يريد أن يحطمك بيجين فى لحظة أن يسرب هذا النبأ.. ولامصر.. ولا أنت.. يمكن أن تتحملوا هذه الفضيحة التى سيتعمدها الإسرائيليون أمام العالم العربى والإسلامى وأمام شعب مصر نفسه.

انت ياريس أنور قبل أن تفكر بوضعك الشخصي، يجب أن تفكر بأنك رئيس مصر.. ومصر أكبر من هذا بكثير.. ياريس هذا التفكير لايصلح وإياك أن تقبل عليه أو تفكر فيه.

فسكت السادات.

وسكت أنا أيضا، حتى يهضم ماقلته ويستعد لاستقبال الرأى المقبول الذى سأقوله وسألنى السادات بعد السكوت:

– انت شايف إيه طيب؟

عندئذ قلت له.

– القدس ياريس .. القدس..

فقال لى مستغربا :

– ماذا تقصد ؟!

فقلت له:

– ياريس أنت لاتجتمع سرا مع أحد ولاتتكلم من خلف الستار. نحن ننزل إلى القدس، وهى أرضنا، ومقدساتنا، ومحور العملية كلها. ونتحدث إليهم (اليهود) وإلى العالم كله، لإقرار هذا الحق، والمطالبة بالجلاء وإخلاء الأرض ، وإنهاء العدوان مقابل أن يعيش اليهود فى سلام نتفق على أسسه فى ختام مراحل العدوان والحروب.

إن اليهود بطبيعتهم لايريدون أن يموتوا. وسوف نجد لهذا النداء العلنى المباشر أصداء واسعة بلا حدود فى العالم، وعند اليهود قبل أن يكون عند العرب، كاجراء يوضح جدية السعى إلى استخلاص الأرض والمقدسات مقابل إقرار مبدأ السلام، وأنا قلت لك أن كل مانتج عن لقاءات ديان قد أقر بها الليكود على لسان رئيسه. وهذا هو الاستثمار الحقيقى لمعركة رمضان وأن أول من يرحب بذلك هى أمريكا، السند الحقيقى لإسرائيل، والتى لن تحارب إسرائيل أو تسالم بدون موافقتها، ويتبقى لنا بعد ذلك أسلوب وجدية التفاوض المجدى للاسترسال أو استمرار العمل بمبدأ السلام بشروطه غير السهلة، والتى ستتوقف

إلى حد كبير على قوة الحجة بجميع الأساليب ، دولية، وقانونية، وتاريخية، وقرارات الأمم المتحدة، وقرارات الجامعة العربية، والمؤتمر الإسلامي. وسوف نرى النتيجة بمجرد النزول إلى القدس، لإنها خطوة ليست لها سابقة، ولن يقف أمامها أحد.. وبلا مساومة، ولا تسويف. وسوف تكون هذه الخطوة - النزول إلى القدس - والحديث إلى العالم كله، وإعلان الحقوق الثابتة لنا، خطوه تحول شامل فى سياسات المنطقة، وحتى عند القوى العالمية.

- ياريس.. الخطوة تحتاج إلى قناعة.. وجرأة.

- ياريس.. سأحدثك عن المنطلق الروحى فى هذه العملية، لتعلم وتثق أنك على هدى وتسير فى المسار الصحيح. وسأحتكم فى ذلك إلى القرآن الكريم. إن الله تعالى قد سرد علينا قصة بنى إسرائيل كاملة من البداية حتى النهاية. ونحن الآن فى المرحلة الوسط، إذ أنهم بعد أن دخلوا القدس عنوة، واستولوا على مالا يحق لهم فى افسادهم الثانى هذا على الأرض فأمامهم الخيار فى قول الله سبحانه وتعالى لهم.. ويتنبأ به : «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها».

- ياريس أنور.. إذن لابد أن يتوجة اليهم أحد من هذه الأمة ويخطرهم علنا بذلك. إن «أحسنتم التصرف مع أصحاب الأرض التاريخيين، وأعدتم الحقوق إلى أصحابها فيمكن أن تعيشوا بسلام. فاحسانكم التصرف هذا عائد عليكم أصلا، وإن أسأتم فأنتم تسيئون إلى أنفسكم أصلا، فالخيار فى أيديكم لأنكم لن تعجزونا فى الأرض.

- ياريس أنور.. إن الآية التى تلى ذلك تثبت أنهم لن يحسنو التصرف، لآن الآية تقول : فإذا جاء وعد الآخرة ليسيئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة - أى المؤمنين - وليتبروا ماعلوا تتبيرا - أى يهدم المؤمنون كل بنيانكم الذى يعلو فوق هذه الزرض تدميرا. وهذه مرحلة لاتخفينا، ولكنها باقية.. وقدرية. وفى وقت لاحق.

نحن الآن فى المرحلة الوسطية ولابد أن يبلغهم ذلك شخص مافى هذه الأمة.

ولتكن هذا أمانتك ياريس أنور.

ولطالما الأمر كذلك. فتوقع التأييد. لأن هذا هو مراد الله تعالي. وقد جاء وقته. فاحزم أمرك. وتوكل على الله. إنها أمانة تنفرد بها الآن، كما انفرد صلاح الدين فى إعادة القدس من أيدى الصلبيين، مع هذا الفارق الكبير فى الزمن وفى الأسلوب.

ويقول التهامى مستطردا :

- ولم أكد أنتهى من هذا الحديث حتى كان الرئيس السادات قد انتابته نوبة شديدة وبادية من العرق المتصبب. وأغلقنا النوافذ لاحساسه بالبرودة وبعد وقت قصير تركته

ليستوعب ويسترجع مع نفسه مادر بيننا .

وقال لى السادات بالنص وبالحرف :

- لم يكن يخطر هذا على بالى أبداً . ولكنى اقتنعت الآن . وأرجو أن يبقى هذا الموضوع سرا بينى وبينك ولا يخرج لأحد . وسوف أفكر جديا فى الوصول إلى ذلك العمل .

وأول شئ فعله السادات بعد ذلك أنه قام بإبلاغ كارتر وكان البلاغ مفاجأة . ولقى الإبلاغ عند الرئيس الأمريكى ترحيبا لانظير له .

بعد ذك أدعى الرئيس السادات فى مدى الشهر التالى أنه سافر إلى رومانيا ليقابل شاوشيسكو . . وشاوشيسكو حسبما كنت أعرفه عنه جيدا ، هو أذن واعيه ولاقطة لبيسجين ، وأنه - أى السادات - قد طار بطائرته من شاوشيسكو إلى شاه إيران فى طهران . . وأنه عبر هضاب جبال القوقاز والاناضول ومعه فكرة يقلب فيها . . وأعلن فى اجتماع مجلس الشعب من المنصة أنه يسعى من وراء ذلك إلى انهاء الحرب وإراقة الدماء وقتل ابنائنا . وسوف يسعى فى ذلك ولو كان هذا المطلب - كما قال وقتها - عند القطب الشمالي .

وكنت حاضرا هذه الجلسة . ونظر إلى أثناء اعلانه هذا الكلام . فابتسمت ! . . ابتسمت على هذه التمثيلية التى لم يكن لها أساس على الإطلاق . . وأن الفكرة لم تنبع لا عن شاوشيسكو ولا عن الشاه . ولكنه بعقليته أراد أن يرسم صورة أمام الرأى العام أن فكرة السلام جاءته عبر القارات وفوق الجبال التى طار فوقها بالطائرة كما قال . وكأنه هو صاحب الفكرة ومنفذها . . . وقلت فى نفسى مبتسما :

فليكن مايكون ، فهذه طريقته ، وهذا أسلوبه فى الحياة ، واستمرت اجراءات التحضير لمبادرة القدس التاريخية . . . لابمعرفة شاوشيسكو ولا شاه إيران ، ولكن بمعرفة كارتر أمريكا مباشرة . .

١٨

السادات في القدس

«يأتيكم فرعون مصر وأنتم علي أرض اورشليم يعرض عليكم السلام فاقبلوه»

كان الشك على الجانبين والأعصاب متوترة والسادات واثقا من نفسه حاول مجهول الاعتداء على السادات وحاول ليفى ارهابه.

قرأوا فى الكنيست آية فى التوراة: إذا جاءكم فرعون مصر بالسلام فاقبلوه..

يستكمل السيد حسن التهامى حديثه عن رحلة الرئيس الراحل أنور السادات إلى القدس فيقول:

- عندما استقر الرأى على التوجه إلى القدس أدار السادات كل اتصالاته إلى أمريكا وفوجئ الرئيس الأمريكى كارتر بالفكرة. واستحسنها جدا، ولم يتصور أن يتطور الفكر المصرى والعربى بالتالى إلى هذا القدر من الشجاعة، وتمت الترتيبات، وسافرت البعثة الدبلوماسية البروتوكولية من مصر إلى فلسطين لأول مرة، واتخذت جميع الترتيبات والتوقيتات للسفر والوصول وعقد اللقاءات. واختار السادات يوم عيد الأضحى المبارك ليكون يوم زيارته للقدس، والصلاة فى المسجد الأقصى صباحا، والخطاب فى الكنيست بعد الظهر فى نفس اليوم، وكل ماتبع ذلك من لقاءات وأحاديث ومواجهات..

وسافر السادات قبل مغرب اليوم السابق من الإسماعيلية. ووصلنا بالطائرة إل مطار اللد (بن جوريون) وهبطت الطائرة والأضواء الشديدة مسلطة عليها. وصعد مدير المراسم برئاسة الدولة إلى الطائرة، ليصطحب السادات إلى أرض المطار، حيث احتشد أمام الطائرة أكثر من مائتى شخصية إسرائيلية فى صفوف لتصافح السادات بعد استقباله على سلم الطائرة، بمعرفة رئيس إسرائيل ورئيس حكومتها بيجين..

وكان الشك فى كلا الجانبين. والأعصاب متوترة. ولاحظت على الرئيس السادات ونحن نغادر مقاعدنا بالطائرة من أجل النزول بعض الوجوم. فأسررت فى أذنه: «منصورون وموفقون إن شاء الله»...

كان الإسرائيليون كما قال عزرا وايزمان فى الجانب الآخر، متوجسين خيفة أن ينزل من الطائرة مجموعة من رجال الصاعقة الفدائيين ليحصدوا شخصيات إسرائيل كلها وهى مجتمعة فى المطار... معذورون لأنهم أهل غدر وخديعة، ولا يتصورون سلامة نية من أمامهم - مساكين!..

ونزل السادات واستقبل استقبالا حارا، كأنهم لا يصدقون أن رئيس أكبر دولة عربية قد جاء عندهم فعلا، ليتحدث عن انهاء الحرب ويبدأ السلام..

وتحرك السادات فى اتجاه الصف الأول من المستقبلين، وكانت جولدا مائير وريثة بن جوريون، وزعيمة حزب العمل، الذى كان فى المعارضة لأول مرة فى تاريخ إسرائيل الآن.. فإذا بها تقول وبأعلى صوت وتسمع الجميع: «هالو.. أنور»! وأقبلت تسلم على الرئيس السادات بحرارة غير عادية، حرارة من يعرفون بعضهم البعُض.. ومن زمن بعيد!..

وسألت عن سر ذلك اللقاء بهذه الصورة بعد أن عدت إلى مصر، فعرفت شيئا يمكننى أن أذكرة فيما بعد، وأكتفى بالقول بأن هذا اللقاء، لم يكن الأول من نوعه..

واستمرت مراسم الاستقبال. ولم أتحرك مع السادات. فقد كان المستقبلون كثيرين جدا. وصافحهم السادات جميعا، بعد أن انشرحت صدور المستقبلين بكلمة جولدا مائير واقبالها عليه..

وتوجهت إلى السيارة المخصصة لي، وكان المكلف بالتحرك معى هو «ايجال يادين»، نائب رئيس الوزراء وهو نفسه رئيس أركان القوات اليهودية فى فلسطين عام ١٩٤٨. والذى أعرف عند نقطة فى تاريخ عبد الناصر، تؤكد صلاتهما الوثيقة قبل الثورة ومنذ حرب فلسطين، وقبلها..

وجاءنى فى السيارة وزير داخلية إسرائيل «بورج»، وهو نفسه رئيس المجموعة الدينية والحزب الدينى فى الكنيست الإسرائيلي. وكان وقتها فى منصبه هذا لمدة ٢٥ عاما على التوالي. أى فى جميع حكومات بن جوريون وخلفائه، حتى مع الليكود الآن..

عرفنى بورج بنفسه، وهو يعرفنى بلاشك وسألنى سؤالا: هل من الممكن أن تخلع نظارتك هذه؟ فقلت له: إنها نظارة نظر.. ثم لماذا؟ واردفت .. لاداعى لخلعها. فقال: لأنى أريد أن أسألك سؤالا، وانظر فى عينيك وأنت تجيبنى عليه، لاعرف ان كنت صادقا أم لا! ثم قال: على أى حال، الصباح الباكر.. فقلت لا مانع.. اسأل.. فقال: وأجبنى بصراحة، هل أنتم تقصدون السلام فعلا، أم أن هذه خدعة؟! فأجبته: وهل تستحق الخدعة كل هذا المجهود؟ ثم هل تظن أنها خدعة؟ أنك سترى مما نقوله ونفعله ردنا على هذا السؤال عمليا. نحن لانريد خدعة. ولقد أخذنا هذه الخطوة بالمبادرة لنضع السلام موضع التفكير الجدى والتنفيذ، إذا التقيتم معنا هنا فيما سوف نقول. فقال: إننا نتمنى أن يكون ذلك صادقا..

وفى صباح اليوم التالى توجهنا حسب البرنامج إلى صلاة عيد الأضحى المبارك فى

المسجد الأقصي. وصلينا والحمد لله. وكان آخر عهدى بالمسجد الأقصى بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ هو عام ١٩٥٧، عندما تمت الوحدة الرباعية بيننا وبين الأردن وسوريا والسعودية.

كان اجتماع أهل الأرض وأصحابها الفلسطينيين بنا فى الصلاة مملوءا بالأمل فى أن هذه الزيارة سينتج عنها حل مشكلاتهم جميعا. كما قالوا: لم يزرنا أحد من العالم العربى مطلقا على هذا المستوى ولا غيره منذ ١٩٦٧.

وجاء كثيرون رجالا ونساء يحاولون الشكوى إلى السادات ويطلبون منه السعى للإفراج عن المسجونين والمعتقلين منهم رجالا ونساء، ويدعون لنا بالنصر..

وقام شيخ المسجد الأقصى (الشيخ عكرمة) بإلقاء خطبة العيد. وكانت خطبة مليئة بالشعور الإسلامي الفياض، والمطالبة باستخلاصها من أيدى الاحتلال. وضرب مثلا بعمر بن الخطاب، محرر القدس، ومخلص الكنيسة المسيحية كذلك. وذكر تسليم الأنبا البطريرك سفر وينوس مفتاح الكنيسة المسيحية إلى عمر لحمايتها. وكذلك صلاة الخليفة عمر رضى الله عنه خارج باب الكنيسة عندما حان وقت الصلاة فلما دعوه للصلاة فى الكنيسة قال: أخاف أن تكون هذه الصلاة ذريعة لمن بعدى لضم الكنيسة إلى المسلمين حماة القدس وهنا كتب العهدة العمرية فى أمان القدس، معابدها وأماكنها المقدسة وأشخاصها، وفيها حرّم القدس على اليهود.. ثم قرأ نص العهدة العمرية كأنه يستبشر بهذه الخطوة المشابهة لفتح القُدس وحمايتها من قديم الزمان. وكانت هذه الروح الفياضة تجاوب تماما مع أصداء التاريخ الذى نعيشة بفكرنا، وهو فى ذات الوقت أحد مقاصدنا الرئيسية فى مبادرة القدس. فبدون عودة القدس لاتحل مشكلة فلسطين.

نحن كنا نفهم ذلك. وكانوا هم يفهمون ذلك أيضا. لكن كلا من الجانبين كان يلعب بأوراقه.

خرجنا من الصلاة إلى قبة الصخرة، وصلينا بها فى مصلى الأنبياء. وتوجهنا إلى زيارة كنيسة القيامة من ميدان الصخرة والمسجد واستقبل السادات استقبالاً طيبا منها.

وأثناء عودتنا من الكنيسة إلى صحن أرضية المسجد والقبة متوجهين إلى السيارات للعودة إلى الفندق حدث الآتي:

كنا نسير على الأقدام فى الطريق الموصل إلى أرض قبة الصخرة. وكان الأمن الإسرائيلى قد وضع على المدخل حواجز حديدية لمنع تدفق الناس إلى هذه المنطقة. وحبسوا الناس جميعا خلفها. وفتحوا للرئيس السادات ولشخص واحد معه فتحة بسيطة فى هذا الجدار البشرى من الأمن الإسرائيلي. وشققت طريقى من بينهم بصعوبة. وتابعت

السير خلف السادات بحوالى عشرة أمتار. وكان السادات يسرع الخطوة بشكل ملحوظ. فأسرعت الخطى خلفه.. ولم يمر من هذا الحاجز أحد بعدنا، إلى أن فوجئت بشخصين يمران عن يسارى متجهين إلى ظهر السادات، وفى وسط هذا العمق الفسيح الخالى من أى أحد. وعرفت وجه أحدهما، وهو شخصية فلسطينية معروفة جدا فى القدس، ومعه فلسطينى آخر قوى البنية، يشبه المصارعين، أو لاعبى الكاراتية أو رباعا.. ولاحظت أنهما يسرعان الخطى بشكل غير عادى خلف السادات، فأسرعت بالتالى الخطوات. وكان ظنى فى البداية أنهم يريدون تحية السادات. ومع كل فقد أسرعت بحيث صرت خلفهما مباشرة. وإذا بى أجد ما شككت فيه: لقد مد هذا الفلسطينى المجهول لى يده اليمني، ووضع إصبعين من يده اليمنى بين ياقة القميص ورقبة السادات. وعلى وشك أن يسحبه إلى الخلف. فضربته فجأة على يده اليمنى ضربة شديدة. فنظر إلى بسرعة المفاجأة. ونظر إليه السادات فى نفس اللحظة، مستغربا من هاتين الإصبعين اللتان دخلتا بين ياقة القميص ورقبته. ودفعت بهذا الفلسطينى جانبا بيدي، فأخلى أصابعه من قميص السادات، ونظرت إلى الشخصية الفلسطينية، المعروفة، التى أعرفها وتعرفني، وكأنه لم يكن قد تعرف على فى البداية. وبعد أن جذبت هذا الفلسطينى إلى الخلف. ودفعته إلى اليسار، أومأت برأسى لهذه الشخصية أن يتنحى عن الطريق. فجذبه - الذى أعرفه - من يده وانحرف به، واختفى من الميدان.

لايمكن فى تقديرى أن يكون هذا الذى حدث إلا محاولة للاعتداء على السادات، ليس بالقتل بالرصاص أو بالخنجر..وإنما إصابته وتعجيزه عن الاستمرار فى مبادرته، وعلى يد فلسطيني! وفى هذه الساحة التى كانت خاوية، وخلف المسجد الأقصي! وكان قد بقى على توجه السادات لإلقاء خطابه فى الكنيست أقل من خمس ساعات. ولم يكن فى الإمكان أن يجرى هذا، وبهذا الترتيب إلا بمعرفة الأمن الإسرائيلى الذى سمح لهما وحدهما بالدخول وأى من التنظيمات الفلسطينية العاملة على أرض فلسطين والقدس.

نعم إن هذه الشخصية الفلسطينية التى أعرفها سأكشف عنها إن شاء الله.. وبالصورة المعبرة عن الموقف.

ووصل الوفد المصرى إلى الفندق، ولم يدر أحد ما كان مبيتا للسادات إلا أصحاب المؤامرة التى فشلت.

وجاءنى فى الفندق عمدة القدس اليهودى (تيرى كوليك) النمساوى الأصل ليتعرف علي، ويسألنى عن كيفية التفاهم فى اعمار المسجد الأقصى الذى أحرق عام ١٩٦٩ على يد اليهود. ومازالت القبلة ومكان المبنى الذى أحرق وكل واجهة المسجد من ناحية القبلة

مخربا.
وكانت أحد مطالب إخواننا الفلسطينيين أثناء الصلاة هو إعادة إعمار المسجد، وتصنيع منبر آخر غير منبر صلاح الدين التاريخى الذى أحرقته اليد اليهودية. وأثناء الحديث معه فى شرفة الفندق فى الهواء الطلق..
وكان الأخ عثمان أحمد عثمان حاضرا هذا اللقاء، جاء وزير العمل اليهودي، ديفيد ليفي، وهو الآن وزير الخارجية فى حكومة الليكود أيضا يطلب الحديث معى فحدثته منفردين وقال عن نفسه: أنا فلان عضو الحكومة المركزية لحزب الليكود (والمركزية هى مجموعة الوزراء الصقور فى قلب حكومة بيجين)، وعندى رسالة من رئيس الحكومة مناحم بيجين، لأبلغها للرئيس السادات عن طريقك، ثم قال الرسالة الآتية بالنص: (إن القدس أرضنا . وفلسطين وطننا. وإننا لا نريد السلام معكم ولا مع العرب. فأحزموا أمتعتكم وارحلوا عن بلادنا).
وصبرت عليه إلى أن أتم رسالته. وطلب إلى أن أصعد إلى الرئيس السادات، وأبلغه هذه الرسالة نقلا عن بيجين . فقلت فى نفسى إن هذا الرجل أرعن أو أهوج أو مجنون. ولم أرد عليه فترة. فأعاد الكلمة: (ارحلوا عن أرضنا، لا نريد السلام معكم). فقلت له بهدوء: إنك أبلغتنى رسالتك، وأنهيت مهمتك، فانصرف أنت. فسألنى مرة أخري: ماذا ستفعل بالرسالة؟ فقلت له: ده شغلى مش شغلك، تفضل وانصرف» .. فانصرف.
وكان بين هذه اللحظة، وموعد القاء الخطبة لا يتجاوز الساعة ونصف الساعة. والجميع حتى السادات - يتهيأ لارتداء ملابسه التى سيدخل بها الكنيست. وصعدت إلى السادات فى الدور الذى يسكن فيه لأطمئن عليه. فأطمأننت وانصرفت.
وذهبنا إلى الكنيست.
ودون أن تمر هذه الحادثة يجب أن أذكر أن القصد فى الصباح كان تعجيز السادات عن إكمال زيارة القدس. وكانت رسالة العصر هى إرباكه قبل أن يتحدث إلى الكنيست، ووضعه فى موضع نفسى لا يتفق مع ما سيقدم عليه.
ومرت الحادثتان بأمان، وتوجهنا للكنيست ودخل السادات «نافشا ريشه» ! يمشى بخطى من باب الكنيست إلى مقعده، كأنه امبراطور كان ممتلئا قوة ونشاطا وتحديا. لم يكن يدرى مطلقا ما كان مبيتا له طيلة النهار.
قدم رئيس الكنيست السادات إلى أعضاء الكنيست، وقال: لنستمع الآن إلى ما يقوله الرئيس السادات. وألقى السادات خطبته وهو مملوء بالقوة والعفوية والثقة. وطالب فيها بإنهاء الحروب وأن تكون آخرها حرب ١٩٧٣ .. ووصف اليهود لأول مرة بأنهم

الخصوم (وليسوا الأعداء) وطالبهم بالتفاوض ، حتى نصل إلى الحقوق لأصحابها ، وتحترم الديانات ، وصفق له الكنيست جميعا .

نعم كان اليهود فى فلسطين يتمنون يوم السلام ، وينتظرونه بفارغ الصبر ليعيشوه بعد الشتات والحروب وسفك الدماء . وكان من بينهم فى الواقع أحزاب وجماعات قامت وأنشئت على أساس السلام والتحول إلى النظرة السلمية والتعاون كل فى حدوده . وكان المترجم من اللغة العربية ، التى ألقى بها السادات خطابه إلى اللغة العبرية يترجم كلمة الخصوم (بالأعداء) وكان ذلك موضع انتقاد الجميع ، حيث أنه كان تعبيرا يستخدم لاول مرة فى تاريخ العلاقات .

وأكبر الجميع خطبة السادات التى أظهرت الجدية فى المبادرة على أسس واضحة وسليمة . بل إن بعض القادة العرب عندما استمعوا إلى الخطبة فى التليفزيون حيث تم البث عالميا ، باعتباره حدثا فريدا فى تاريخ المنطقة . والعالم ، وخطوة دبلوماسية غير مسبوقة فى التاريخ ، قد اقتنعوا بصحة موقف السادات الذى كانت الدعاية تشوهه وتهاجمه قبل إلقاء هذه الخطبة لتحاول منعه من استكمال مسيرته السياسية التى بدأها .

وكان المستمعون فى العالم كله ، كما وصفتهم أجهزة الإعلام فى ذلك الوقت أكثر من ٦٥٠ مليون مستمع .

وأدهشت هذه الخطوة والخطاب أوروبا والعالم وأشادت بجرأة السادات على اتخاذ هذه الخطوة التى قد تضع حلا لكل مشاكل الشرق الأوسط إذا تحققت .

وقبل أن يرد مناحيم بيجين رئيس الحكومة الإسرائيلى على السادات طلب رئيس الكنيست من رئيس المجموعة الدينية فى الكنيست أن يقرأ على الشعب اليهودى ماذا تقول التوراة فيما جاء به السادات ؟

وفتح رئيس المجموعة التوراة أمامه ، وقلّبها ، ثم قال : نعم التوراة تذكر ذلك ، فأنصتنا جميعا بأذن واعية للترجمة الفورية ، فإذا به يعلن :

نعم إن توراتنا تقول - وذكر السفر الذى أظنه سفر لوقا - وقرأ : (يأتيكم فرعون مصر . وأنتم على أرض أورشليم يعرض عليكم السلام ، فاقبلوه . . .) .

ثم أضاف يقول : (وإذا قبلتم تتحول السيوف إلى مناجل للحصاد) . . أى من الحرب إلى الرفاهية . . وسكت قليلا ، ثم قال مضيفا :

(وإياكم أن تعود المناجل إلى سيوف فإن فى ذلك نهايتكم) . . وهو بذلك يخاطب بنى إسرائيل . . . أهل التوراة .

وقلت فى نفسي : سبحان الله ، لقد تطابقت الكتب السماوية . وتأكد المعنى الذى ورد

فى سورة الإسراء والذى قلته قبل ذلك للسادات حيث يقول تعالى : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة ليسيئوا وجوههم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) فأفاضت السورة القرآنية المعنى التالى لهذا الموقف، وهو أنهم سيسيئون التصرف وسيتناحرون علينا فى المسجد الأقصي، وهذه زاوية الفصل بين عهد وعهد. فحمدت الله على هذا الوضوح، واستراحت نفسى جدا، وآمنت بأن كتب الله كلها من منبع نورانى واحد.

ثم وقف رئيس الحكومة بيجين وألقى كلمة مليئة بالغطرسة واستعرض العضلات السابقة، فنبه الناس بأن بنى إسرائيل لم يدخلوا هذه الأرض دخول الغرباء. ولكنها أرضهم. ودفعوا مقابل ذلك الكثير من الضحايا. وخاضوا المعارك المريرة. وأشاد بأعمال القتل وسفك الدماء التى جرت على أيدى جماعات الإرهاب اليهودية التى هو منها، والتضحيات التى بذلها الجيل الأول من اليهود، حتى استولوا على هذه الأرض واستعادوها.. ومن ذلك الكثير.

وكان رد الفعل تجاه كلمته هذه هو إعراض الناس عنه، بل وتأسفوا لنا بعد اللقاء مباشرة فى مساء نفس اليوم عن نقطتين بالذات هما: خطأ المترجم فى التفريق بين لفظى «الخصوم» و «الأعداء».. ثم خطاب بيجين وكلمات العجرفة التى فتحت صفحات القتل وسفك الدماء.

مشوار التهامى فى الصور

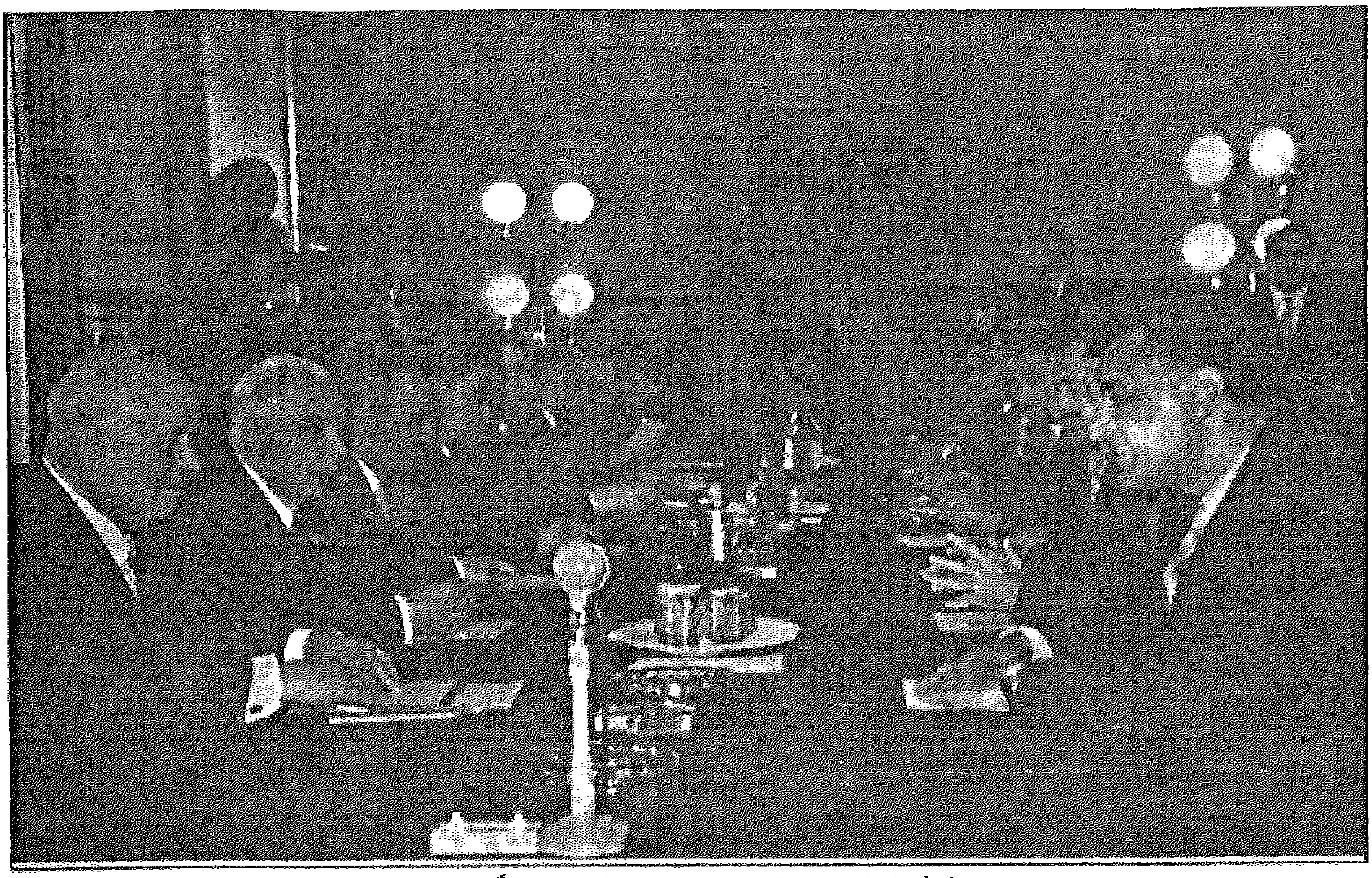

أول لقاء بين ناصر وخروشوف في الكرملين

عبد الناصر أثناء إستعراض الطيران الروسي بموسكو

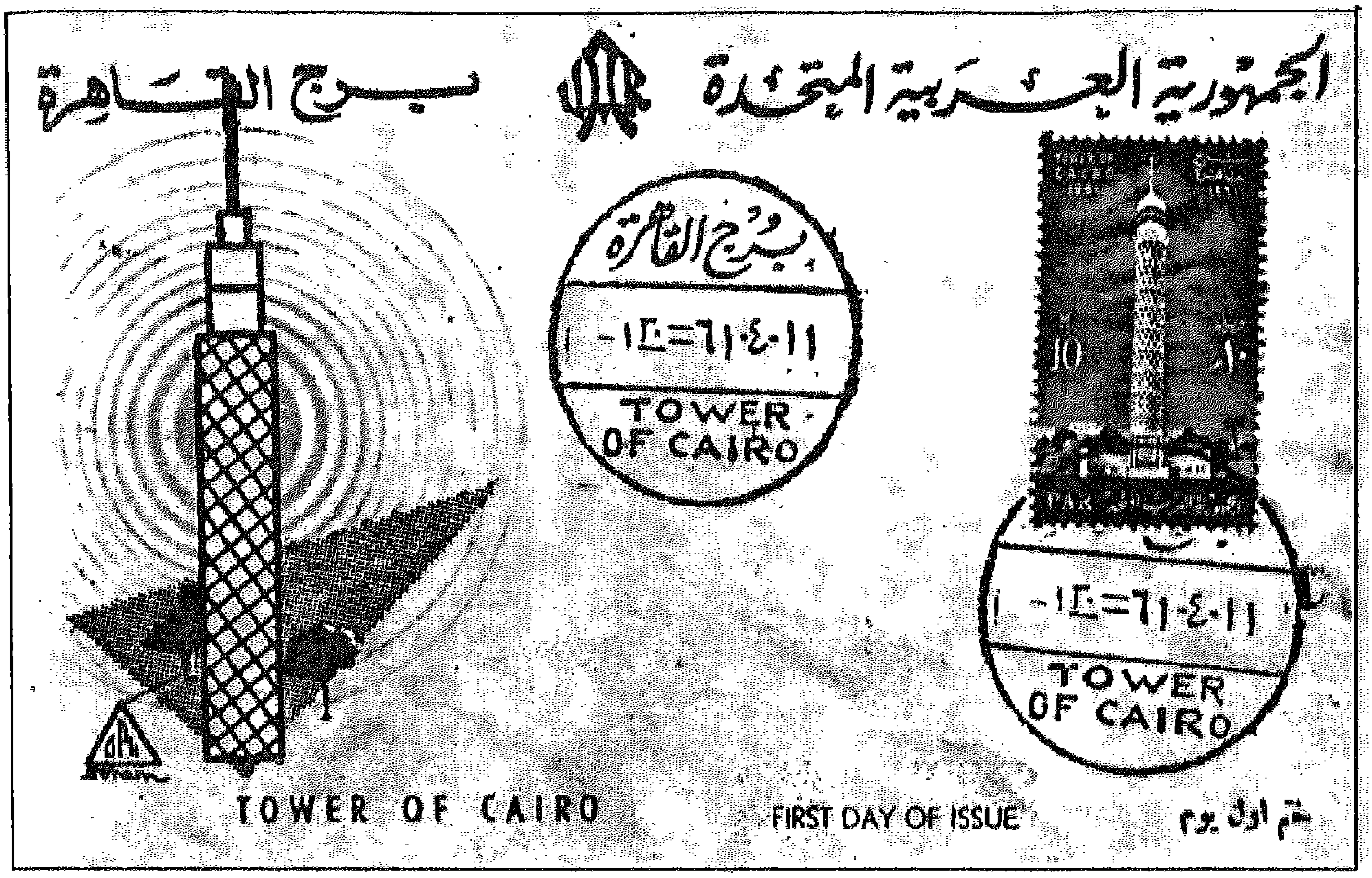

مظروف وطابع بريد تذكاريان بمناسبة إنشاء برج القاهرة

صانع ومفجر قنبلتي اليابان الذريتان (جيلين سيبورج) ومندوب أمريكا فى وكالة الطاقة الذرية

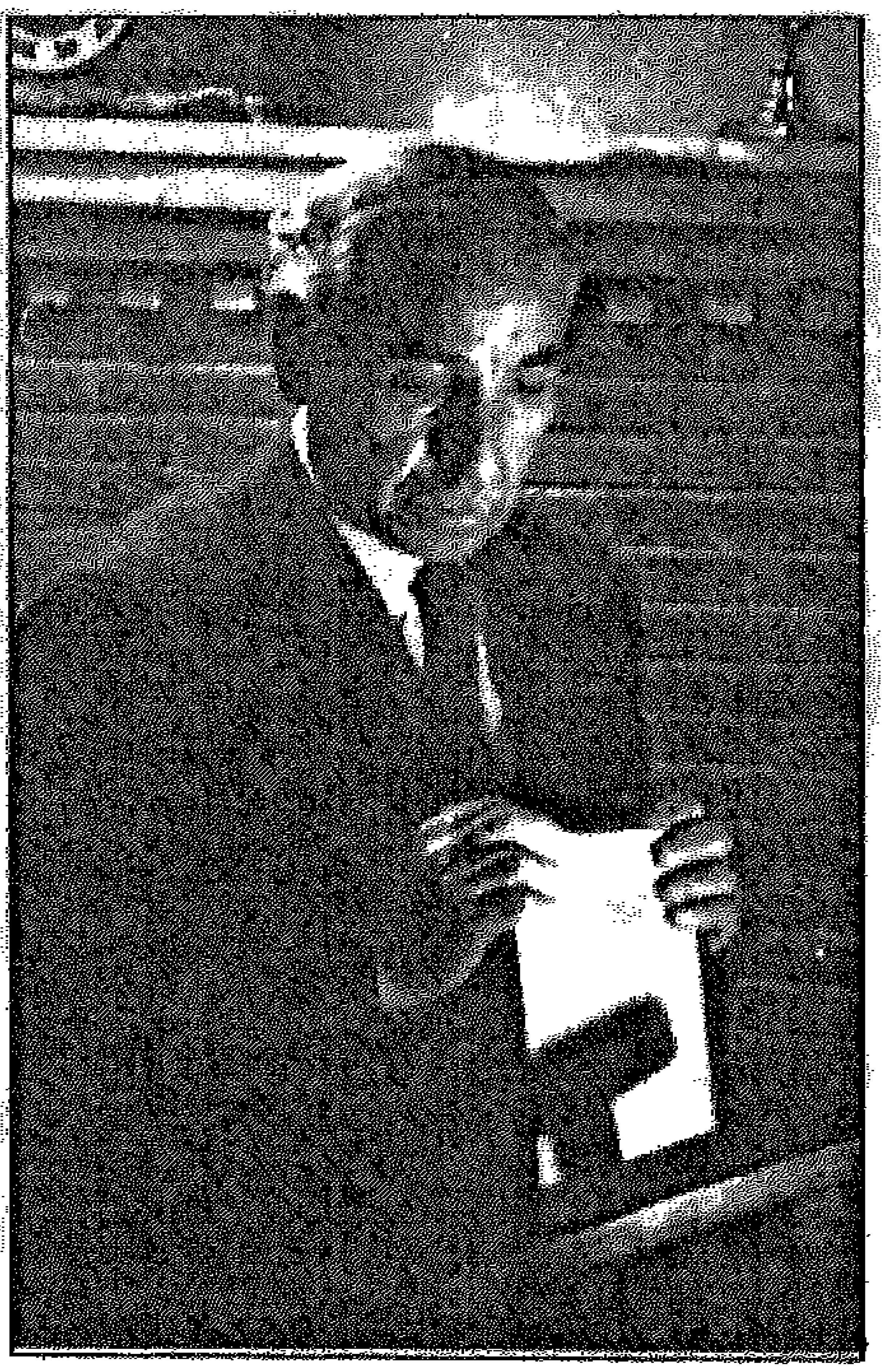

عزيز المصرى (أبو الثوار)

حسن التهامى والملك الحسن

الرئيس الأمريكى كارتر يعانق مناحم بيجين على عتبة البيت الأبيض

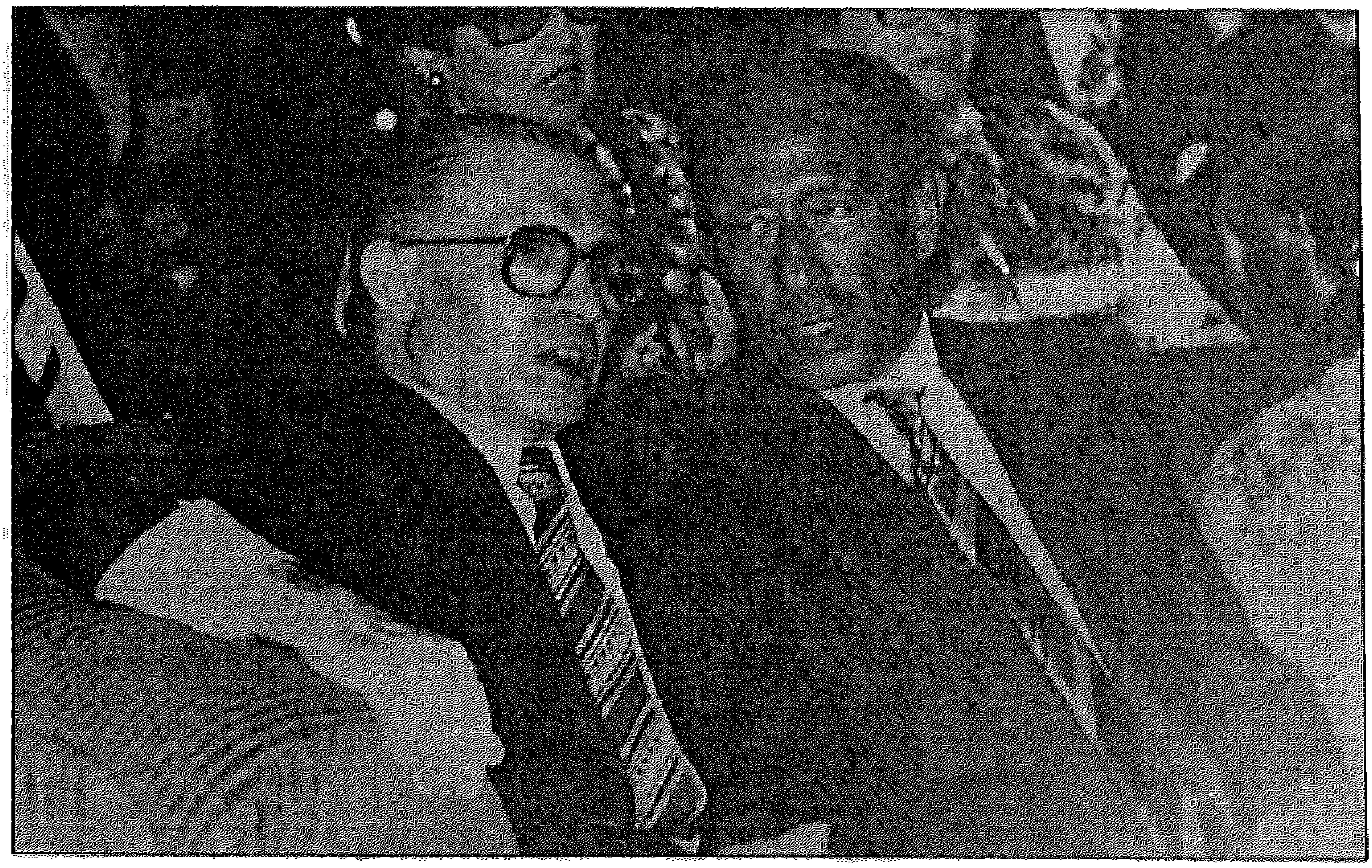

السادات وبيجين تعليق أو ملحوظة

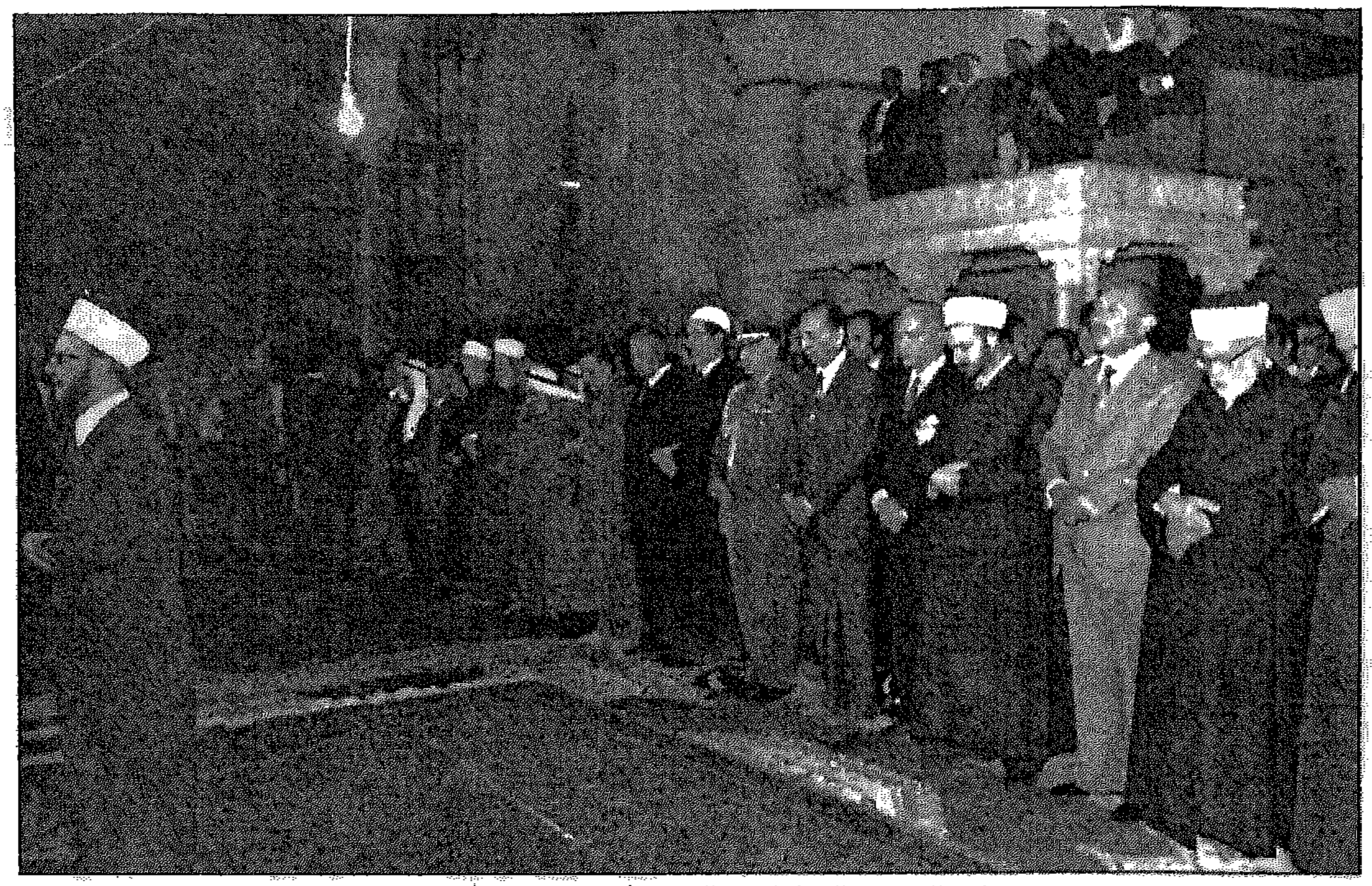
.. وصلى الرئيس السادات والوفد المرافق له فى المسجد الأقصى

أنيس منصور يستقبل موشيه ديان

السادات يصافح التهامي وبجوارهما السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية

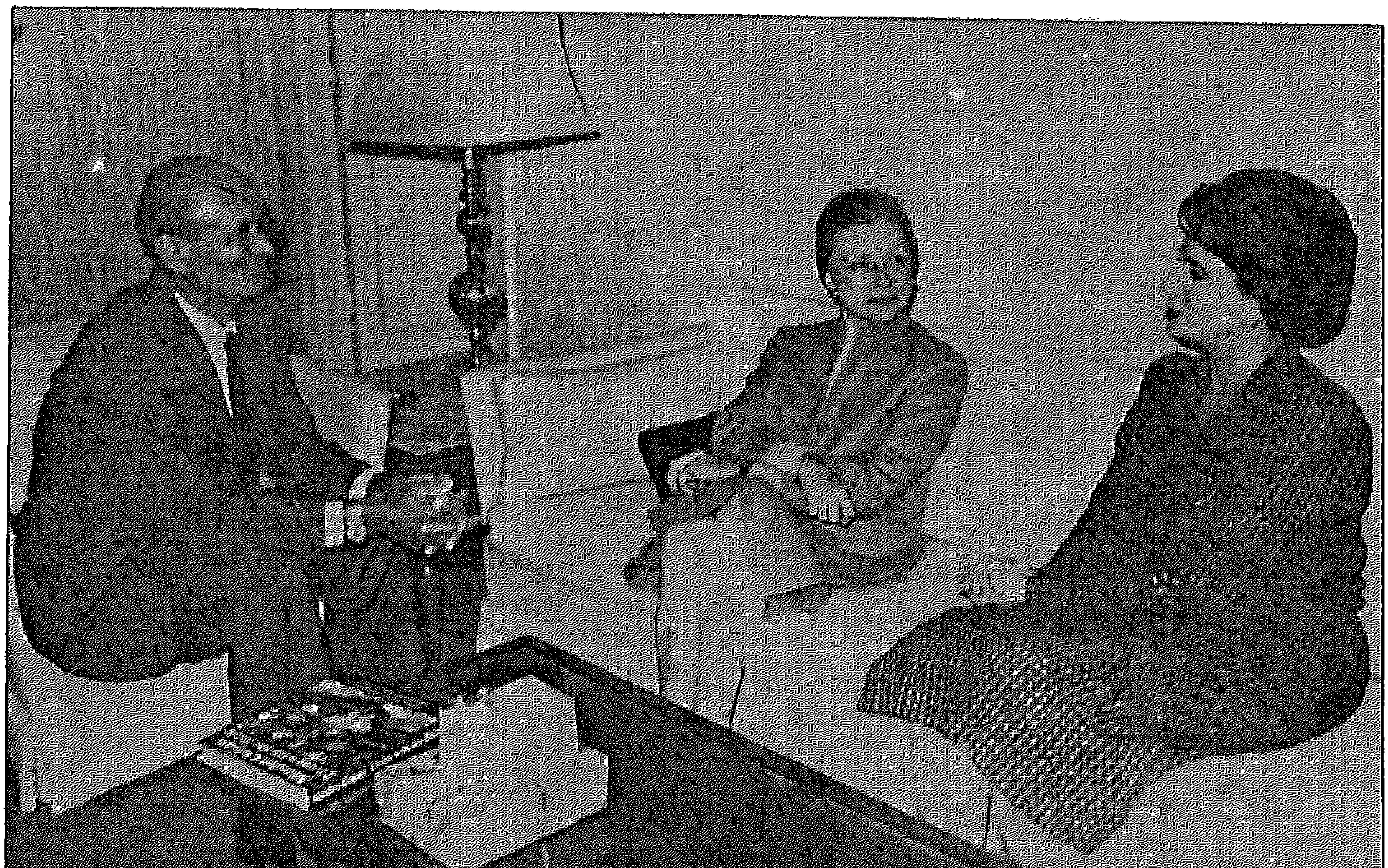
السيدة سوزان مبارك تستقبل موشيه ديان وعلى المائدة هدية نسخة من كتاب ديان

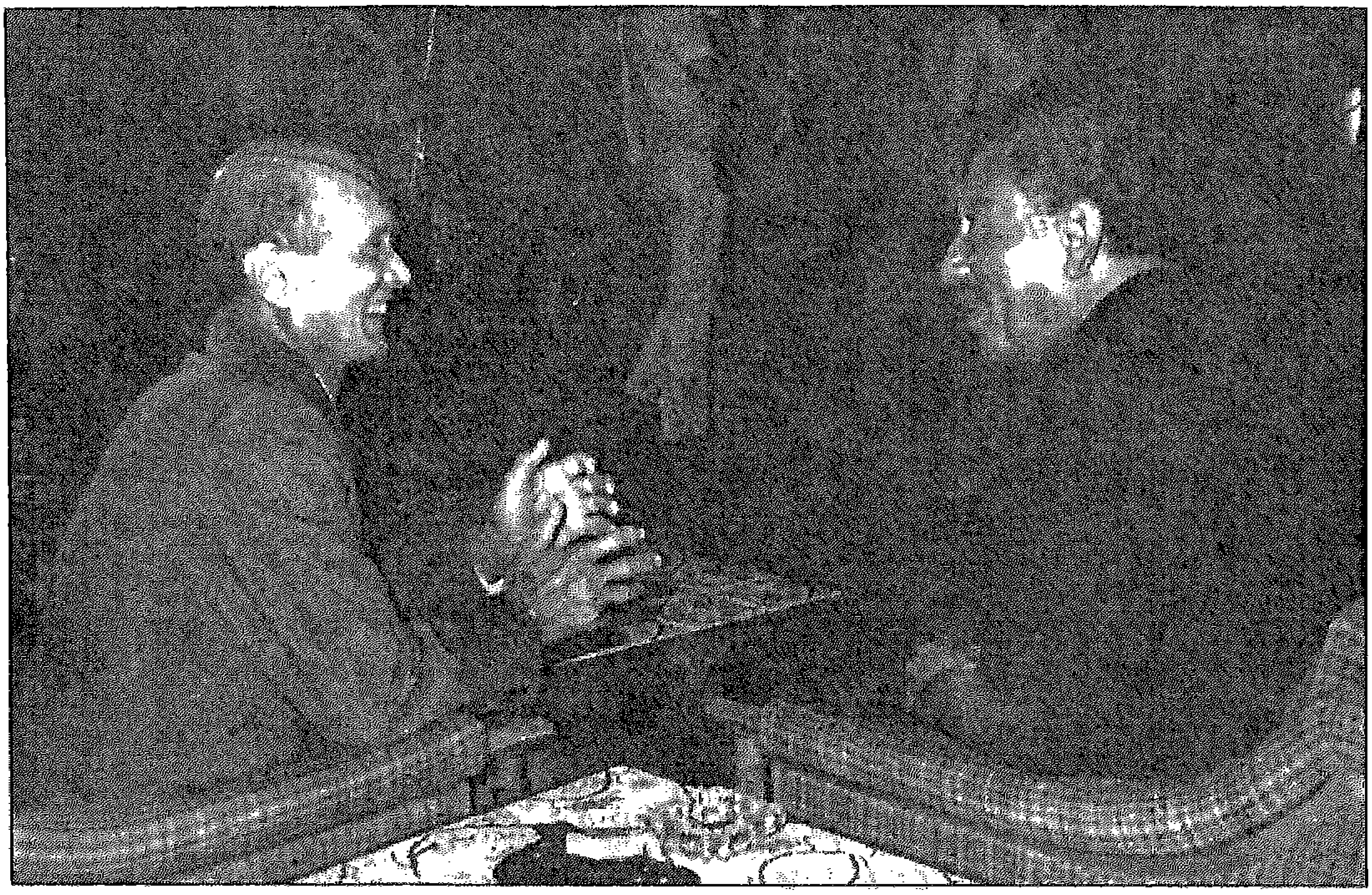

موشيه ديان يبتسم (إبتسامة يهودية) للرئيس السادات

الفهرس

- تقديم لابد منه..٥
- قبل ان نتذكر ٩
١- قهوه باللبن مع التهامى وشقة لحماية عبد الناصر............١٩
٢- التهامى يقلب الترابيزات فى وجه عبد الناصر ٢٧
٣- البرج برئ من دولارات الدعم الأمريكى لعبد الناصر.........٣٥
٤- عبد الناصر يوقف النشاط الذرى فى مصر.....................٤٣
٥- قطن مصرى مقابل سلاح روسى..................................٥١
٦- أمريكا تزف السلاح الروسى إلى مصر..........................٥٩
٧- عبد الناصر يهدم الوحدة الرباعية والشياطين الحمر تدخل الأردن..٦٥
٨- الأغراض الشخصية تحول الوحدة المصرية السورية إلى كبش فداء..٧٣
٩- عنب النكسة المر..٨٣
١٠- هذه هى السياسة ياحسن.......................................٩٣
١١- ليلة انتقال السلطة إلى السادات ١٠١
١٢- الإعلان الفشنك فى المعركة ١١٣
١٣- ديان : إذن أنت التهامى الذى قرأت عنه ١٢١
١٤- ديان يفشى سر لقائه مع التهامى.............................١٢٧
١٥- نغمة أمن إسرائيل نشاذ فى معزوفة المحادثات السرية ١٣٧
١٦- ٧ شروط من التهامى إلى بيجين عن طريق ديان ١٤٥
١٧- السادات فى القدس وأول محاولة لاغتياله...................١٤٩
١٨- السادات فى القدس «يأتيكم فرعون مصر وأنتم على أرض أورشليم يعرض عليكم السلام فاقبلوه»...........................١٥٧
- مشوار التهامى فى صور...١٦٥

إصدارات دار ديوان

(مصير مصر) الكتاب المُصادر بقلم : محمد نجيب

(شهود يهوه مملكة إسرائيل على الأرض) بقلم: عاطف عبد الغنى

(موسوعة التفصيل) الجزء الأول تأليف: سنية على الشرقاوى

(نتنياهو.. رجل حرب أم داعية سلام) بقلم: حسين سراج

(أحوال النساء فى مصر) بقلم: ماجد بدران

(أموال الكنيسة .. من يدفع و من يقبض) بقلم: القس إبراهيم عبد السيد

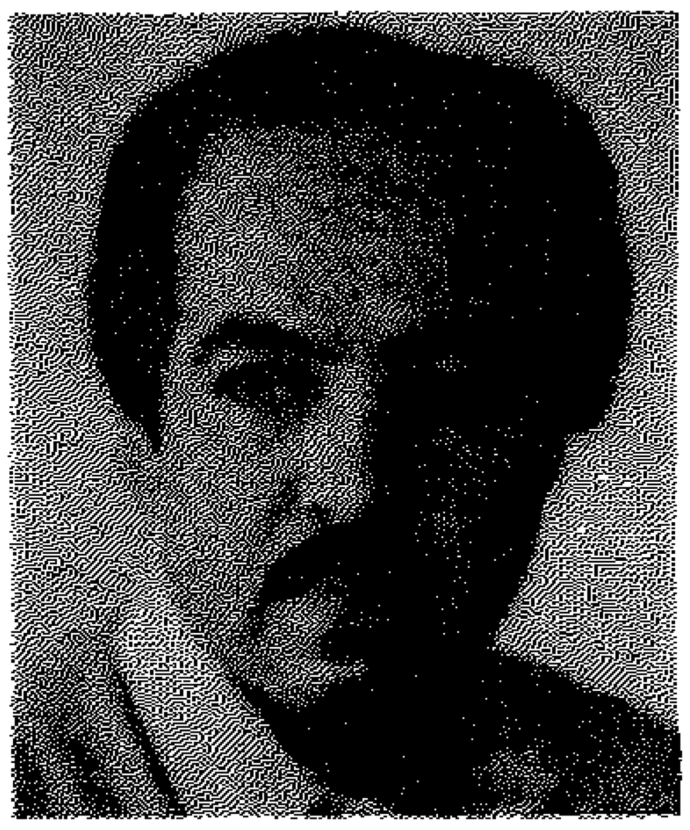

محمد سعد العوضى

- يعمل نائباً لرئيس تحرير مجلة أكتوبر
- عمل مديراً لتحرير جريدة العرب القطرية
- ومديراً لجريدة اليوم السعودية
- تخرج فى قسم الصحافة وكان أول دفعته سنة ١٩٦٣
- بدأ حياته ناقداً أدبياً بمجلة الإذاعة والتلفزيون
- له العديد من الدراسات التى نشرت فى مجلة المسرح المصرية ومجلتى الدوحة والعروبة القطريتان وجريدة اليوم السعودية
- له تحت الطبع كتابان الأول بعنوان أحبار على رمال الخليج والثانى الكبسة السعودية على مائدة الحرب الخليجية .

حسن التهامى يفتح ملفاته
من احتلال فلسطين إلى كامب ديفيد

قليلون هم الذين أستطاعوا النظر من ثقب باب المطبخ السياسى أيام عبد الناصر

.. ونادرون هم الذين واجهوه وناقشوه بل وانتقدوا بعض تصرفاته.

أول هؤلاء - إن وجدوا - هو حسن التهامى الذى بدأ العمل الوطنى قبل أن يعرف الضباط الأحرار طريقهم الثورى.

هذه النوعية من العلاقة سمحت بفتح الباب لمعرفة أسباب أخطر القرارات فى حياة مصر والأمة العربية والتى أجابت عن سر التوفيق والتنسيق بين موشى ديان وعبد الناصر فى تصعيد قرار حرب سنة ١٩٦٧ على السطح، وسر الإنفصال المصرى السورى فى عز أيام الوحدة ودور عبد الناصر فيه، وسر العلاقات الخفية بين ناصر والمخابرات الأمريكية منذ اللحظة الأولى لإنطلاق شرارة حركة الجيش المصرى وقبلها، وبداية العلاقة بين عبد الناصر واليهود منذ أيام حرب سنة ١٩٤٨ .

ولماذا أفصح عبد الناصر للتهامى بأن من حوله يريدون أن يميتوه ؟!

وماذا كان ينوى عبد الناصر عمله بكل المحيطين به لو عاش بعد يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠؟!

وما الذى دفع السادات أن ينحرف بفكره عن لقاء بيجن سراً على الحدود المصرية الإسرائيلية ليعلن إنطلاقته لزيارة القدس فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ ؟!

هذه وغيرها تجدها بين سطور هذا الكتاب